كبسولات إسكات الملحدين

د. هيثم طلعت

كبسولات إسكات الملحدين

د. هيثم طلعت

بسم الله والحمد لله

الكبسولة الأولى : نشأة الدين

إن مطلب الألوهية مطلب توافرت عليه الفلسفات والنبوات، ودلائله البرهانية ماثلة في الأنفس وفي الآفاق، وبواعثه النفسية مركوزة في العقول وفي الوجدانات!{فطرت الله التي فطر الناس عليها} ﴿٣٠﴾ سورة الروم

لكن هذا المطلب الوجودي الذي لا ينفصل عن الإنسان، يؤرق الملحد ولا يجد له في فلسفته المادية تحليلاً أو تفسيرًا فيفترض أن نشأة الدين كانت عبر نظرة الإنسان البدائي في صفحة الكون، وعدم معرفته سبب الظاهرة فيقوم بنسبتها إلى خالق غيبي!- دوركهايم ، ونماذج من الحياة الدينية الابتدائية "1915"-

وللإنسان أن يتسائل هنا: كيف يكون النظر في الكون أو ظواهره سببًا في إيقاظ الشعور الديني العميق عند جميع الأُمم ؟ ما علاقة حدوث ظاهرة كونية بظهور دين له مراسميه وطقوسه والتزاماته الأولية ؟

إن استمرار أية ظاهرة كونية على نسق واحد يجعلها أمرًا مألوفًا، لا يُلفت النظر ولا يحتاج إلى تعليل!

بل إننا لو استخدمنا هذا المقياس القاصر الإختزالي في تحليل الأمور، فإن العكس هو الحاصل دومًا؛ فباعث كل الديانات هو روح العظمة والقوة وليس الإستسلام أو الجُبن أو الجهل أو الخوف البدائي!

ومن جهةٍ أُخرى لو كان مبعث العقيدة هو المشاهد الكونية وكان هدف الطقوس هو استرحام الطبيعة؛ لما استمر الناس على التدين بعدما ظهر أنها محاولات عابثة، وبما أن الديانات لم تنقطع يومًا ما، ولم تنفصل عن الجماعة الإنسانية عبر كل التاريخ وعبر كل الجغرافيا، فلابد أن يكون لها منشأ مستقل عن هذا التحليل الإختزالي القاصر الذي يطرحه الملحد !

لكن هل كان باعث الخوف عند الإنسان الأول مبررًا لنشأة الدين كما يقولون ؟

إذا افترضنا هذا التصور فكيف نُفسر عبادة الأحجار والحشرات وأتفه الأشياء التي لا توحي مثل هذا الشعور؟

بل كيف نُفسر داخل هذا الإطار التحليلي للقضية الدينية الفصل التام بين الأمور المقدسة والأمور العادية ؟

وكيف يؤسس الخوف البدائي لكل الطقوس والديانات والعبادات؟

بل إن أصل علم النفس يقوم على أن استمرار المحسَّات على نسق واحد يُضعف باعث التفكير والخوف-http://www.ncbi.nlm.nih.gov/pubmed/9682527-، لكن الملحد يضرب بهذا الأصل العلمي عرض الحائط، ويقرر أن الدين الذي هو ركن الوجود البشري قائم على هذه الأغلوطة الإفتراضية الغير متسقة حتى داخل إطارها الذاتي !

ونظرًا لقصور هذا التصور في تحليل الظاهرة الدينية، فقد افترض دوركايم Émile Durkheim أن المجتمع والجماعة والعلاقات القبلية كانت مصدرًا أصيلاً لنشأة الدين، أضِف إلى ذلك تقديس الأجداد واشتراك العشائر في لقب واحد فيما يُعرف بالطوطم Totem ، وهذا الطوطم في الغالب يكون لقب حيواني كانت تتخذه العائلات البدائية لقبًا لها،

وتحول الطوطم مع الوقت إلى البذرة الأولى للدين ! – The Elementary Forms of the Religious Life analyzes phenomenon.–

لكن أثبتت الدراسات الميدانية التي أجراها روبرت شميث Schmitt للقبائل البدائية، أن هناك أُمم كاملة وحضارات بأكملها وقارات لا تعرف شيئًا عن الطوطم أو الطوطمية ولا يوجد عندهم نظام الألقاب الحيوانية، ومع ذلك توجد عند هؤلاء جميعًا عقيدة الإيمان بالله الأعلى بصورة واضحة. – Andrew Lang: the making of religion. New York 1968–

بل إن أبحاثًا أحدث قام بها لانج lang وفريزر Frazer أثبتت أن الطوطمية منظومة اقتصادية مدنية، وليست دينية كما كان يتخيل دوركايم، وفكرة الدين نشأت بعيدًا تمامًا عن هذه التصورات الساذجة والتحليلات الواهية!

فالطوطم شعار قومي ورمز يُعرِّف القبائل بأنسابها لا أكثر، ويبعث على التعاون والقومية، لكن القبائل كانت أذكى بكثير من أن تعبد تلك الرسوم أو مدلولاتها، بل كان لهم معبود روحي آخر مستقل تمامًا يعتمدون عليه. – Previous source –

ولا ننسى أن دوركايم كان له الدور الأكبر في تدليس المعرفة عند الأوربيين خلال عقود طويلة عندما كان يطرح حفلات القبائل البدائية بما فيها من عربدة وارتكاب للمحرمات كمظهر تديني عندهم، إذ ثبت أن هذه الحفلات كانت تمردًا على هيكل الحياة الإجتماعية والدينية للقبيلة وليس العكس، وأصبحت الآن هذه الحقيقة من أشهر تدليسات دوركايم!– الدين، د.محمد عبد الله دراز، ص149، 150–

فالنظم القبلية في كل المجتمعات تقوم على الفصل التام بين الجنسين؛ إنه لمن السخرية أن يعرض علينا دوركايم ولعقود طويلة هذه الحفلات الماجنة وهذا المسرح البدائي المتهتك بإسم المحراب المقدس للأديان، بل إنه جعل التمرد على الدين مظهرًا دينيًا، ومحاولات التمرد والصبيانية الشهوانية معيارًا للدين عند الأولين! – المصدر السابق ص 156–

لكن هل الدين بالفعل ظاهرة اجتماعية، هل يمكن تحليل الظاهرة الدينية في هذا الإطار ؟

الذي يتفق عليه علماء الإجتماع أن الظاهرة الإجتماعية الحقيقية كما نشاهدها في القوانين والقواعد الإقتصادية ذات وجود خارجي مستقل عن أفراد الجماعة، في حين أن الدين ظاهرة فردية في المقام الأول، ظاهرة داخلية جوانية ذاتية مستقلة، فهي تأتي على العكس تمامًا من الظاهرة الإجتماعية فكيف تقاس هذه بتلك ؟– A Redefinition of Social Phenomena: Giving a Basis for Comparative Sociology". –

بل إن افتراض أن العقل الجمعي هو الذي يُنشيء الدين يُسوغ لنا هذا الإفتراض أن نقول أن المعدة هي التي تخلق الطعام وأن البصر هو الذي يُحدث الضياء !

ثم كيف يُنشيء العقل الجمعي الدين ؟ هل سمع أحد بديانة ناشئة تحمل تعاليم جديدة، يكون موقف الجماعة منها موقف حمل الأفراد عليها، وإلزامهم بها، هل سمع بهذا أحد من قبل ؟

أم أن العكس هو الحاصل، ويكون الموقف المعتاد هو المناهضة لها والمقاومة العنيفة لداعيها، أليس هذا أصل تاريخي مُشاهد ومتكرر يا دعاة التاريخ والتجربة ؟

مِن أين جاءت فكرة الإله الأكبر فاطر السماوات والأرض يا دُعاة التحليل المادي، وعلى غرار أي جماعة طُبعت هذه الصورة، وكيف قامت الدعوات لها عبر كل التاريخ وكل الجغرافيا ؟

هل عندكم من تحليل واحد مادي لهذه الحقيقية الأولية في الوجود الإنساني؟

إن الذي يقرره علماء تاريخ الأديان أمثال لانج Lange وباسكال Pascal وشميث Schmitt وبروس Bruce وكوبرز Coopers وغيرهم، أن التوحيد وعبادة الله الواحد كانت سابقةً على التعدد وصناعة الآلهة الوثنية. – -Andrew Lang: the making of religion. New York 1968

إن التحليل المادي للظاهرة الدينية هو تحليل أجوف قاصر اختزالي إلى أبعد حد!

إن الحقيقة التي يجب أن نُحررها هنا أن الأديان هي التي سارت إلى الإنسان وهي التي نزلت إليه، ولم يصعد هو إليها، وأن الناس لم يعرفوا ربهم بافتراض العقل البدائي وإنما بنور الوحي !

نعم إن الناس لم يكونوا كلهم أوفياء بالوصية المقدسة، لكن هذا التعليم الإلهي لم يُمح أثره محوًا تامًا من البشرية، ولذلك ظلت فكرة الألوهية والعبادة والتوحيد واختلاط المقدس بالوثني سمة ظاهرة في الحضارات والأُمم.

إن الدين تجربة وجدانية فطرية أولية خالصة؛ بل هوأسبق في العقل من كل الأوليات وهو جماع كل الحقائق الإيجابية وأصل المعرفة وأصل الأخلاق والقيمة والحق والكمال، وكما قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله" إن كل خيرٍ في الأرض فمن آثار النبوة."– الصارم المسلول، شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله، ص249-250-

وقال ابن القيم رحمه الله " لولا النبوات لم يكن في العالم علم نافع البتة."– مفتاح دار السعادة، ابن القيم رحمه الله، 118/2-

فالدين ضرورة عقلية فطرية وجدانية أولية روحية خالصة!

ولا يُعرف ما الإنسان ولا قيمته، ولا يتم التأسيس لأخلاقياته إلا تحت راية النبوات.

بل إن مَن جحد أن يكون الله تعالى قد أرسل رسله، وأنزل كتبه لم يُقدره حق قدره، ونَسبه إلى ما لا يليق به، وأنه خلق خلقه عبثاً باطلاً، وأنه خلاهم سدًى مهملاً، وهذا ينافي كماله المقدس، فمن أنكر النبوات فما قدره حق قدره، ولا عرفِه حق معرفته، ولا عظَّمه حق عظمته!– هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن القيم رحمه الله، ص577-

{شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب} (الشورى :13)

ومن نافلة القول أن إنكار الدين، يعني في حقيقته افتراض أن الخالق يُطعم ويرزق ولا يحاسب المكلف، وهذا ينافي كمال عدله وكمال حكمته سبحانه؛ إن الدين حقيقة أولية في النفس الإنسانية لا تحللها حتميات دوركايم الإجتماعية، ولا الرؤية الإختزالية لمجموعة من القبائل البدائية، فالدين جوهر الوجود الإنساني !

الكبسولة الثانية : كيف يُعالج المتشكك نفسه أيها المتشكك أبشِر فالحق له نور.

إنَّ هناك كفرًا أساسُهُ الخيال أو الشعور الموقوت أو التأثر العاجل، وإيجادُ هذا الكفر سهلٌ، والاستمرارُ عليه مستحيل إلا لمرضى القلوب .

أغلب الناس يختلف عليه الليل والنهار وهو مُحاصَرٌ بمآربه القريبة مصروفٌ بالمادة عما ورائها، محجوبٌ بالمظاهر عن الحقائق الكبيرة، ناسيًا أن استعماره في الأرض لحكمة ولأجل وتكليف ، وضُرب له موعدٌ للقاء رهيب يُحاسب فيه على ما قدَّم وأخر .

وبعيدًا عن كارثة الشهوات، توجد كارثة الشبهات، والشخص المتشككٍ حائرِ الوجدان مُفتت الصدر، وهذا الشخص هو مَن سنقوم بتسليط الضوء عليه الآن.

الزمنُ جزءٌ من العلاج

أولاً إننا لا نُنكر أن الزمنَ جزءٌ من العلاج ...، وإذا كان على بني إسرائيل أن يتيهوا أربعين عامًا في صحراء سيناء، فيموت مَن ورثوا الذُلَّ والصَغار منهم، وتتأهب الأجيالُ الجديدة لفتح المدينة المقدسة، فعلى المتشكك أن يقضي زمانًا في تيه فكري وضياع وعدم تحديد هدف قبل أن تموت شُبهاته، ويكتشف أنها خُرافاتٌ لا تقوى على عامل الزمن.

فالزمنُ جُزءٌ من العلاج لا مُحالة ...، قيل أن ثعلبًا جائعًا انطلق يبحث عن طعام ، فرأى مِن سرداب طويل إناءً مشحونًا بما لذ وطاب ، فوثب داخل السرداب الضيق وتَلَطَّف حتى بلغ الإناء ثم أخذ يكرع منه حتى امتلأ، وحاول العودة من حيث جاء فعجز لأن بدنه انتفخ فما يستطيع التقهقر، ولقيه في محبسه هذا ثعلبٌ عجوزٌ عرف القصة من بدايتها فقال للثعلب الصغير" : ابق في مكانك هذا زمنًا حتى يخف حِملك وساعتها ستكون أقدر على الخروج من هذا الخندق الضيق" فالزمن جزء من العلاج.

فعلى المتشكك أن يبتعد عن معاطن الشبهات، وألا يجعل قلبه كالإسنفجة يتشرب كل شبهة جديدة؛ قال الذهبي –رحمه الله– فى ترجمة ابن الراوندي : " وكان يلازم الرافضة والملاحدة .. ،فإذا عوتب قال : إنما أريد أن أعرف أقوالهم إلى أن صار ملحداً، وحط على الدين والملة. نسأل الله السلامة والعافية فالقلوب ضعيفة والشُبَهُ خطافة ."

كيفية غربلة الشُبهات

ربما يكون الزمنُ وحدَهُ كافيًا لغربلة الشبهة، إلا أننا نلاحظ أنه في بعض الموازين التي يستغلها الباعة قد تميل إحدى الكفتين عن الأُخرى ميلاً عنيفاً لخلل في محور الارتكاز يقتضي علاجه أن تضع ثقلاً كبيرًا في الكفة الشائلة حتى تتساوى مع زميلتها ..، هذا العلاج المؤقت قد نتغلب به لفترة على الخلل الواقع ، بيد أن ذلك لا يُعطي الميزان صلاحية تُقيم العدلَ وتمنع الغش ، إنه لابد من علاج ناجع يفصل في القضية ويحسم المسألة.

إذ لابد من مواجهة مع الشبهة، وللأسف الحرب مع الشُبهات تُشبه الحرب مع الأشباح ، فالشبهة لا قوامَ لها أصلاً ، والذين ينهزمون في المعركة لا ينهزمون إلا خوفًا وذُعراً من الأشباح، فهذه هزيمة خسيسة لم تتم فيها مواجهة عاقلة بناءة بل هناك استسلامٌ دنيءٌ، وفرارٌ خسيسٌ قد تم من المتشكك، وبهذا تنتهي المعركة بانتصار وهمي للشبهة على قلب صاحبها.

إن هذه الشبهات كالأسماك ما أن تخرج إلا وتموت وحدها ،وكم من شُبهة تحولت مع النقد الرصين إلى دليل إعجازي ودليل شرفٍ وعِصمةٍ لهذا الدين !

المهم أنه لابد من مَنع الذي لا يعرف السباحة من الاقتراب من الفُرات.

علاج الشُبهات يتم على عِدة محاور .

عندما مثلاً يتسائل الملحد:هل الله يحتاج لعبادته؟

يكون الجواب نقلي– من القرآن والسنة الصحيحة– وقد تواترت الآيات بأن الله سبحانه غنيٌ عن العالمين، وفي الحديث القُدسي : " يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ،ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني.، يا عبادي لو أنَّ أولكم وآخرَكم وإنسَكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا، يا عبادي لو أنَّ أولكم وآخرَكم وإنسَكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا، يا عبادي لو أنَّ أولكم وآخرَكم وإنسَكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ،ثم أوفيكم إياها فمَن وجد خيرا فليَحْمَدِ الله، ومَن وجد غير ذلك فلا يلومَنَّ إلا نفسَه "

ولاحظ معي قول الحديث القدسي :-" يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ،ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومَنَّ إلا نفسه."

ويكون الجواب عقلي: بأن خلق الشيء لا يلزم منه الحاجة عقلاً.

ويكون الجواب معرفي: بأن طبيعة البشر لا يصلحها إلا العبادة، ومَن وهى دينه يُقاد من بطنه وفرجه أكثر مما يُقاد من عقله وضميره.

ويكون الجواب منطقي: بأن خالقك أعلم بما يصلحك، فلا تنشغل إلا بما طُلب منك.

ويكون الجواب مادي: عندما تلعب كرة قدم فأنت تلتزم بقواعد اللعبة، كذلك وأنت في هذه الحياة عليك أن تلتزم بالقواعد.

وهكذا تتنوع المحاور حتى تنطفيء الشبهة ويخبت تلبيس الشيطان.

تكرار غزو الشبهات

إنَّ هناك ألغازًا كثيرة يطرحها العقل نظرًا لشُبهة طارئة أو عدم اطلاع، والعقل نفسه كفيل بصرفها إذا كان محايدًا باحثًا عن الحق ، لكن ما بالنا وهناك مَدَدٌ آخرُ بجانب العقل المحايد، إنَّهُ مَددُ الوحي الإلهي .

إن الشُبهة الغارقة في وحل من الرماد لن يُشعل فيها النارَ إلا سوءُ النية وخُبثُ الطَوية ..

وقد زُوِّد الإنسانُ بعقلٍ يطمئنُ إلى وحدانية الله , وزُوِّد بقلبٍ يعرفُ الخير والشر , ويرضى به العدل ويسخط به الظُلم ، وبهذه الخصائص الإنسانية يُكَلَّفُ الإنسان .

إن هُناك مواثيق ركزها الله في الأنفُس ، وهناك صبغة صبغ الله الخلق عليها، مثل صبغة القيمة الأخلاقية المغروزة في النفس الإنسانية والتي تأتي ضد المصلحة الشخصية وضد المادة ومع ذلك يتقبلها الخلق جيمعًا ملحدهم ومؤمنهم؛ وهذا هو الحقُّ الذي جُبلت عليه الأنفُس .. ، ودعا إليه الرسلُ وبه كُلف البشر .. ، ومن السهل أن يصنع البعضُ حولَ هذا الحقِّ دُخاناً يزكم الأُنوف أو يحجب الرؤية، لكن مهما كان الدخان ثقيلاً فإن نفخة بالفم تجعله ينقشع .

إن المدافع عن الحق تأتيه أوقات يكاد ينفلق فيها رأسه من الهم والحَزن لزخرفة الباطل وبهاء منظره ، وهُناك سماسرةٌ مَكَرَةٌ موظفون في ميادين إعلامية وسياسية لحراسة هذا الباطل واستدامته، لكن من فضل الله أن الحق فيه نورٌ ذاتيٌ، ومهما علا الدُخان ومهما ثَقُل ومهما بُهرِج الباطل فإن الحق يبقى وللأبد له علامات تستقر إليها العقول، وتهدأ في زواياها النفوس، وتفني فى سبيلها الأرواح وهي هادئةً مُطمئنة.

قالت لي إحدى النصرانيات أنها لا تقبل إراقة الدماء ولو في سبيل مجاهدة الأعداء، ولم تمض أيامٌ إلا وقد وقع أحدُهم في شرفها، ونال من عِفتها بكلامٍ بذيء، فأخبرتني والحسرة تعلوها أنها لن تترك هذا المجرم أبداً، ولو وجدته أمامها الآن لذبحته، إنها كذبت على عقلها أولاً، واستسلمت لغرورها ثانيًا ، والدين بين هذا وذاك تقوم مبادئه وتعلو تشريعاته– فلا يُقتل قاذف المحصنات وإنما يقام عليه الحد–.

إنَّ غزوَ الشُبهات للقلوب الضعيفة والعقول التالفة هو غزوٌ بادي النجاح ، إنه بدل أن يَقتُل خِصمه يُغريه بالانتحار، إن هُناك استسلامًا مُسبقًا للذبح مع أنَّ الذابحَ لا يملك سكينًا، وهكذا يكون الانتصار الخسيس للشُبهات على القلب الضعيف الزاهد في الحق.

المعصية بريد الشُبهات

إنَّ المرأةَ العاهرةَ هي أقدرُ الناس على تجريح الغافلات المحصنات، والعقلُ التالف المعطوب بصنوف الذنوب والمعاصي هو أقدرُ العقول على استبقاء الشُبهات وتجريح الحق، وعلى الرغم من أن البَوْنَ شاسعٌ بين شطحات الخيال وبين الحق الثابت المستقر إلا أن المعصية تُقرِّبُ المسافات بين الحق والباطل حتى يلتبس الحق بالباطل فلا يُدرَى ما الحقُّ وما الباطل ، وإذا وصل الإنسان لهذه المرحلة الأسيفة فلابُد ان يتدارك نفسه بالإقلاع عن المعاصي الظاهرة والباطنة وأن يَصدُق اللجوءَ إلى الله تعالى .

إنَّ الشخصَ العاصي شذوذٌ في ملكوتٍ يُسبِّحُ بحمدِ بارئه ويخضع لأمره،ونُكتةٌ سوداءُ متمردةٌ في عالمٍ يسجدُ لله طوعا وكَرها، ويستمد منه حياته وبقاءه لحظة بعد أُخرى ،فالعِوج في هذا الكون المستقيم المطيع لأمر الله يجعل الأرجاء تكاد ان تَنقض على العاصي فتُخفي رسمه ووسمه ،ويظلّ صاحبُ الشُبهات حائرًا تائهًا بشُبهته طالما ظل قائمًا على معاصي الله، ولن يغير الله من حاله إلا إذا غَيَّر هذا من نفسه {إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ} (الرعد:11).

فأروا الله من أنفسكم خيراً يا أصحاب الشبهات وأقلعوا عن المعاصي، إنَّ الدينار إذا كان صحيحًا في أحد وجهيه دون الآخر أو في بعضه دون بعض فهو زائفٌ كلُّه، وكذلك الذي يَدَّعِي أنه يبحث عن الحق ، وأنه يريد الطُمأنينة والرضا بالله والقرب منه، وفي المقابل هو غارق في شهواته ومعاصيه ، فهذا شخصٌ زائفٌ يكذب على نفسه، وعلى مثل هذا يُخشى أن يُزَيَّنَ له الكفرُ فيراه حسنًا، ويصل لما وصل إليه الملاحدة من الرضا بالكفر بعد الإيمان {الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا} (الكهف:104).

نسأل الله السلامة .- بعض الفقرات من كتابات الشيخ محمد الغزالي رحمه الله.

الكبسولة الثالثة : لا مكان للفن في الإلحاد

عندما نتحدث عن الفن فإننا بداهةً لا نقصد الفن الهابط، وإنما الفن الذي يتناول دراما الوجود الإنساني .

إن العلم عندما يواجه الإنسان فهو يبحث فيه عما هو ميت وعما هو لا شخصي، بينما عندما يتناول الفن الإنسان فإنه يبحث فيه عما هو إنساني وغائي، فالفن في صِدام طبيعي مع العالم ومع جميع علومه ، إنه التمرد الصامت ، وإذا لم

يوجد على الإطلاق سند للإنسان ولا مجال لروحه ولذاته، فإن الفن لا مجال له والشعراء وكُتاب التراجيديا يضللوننا ويكتبون هراءً لا معنى له.

إن وجود عالم آخر إلى جانب عالم الطبيعة هو المصدر الأساسي لكل دين وفن ، فإذا لم يكن هُنالك سوى عالمٍ واحدٍ لكان الفن مستحيلاً، والمعرفة في الفن لا تُكتسب بطريقة عقلانية علمية وإنما تُكتسب بطريقة حَدسية ، وعندما يقوم العلم برسم لوحة فإن سيرسم وجه قرد ممسوخ يقوم بدراسته دراسة آلية ، أما عندما يقوم الفن برسم لوحة فإنه سيرسم دراما وجه الإنسان .. ، فالفن هو ثمرة الروح وإذا لم يتم الاعتراف بوجود الخلاص والعالم الآخر والروح فالفن عبث ولا قيمة له وغير موجود أصلاً .

الفن يتجاهل ظواهر الأشياء، يهتم بالبواطن، والفن التجريدي مثلاً يقوم بحذف كُل شَبه بالعالم الخارجي مُعطيا للشكل واللون معنىً روحياً ،وبإقصاء الجانب الروحي بعيدًا وبإنكار وجود الحياة الجوانية داخل كل إنسان منا فإن أعظم اللوحات في العالم تقاس قيمتها بحسب نوع الورق المستخدم في الرسم وثمن الألوان والأصباغ الموجودة على اللوحة.

وروعة الموناليزا لا تكمن في ثمن الألوان المرسومة بها، وإنما تكمن في أنها من أنجح المحاولات لتصوير سر الحياة الجوانية ، فالحقيقة الوحيدة التي يعترف بها الفن هي الإنسان وشوقه المستمر للوصول للفردوس والخلود .

الفن بطبيعته وباعترافه بوجود عالم آخر نراه يحمل معانٍ ثورية، يحمل الكُفر بالعالم المادي .. وهذا ما فهمه الرسام الفرنسي الشهير دي بيفيه حين قال : " الفن في جوهره غيرُ مريح لا فائدة منه، ضد المجتمع وخطر عليه."

جوهر الأعمال الفنية غامض غموضًا تامًا، إنه تمردٌ دائمٌ على الواقع .. ، إنه اعترافٌ متكررٌ بوجود عالم آخر لا ننتمي إليه وسنذهب إليه يوما مًا .

جوهر الفن يقوم على اعتراف بمعاناة الإنسان على الأرض وعجزه عن تحقيق الفردوس الذي يبحث عنه في مخيلته، الفن ببساطة هو ثمرة الصلة بين الروح والحقيقة ..؛ ولذا عند التدقيق في لوحة فنية عميقة أوعند قراءة رواية رائعة يعتري الإنسان شعورٌ غريبٌ وغامضٌ بالسموِّ والقداسة ودخول عالم الخلود .. ، الفن كالدين تماماً كلاهما يعترف بوجود عالم آخر لكن الفن ليس دينًا إنما هو تعبير عن الدين فهو الابن غير الشرعي للحقيقة، بينما تبقى الحقيقة حصرية للإطار الديني!

الإلحاد لن يفهم أبدًا جوهر الفن وطبيعته، فإذا لم يكن هناك روحٌ للإنسان فلِم إذن نحرص على أن يكون للفن روح ؟ بالنسبة للفنان لا يوجد شيء اسمه إنسان داروين ذاك الكائن النمطي الممسوخ البارد، بالنسبة للفنان لا يوجد شخصان متطابقان، فالإنسان هو كائن متميز ذو سمو روحي.

لا يوجد فنانٌ ملحدٌ ، لا يستطيع الملحد أن يكتب شِعرًا أو أن يرسم لوحة أو أن يُنشد بيت شعر، ولن يستطيع أن

يفعل ذلك إلا إذا دخل في الدين لحظة الرسم واعترف بقضية دراما الوجود والبحث عن الخلود ، والمسرحية التي تُمثل دراما الوجود فإن لحظة السكون فيها هي لحظة مليئة بالأحداث .

إننا لن نفهم هذه المسرحيات وهذه الرسوم إلا عندما نعترف بالوجود الجواني، وننكر كل ما هو مادي وخارجي، ولن يستطيع ملحدٌ أن يفهم لوحة ولو وقف أمامها دهرًا كاملاً، بل سينتقدها حسب تماسك الألوان وخامة الورق ودرجة حرارة الغرفة وتأثيرها على التباين اللوني .

إن الفن والإلحاد لا يجتمعان؛ الفن في صيغته النهائية والأخيرة هو بحث عن المطلق، بحث عن الله .

وإذا امتنع وجود حقيقة دينية امتنع وجود حقيقة فنية .

من وحي كتاب الإسلام بين الشرق والغرب، علي عزت بيجوفيتش–رحمه الله–.

الكبسولة الرابعة : هل الإلحاد مصدر العبثية في العالم؟

أجاب الدكتور عبد الوهاب المسيري عن هذا السؤال في مجلد كامل وهو المجلد الأول من موسوعته اليهود واليهودية والصهيونية، فيقول ما معناه أنه في الفلسفة الإلحادية المادية المجردة يتم عودة كل شيء إلى عالم المادة حيث الاختزالية والتفكيكية العدمية العبثية في أقبح أشكالها، حيث يغيب المطلق والغائي والقيمة حتى كلمة الإنسانية المشتركة التي يتغنى بها الملاحدة هي كلمة ملوثة ميتافيزيقياً، فكلمة الإنسانية المشتركة هي شكل من أشكال المطلق فالإنسان مادة وحسب، حدود المادة هي حدوده، ولذا فهو نمط مادي ذو ثلاثة أبعاد –حيوان اجتماعي– يمكن تدجينه وقولبته ، فمع إسقاط الحدود وإسقاط القيمة المعرفية والأخلاقية والحلال والحرام والقداسة والدناسة والمركزية والسمو الإنساني يظهر مع الوقت السوبر مان الذي تنبأ به نيتشه، ذلك الإنسان السوبر الذي نشأ من خلال منظومة الصراع الدارويني الذي لا يكترث بالمنظومات التي توجد خارجه ، ولا يكترث بالمطلقات، والهدف من وجوده هو تعظيم اللذة (لذته هو) والمصلحة (مصلحته هو)، والأرض مادة مُستهلكة، وغايته هي تحقيق أقصى إشباع ممكن منها، فالسوبر مان هو شخصٌ ملحدٌ ماديٌ، شخصيةٌ إمبرياليةٌ توسعيةٌ كاملةٌ يجوسل العالم لمصلحته.

بل قيام النازية بإبادة الملايين من الغجر والسلاف واليهود والأطفال المعوقين والمسنين ممن صُنِّفوا باعتبارهم "أفواهاً مستهلكة غير منتجة" (useless eaters) إنما هو أحد إنجازات المادية الملحدة الصرفة التي "حرَّرت" النازية من أية أعباء أخلاقية مثالية – غير مادية –، وتعاملت مع البشر بكفاءة بالغة وبمادية صارمة كما لو أنهم مادة استعمالية نسبية تخضع لقوانين الطبيعة – المادة– فمن يحيد عنها – مثل الأطفال المعوقين والرجال المسنين– لابد من التخلص منه في أسرع وقت وبأكثر الطرق كفاءة، أي أن العقل المادي هنا قام بتفكيك البشر بصرامة بالغة، ونظر للجميع بعيون

زجاجية، وكأنه كمبيوتر متألّه يبلغ الغاية في الذكاء لا قلب له ولا روح، يُحيي ويُميت.

ولم تُنتج المنظومة الإلحادية أية قيمة معرفية يمكن الإحالة إليها، أو التعويل والإشادة بها، وستالين الذي قام بتفكيك البشر في إطار علاقات الإنتاج ومعدلات النمو فأباد عشرات الملايين وأمر بالمجاعات في أوكرانيا حتى تخضع- مما تسبب في وفاة 4 مليون أوكراني-، وقبله لينين الذي أباد رسميًا ملايين الفلاحين في مذابح الكولاج حيث كانوا يعوقون عملية الإنتاج المادية، إن هذا التصور الإلحادي للعالم قد بلغ مستويات تجريدية عالية جداً، تصل إلى عالم الذرات والأرقام مما أدى إلى اختفاء الكل والجوهر الإنساني، فمات الإنسان وظهر اللاإنسان.

لذا فلسنا مجافين للحقيقة حين نقول أن الإلحادَ هو دين الشيطان تم التأسيس له كمنطق عقلي.

ولا يوجد مذهبٌ على وجه الأرض يقول لك افعل كل الفواحش فأنت في حِلٍ من كل شيء إلا الشيطان والملحد .

الكبسولة الخامسة : المسكوت عنه في الإلحاد.

الفِرق الإلحادية بالآلاف وكُل فرقة ترى أنها الحقُّ، وأنها هي التي تفهم الإلحاد فهماً صحيحاً أما غيرها فعُملاءُ خونةٌ دُخلاءُ على الإلحاد.

وهناك:

إلحاد شيوعي

إلحاد علماني

إلحاد ليبرالي

إلحاد سلبي

إلحاد إيجابي

لاديني إلوهي

لاديني متوقف

لاأدري وقتي

لاأدري دائم

strong atheism

weak atheism

http://commonsenseatheism.com/?p=6487

والإلحاد الشيوعي ينقسم بدوره إلى

إلحاد شيوعي لينيني

إلحاد شيوعي ماوي

إلحاد شيوعي ستاليني

إلحاد شيوعي بلانكي

إلحاد شيوعي تروتسكي

والإلحاد الشيوعي؛ ينقسم إلى آلاف الفِرق وكما يقول الشيوعي الشهير مكسيم لوروا في كتابه "رادة الاشتراكية الفرنسية" يقول: "لاشك في أن هناك اشتراكيات متعددة، فاشتراكية بابون، تختلف أكبر الاختلاف عن اشتراكية برودون، واشتراكيتا سان سيمون وبرودون، تتميزان عن اشتراكية بلانكي، وهذه كلها لا تتمشى مع أفكار لويس بلان، وكابيه وفورييه، وبيكور ، وإنك لا تجد داخل كل فرقة أو شعبة إلا خصومات عنيفة، تحفل بالأسى والمرارة."
هذا في فرنسا وحدها فما بالنا بتفريعات تروتسكي وستالين وماو وبول بوت وكوريا الشمالية، وآلاف التفرعيات والإنشقاقات الأُخرى.

وهكذا كل فرقة من الفرق الإلحادية تنقسم على نفسها، وتتشظى وتتفتت إلى ما لا نهاية

والعلمانية الإلحادية تنقسم إلى :

إلحاد علماني سطحي

إلحاد علماني مستنير

إلحاد علماني متعمق

إلحاد علماني نضالي

إلحاد علماني صراعي

إلحاد علماني منفتح

إلحاد علماني فعلي

إلحاد علماني جديد

إلحاد علمانية واقعي

والعلمانية الفاشية fascist-secularism

وكلها علمانيات متنازعة ومتضاربة وتحارب بعضها بعضًا

وظهرت في الغرب مصطلحات

إلحاد رأسمالي رشيد

إلحاد رأسمالية حقيقي

إلحاد رأسمالي شكلي

إلحاد رأسمالي منبوذ

وعلمانية فرنسا تختلف تمام الإختلاف عن علمانية هولندا، وكلاهما لا تمتان بصلة لعلمانية أمريكا، وعلمانية الصين كأنها دين آخر تمامًا، وهكذا.

و جنة الملحد الشيوعي لن يدخلها الملحد الليبرالي ..

والإلحاد الشيوعي يرى ضرورة تصفية الإلحاد الرأسمالي جسديًا كما في وثيقة الكولاك لزعيم البلاشفة لينين.

وداخل الإلحاد الشيوعي كل طائفة تزعم أنها الحق المطلق، وستالين يقوم بتصفية تروتسكي –ثالث أكبر مُنظر للشيوعية في العالم–، بدافع الحفاظ على الشيوعية الإلحادية اللينينية.

وكوريا الملحدة الشيوعية الشمالية؛ ترى أن كوريا الرأسمالية الجنوبية خطر على العالم يجب سحقه.

وكل الصراعات الأوروبية في القرن الأخير والتي راح ضحيتها ربع سكان أوربا كانت علمانية إلحادية 100 % ولم يدخل فيها حزب ديني واحد .

وظهرت مدرسة الداروينية الإجتماعية Social Darwinism التي تعني أن الأقوى يسيطر ثقافيًا وفكريًا وبيولوجيًا، والضعيف ينسحب بهدوء إلى أن يموت ..!! وهي مدرسة القتل البطيء للآخر طبقًا للتنظير الدارويني ورؤيته للجنس البشري.

وظهر هربرت سبنسر مُنظر الإلحاد الدارويني في القرن التاسع عشر، والذي أكد على ضرورة القتل البطيء للجنس البشري يقول بالحرف :"فإن فكرة وسائل الوقاية الصحية وتدخل الدولة في الحماية الصحية لمواطنيها وتلقيحهم، تعارض أبسط بدهيات الانتخاب الطبيعي، إن مساندة الضعفاء أو محاولة حماية المرضى والحرص على بقائهم، يتأتي في تحدٍ صارخ لقانون الطبيعة".

Social Status, p.414-415

وهكذا تحول الإلحاد إلى آلة قتل باردة ضد الآخر، حتى ولو كان مُلحدًا طالما لا ينتمي لنفس الطائفة والعنصر والجنس، وكانت النتيجة مقتل ربع سكان أوربا في مجازر حربين عالميتين لا تمُتان بصلة لأي دينٍ من الأديان.

الكبسولة السادسة : الإحالة إلى الما وراء

العودة إلى الإيمان والإحالة إلى الما وراء، شرط لضمان المعنى وتأسيس الإمكان الأنطولوجي –الوجودي- للحقيقة، ومن ثَمّ تسويغ بحث إمكانها الإبستمولوجي–المعرفي-.- في دلالة الفلسفة وسؤال النشأة، د. الطيب بوعزة، ص19-

إن الحقيقة التي يُسلم بها البشر الآن أنه: لا حقيقة في الخارج المادي المستقل، ولا يمكن ضبط الحقيقة بدون دين واستقاء من الما وراء، ولا يمكن التأسيس للحقيقة أو ضبط المعرفة أو تقييم المعنى بلا دين، ولم يعد ثمة إمكان إبستمولوجي لتأسيس الوعي الماهوي للوجود خارج الدين.

إن شرط الإحالة إلى الدين شرط معرفي إبستمولوجي، وشرط مادي أنطولوجي، وشرط عقلي أولي، لأن إدراك الوجود يفيد تغيره وعرضيته وعدم اكتفاؤه بذاته، وهذا الإدراك –إدارك عدم اكتفاء الوجود بذاته- يستوي فيه البدائي وعالم الفيزياء والفلسفي البارع، فالإحالة إلى الدين هي قضية عقلية ومعرفية ومادية ومنطقية في الأساس، قبل أن تكون قضية أخلاقية أو نزعة إيمانية أو تجرد روحاني!

والموقف الإلحادي من هذه القضية، موقف مدهش للغاية لأنه يفترض التأسيس الماهوي لحقيقة الوجود مجردة، وبعد أن يعجز عن هذا التأسيس يقوم بالعودة إلى الما وراء لإستقاء المعرفة والبحث عن اكتفاء الوجود لكن هذه المرة بصيغ لا عقلية ولا منطقية ولا مادية ولا معرفية، فيفترض الوعي في العدم والأزلية في المحدث والشيئية في اللاشيء، وذاتية الإنتقال إلى الحياة في اللا حي، وذاتية التنسيق والضبط والعناية والإنتقال للأفضل على مستوى الكاوس–الفوضى-، فتصير قضية الإلحاد الكفرية قضية جحد للعقل في المقام الأول ومعاندة للوجدان في الجوهر {وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير} ﴿١٠﴾ سورة الملك

وأصل الإحالة إلى الما وراء هو أصل عقلي، هدفه الأسمى بحث الوجود الحق الذي يفصح عنه عالم الحس إفصاحًا ناقصًا. ويصبح الإنتقال من عالم الحس إلى عالم المُثُل الما ورائي هو مقصد الوعي الوجودي كله، لذا ارتسمت صورة المفكر في كل الحضارات بالشخص المنعزل عن المجتمع المادي، لأنه مشغول بالكليات.

ولذا كانت المعرفة الما ورائية عند المفكرين أعلى المعارف وأشرفها لأنها النوع الوحيد المنوط بتفسير القضايا الكلية والوجودية والأسئلة الكبرى، فنجد ديكارت مثلاً يقول" الفكر الإنساني شجرة جذورها الماوراء وجذعها الفيزياء وأغصانها بقية العلوم."-Descartes, principes de la philosophie, p.266، منقول من م س ص78-

ولذا كان أكثر الناس انشغالاً بالماورائيات هم المفكرون وعلماء المادة لأنهم لا يجدون في المادة اكتفاءًا ذاتيًا يبرر وجودها، فطاليس كان فيزيائيًا ورياضيًا وفيثاغورس عالم فلك، وأفلاطون مؤسس الحركة الميكانيكية، وابن رشد فيزيائي وطبيب، وجابر بن حيان الكيميائي الأول وواضع أُسس المنهج التجريبي في البحث العلمي، والكندي رائد تحليل الشفرات.

ولم ينشغل بعلوم المادة إنسان إلا وأدلى دلوه في الفكر بمقتضى بحثه في المادة، فالإحالة إلى الما وراء هي شرط فكري وعقلي ومبررها المعطى المادي نفسه.

وبذلك يتقرر أن تصور وجود الإله ليس حاجة مشروعة بل حاجة مُلحة، فالعقل هنا لا يبتدع فرضية وإنما يُعبر عن حاجة ضرورية ضرورة الماء والهواء بل أولى منهما، بل إن استيلاء سؤال الخلق على خواطر الأطفال ما أن يبتدؤن في النطق والحكي أمرٌ معلوم، فضرورة الصانع مغروزة منذ وقت مبكر جدًا، قبل تشكل الوعي ذاته.

فالعقل في أقصى درجات فطريته لا ينفك عن سؤال الصانع.

بل إن فرضية الخالق – بتعبير الملاحدة– هي الأفضل على كل المستويات النفسية والوجودية معًا، وهي الجواب عن سؤال لماذا، وهي الجواب عن معنى تطلعنا لما وراء الزمان والمكان، وهي الجواب عن الأسئلة الوجودية الكبرى، وإن كان الملحد قادر على إخراس جميع هذه الأسئلة فهذا ليس بجواب.

وباستخدام اللغة العلمية فأيضًا أفضل الفرضيات الممكنة بالنسبة لمعطياتنا المعرفية هو أيضًا وجود الخالق.

فالإلحاد لم يكن يومًا ما مطلب معرفي ولن يكون.

فالذي لا يعرف الله كالأعمى في هذه الحياة الدنيا، فهو لا يدري لماذا خُلق ولا يدري الحكمة من وجوده ويخرج من الدينا ولا يدري لماذا دخل فيها { والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم} ﴿١٢﴾ سورة محمد.

فمعرفة الله هي مقتضى عقلي من الواقع المادي ذاته، فإذا رأيت سيارة تتحرك بين المنحنيات والطرق الدقيقة بمهارة فحتمًا تتأكد أن السائق موجود، إن خروج الوجود من اللاوجود بمنتهى المعايرة الدقيقة لحظة الخلق الأولى fine-tuned universe يدل على خالق عليم قدير حكيم عظيم .

بعض المصطلحات التي قد تبدو غامضة:

الإبستمولوجيا: هي النظرة المعرفية التي في الذهن .

الأنطولوجيا: هي الشيء المادي خارج الذهن .

الماهوية: هي حدّ الشيء بما هو هو، وأصلها اسم الإستفهام ما والضمير هو " قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي".

الكاوس: الفوضى.

الكبسولة السابعة : الأكوان المتعددة

أمام إشكال المعايرة الدقيقة للكون fine-tuning of universe ، أو الشروط الأولية التي ترافقت مع ظهور الكون، افترض الملاحدة وجود أكوان متعددة لا نهاية لها ظهر كوننا من بينها بقانون الإحتمالات وهذه مغالطة تحتوي على عشرات الأخطاء العلمية والمعرفية والعقلية والمنطقية، لكنها الحل الوحيد المتاح!

يعترف ريتشارد داوكنز في حواره مع ستيفن واينبرج على موقعه الرسمي، فيقول "إذا اكتشفت هذا الكون المدهش المعد فعليًا بعناية .. أعتقد ليس أمامك إلا تفسيرين إثنين .. إما خالق عظيم أو أكوان متعددة ."

If you discovered a really impressive fine-tuning ... I think you'd really be left with only two explanations: a benevolent designer or a multiverse.

Steven-Weinberg-Lawrence--VOICES OF SCIENCE...Richard-Dawkins Krauss-PZ-Myers-David-Buss

وردًا على خرافة الأكوان المتعددة نقول:

أولاً: افتراض وجود أكوان متعددة هو فرض ميتافيزيقي لا يدعمه دليل إمبريقي أو تجريبي أو ميثودلوجي واحد!

وكون عقل الملحد يدعم هذا القول بل ويقوم باستخدامه؛ فهذا معناه أن العقل يدعم الفرض الميتافيزيقي ولا يستبعده من الحساب العقلي، إذن عقولنا مُهيأة لاستيعاب الماورائيات، إذن لا مانع من قبول فكرة الميتافيزيقيا عموماً، وإنما يعترض الملحد على نسبتها إلى الخالق تحديداً !!!

فمشكلة الملحد مع الخالق تحديدًا وليست مع المعطيات أو مع تركيبة عقله!!

ثانياً: يستحيل إمبريقيًا –تجريبيًا– إثبات أكوان قبل كوننا، أو أكوان مع كوننا، لأن هذا الأمر رصديًا يكسر حاجز أُفق الجسيم particle horizon وهذا أمر ممنوع فيزيائياً.

ثالثًا: الرياضيات التجريدية لا تسمح بوجود كون آخر مع كوننا أو كون آخر قبل كوننا، لأن وجود أكثر من كون سيتبع نفس main Hamiltonian وهذا ممنوع رياضياً طبقاً لـ orthagonality theorm.

رابعًا: وجود أو عدم وجود أكوان أُخرى لا يجيب عن السؤال، ولا يُفسر المعايرة الدقيقة لكوننا، المشكلة أن الملحد في رده هذا يتصور أن كوننا هذا مثل النرد — الزهر– الذي رُمي بلايين المرات– ولا ندري مَن الذي يرمي النرد في كل مرة–، المهم أنهم يتصورون أنه من البساطة بمكان أن يأتي كون واحد من بعد بلايين الرميات العشوائية بشكل منظم وبتوليف دقيق كامل لثوابته الفيزيائية، والخطأ هنا أنهم يتصورون أن ذلك التوليف الدقيق المدهش هو مثل أن يأتي رمي ألف زهر متتابع ويأتون جميعهم بالرقم 6 مثلاً، المهم أن بلايين الرميات تأتي كل مرة بتوليفة دقيقة تسمح بوجود ثوابت كونية

مدهشة، والمشكلة الأُخرى ثبات هذه التوليفات والحفاظ على باقي التوليفات الصحيحة، فكل ثابت من الثوابت الكونية هو توليفة دقيقة من بلايين الرميات، وليست القضية في التوليفات فحسب بل بقاء هذه التوليفات، ودقة هذه التوليفات.

وفكرة الأكوان المتعددة هي فكرة نتجت لحل معضلة الإعداد المسبق لكوننا بعناية fine tuning of the universe فهي كحل تفترض أن هناك تريليونات تريليونات تريليونات الأكوان الأخرى 10 أس500 كون طبقا لستيفن هاوكنج في كتابه الأخير – التصميم العظيم – لكن في الواقع نحن لم نشهد أي كون آخر غير كوننا فضلا عن تريليونات تريليونات تريليونات الأكوان الأخرى .

ثم إن هذا لا يحل مشكلة التصميم المسبق بعناية لكوننا بل ربما مع الوقت يطرح تساؤلات فلسفية أعمق مع تقدم علوم الفيزياء .

وللمرء أن يتسائل: لماذا الإقدام على فرضية غاية في الغرابة والدهشة والبعد عن التجريب والإختبار واليأس التام في الرصد كتلك الفرضية، فقط لمجرد الهروب من معطيات كوننا التي تطرح تساؤلات فلسفية عميقة؟

يرى علماء الكونيات الداعمين لتلك الفكرة من أمثال ليونارد سوسكايند أن رصد كون آخر هو مستحيل علميًا ومنطقيًا، والسبب في ذلك يرجع كما قلنا لما يُعرف بأُفق الجسيم the particle horizon وهو أقصى مسافة من تلك الجسيمات التي تحمل المعلومات والتي ما أن تصل للراصد يكون عمر الكون قد انتهى منذ مليارات السنوات الضوئية، وأي كون آخر حتمًا هو خارج أُفق الجسيم the particle horizon .

وبما أن فرضية الأكوان المتعددة طبقا لأفق الجسيم يستحيل رصدها أو حتى إختبار وجودها فإنها تخرج خارج دائرة العلم المادي النظري — لأن حجر الزاوية في العلم هو الرصد والإختبار والتجربة – وتتحول إلى فرضية فلسفية لا تخرج خارج هذا الإطار .

ولذا يقول عالم الكونيات جورج إليس cosmologist George Ellis أن فرضية الأكوان المتعددة ليست من العلوم، ولا توجد داخل دائرة العلم وإنما في إطار الفلسفة .

ويبدو أنه كما قال أرسطو قديمًا أن: الذي ينكر الميتافيزيقيا هو أيضًا يتفلسف ميتافيزيقيًا .

ثم إننا بحاجة إلى رصد كون يختلف عنّا في قوانين فيزيائه وقاصر في معطياته، حتى نفخر بكوننا وأنه الكون المميز وهذا يطرح إشكالات أعمق بكثير إذ لابد من التصميم الدقيق لكل كون قبل خروج هذه الأكوان بكل هذه المعطيات ففي كتابه التصميم العظيم يقرر ستيفن هاوكنج أن فكرة الأكوان المتعددة هي فكرة مزعجة للغاية .

فعملية إبداع أكوان متعددة عملية مدهشة للغاية وتحتاج إلى قوانينها الخاصة هي الأخرى، وثوابتها الفيزيائية الخاصة التي ربما تفوق في دهشتها وعظمتها ثوابتنا تريليونات تريليونات تريليونات المرات، وهل لهذه الأكوان المتعددة كون " أُم" ، ثم مِن أين أتى هذا الكون الأُم؟ وبالتالي ربما نكتشف أن الذين افترضوا أكوان متعددة سيجابَهون يومًا ما بإلزامات ماورائية أعظم بكثير مما لو كانوا تخلوا عن تلك الفكرة ... إننا ننتقل خطوة ما ورائية أعلى بالقول بأكوان متعددة .

إذن الأكوان المتعددة لم تحل مشكلة الإعداد بعناية بل طرحت مشكلة الإعداد بعناية لكن على أبعاد أخرى ربما لا يجرؤ العقل البشري على استيعابها في الأمد المنظور .

ثم إن معادلات النظرية M والتي اعتمدها ستيفن هاوكنج في كتابه الأخير تفترض خمس نهايات –معادلات– مختلفة تمامًا، والخمس معادلات بنفس الدرجة من القوة وكل معادلة تنتهي بملايين الطرق المختلفة.

يقول ستيفن هاوكنج في كتابه الأخير –التصميم العظيم ص174– ما يلي:

In addition to the question of dimensions, string theory suffered from another awkward issue: There appeared to be at least five different theories and millions of ways the extra dimensions could be curled up

String theorists are now convinced that the five different string theories and supergravity are just different approximations to a more fundamental theory, each valid in different situations.That more fundamental theory is called M-theory p.174

ولذا يعترف هاوكنج أننا حتى الآن نحاول أن نفك ألغاز النظرية إم ولكن يبدو أن هذا مستحيل:

People are still trying to decipher the nature of M-theory, but that may not be possible.p.175

أيضًا هذه الطريقة الفلسفية – الأكوان المتعددة– للهروب من مُشكلة المعايرة الدقيقة للكون تناقض شفرة أوكام Occam's razor ، فطبقا لشفرة أوكام فإن أبسط التحليلات لمشكلة معقدة هي الصحيحة، وينبغي اختيار أبسط نظرية تناسب حقائق المعضلة، لكن هؤلاء الفيزيائيون يختارون أعقد نظرية إنهم يختارون 10 أس500 كون وخمس معادلات صحيحة وملايين الطرق لكل معادلة، كل هذا حتى يتسنى لهم أمام هذه التريليونات تريليونات تريليونات الأكوان أن يفترضوا صدفوية نشأة كون مميز للغاية ككوننا .

الخلاصة:

لقد سقطت المقولات الإلحادية القديمة التي كانت تقول أن الكون كاف نفسه بنفسه، واحتاج الملاحدة أنفسهم للخروج خارج الكون للبحث عن أكوان متعددة، للخروج من مأزق الثوابت الكونية التي هم أنفسهم أطلقوا عليها الثوابت المعدة بعناية fine-tuning .

والآن: وبعد أن تبين أنه لا يوجد حل عملي أو فيزيائي مقنع للثوابت الكونية التي نحيا في ظلالها وعلى روافدها، لم يعد أمام هؤلاء مناص مادي أو فيزيائي أو عقلي من التسليم بالخالق العظيم الذي أتقن كل شيء، وجاء به على أروع صورة تدهش كل عالم فيزيائي يبحث في الكون ويُسلم بعظمة الخلق وروعة الإبداع وذهول الثوابت الفيزيائية .. {صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون} ﴿٨٨﴾ سورة النمل، فسبحانه {ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى} ﴿٥٠﴾ سورة طه، سبحانه الذي أحسن كل شيء خلقه وجاء به على أروع صورة {الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين} ﴿٧﴾ سورة السجدة.

وهو سبحانه الذي أمرنا أمرًا مباشرًا أن نتفكر في آلائه وعظمة خلقه وكيف بدأ الخلق {قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير} ﴿٢٠﴾ سورة العنكبوت

لقد سرنا ونظرنا كيف بدأ الخلق، ونشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله —صلى الله عليه وسلم- فهو الذي علمنّا كيف نشكر الله، فالحمد لله رب العالمين.

الكبسولة الثامنة : لماذا الكون بهذه الضخامة، والأرض بهذه الضآلة؟

هذا السؤال كثيرًا ما يكرره الملحد رغم تفاهته وسذاجته.

فيدعي الملحد أن الكون ضخم، فما معنى أن يهتم الخالق بكرة الأرض الصغيرة تلك؟

الرد:

يُشغب الملاحدة كثيرًا بمسألة ضخامة حجم الكون وحقارة حجم الأرض وبالتالي حجم الإنسان، لكن هذا الكلام يشتمل على افتراض جدلي وهو أن ضخامة حجم الشيء أو ضآلته مؤثر في المسألة، وهو فرض مجرد عن أي دليل.

ثم إنه ليست العبرة بالحجم الحسي للإنسان وإنما بالحجم المعنوي لأشياء بلا حجم كالأخلاق والصدق والأمانة، ولو كان للحجم في ميزان الله أدنى اعتبار لكانت السماوات والأرض أولى بحمل الأمانة، ثم إن الحيتان أضخم من الميكروبات بمليارات المرات، فهل هذا يعني أن الحيتان أهم من الميكروبات؟ وما معنى كلمة أهم هنا؟ وما القيمة الجدلية لهذه الكلمة"أهم"؟

وهل الله يهتم بالكائن الضخم لضخامته ولا يهتم بالكائن الصغير؟ أم أنه كفل للجميع الرزق والنظام الأنسب؟

ثم إن السماوات والارض مصدرهما نقطة أصغر من رأس الدبوس —أصغر من بروتون الذرة بمليارات مليارات المرات-،

أليس كذلك يزعم كل فيزيائيي العالم طبقًا للبيج بانج ؟

أيضًا الحجم نسبي ولو تحولت المجموعة الشمسية كلها إلى ثقب أسود فلن تتجاوز كيس شيبس صغير– حجم الأرض 0.9 سنتيمتر مكعب–.

إذن القضية ليست بالأحجام ولا الحكم على الأشياء يكون بالأحجام والأوزان والأثقال ..

القضية هي إدراك هذه الأشياء واستيعابها، والآن هل ثمة شيء يستوعب هذه العلاقات بين الأحجام إلا الإنسان ؟ هل ثمة شيء يدرك الفوارق إلا الإنسان ؟ هل ثمة شيء يدرك القوانين وضخامة الأفلاك وعظمة الخلق وروعة الإعداد بعناية إلا الإنسان ؟

هل ثمة شيء يدرك أن الوردة حمراء وبديعة التنسيق والجمال غير الإنسان ؟ هل ثمة شيء يدرك مدارات الأفلاك وروعة المنظومة الفيزيائية التي تحكم الكون غير الإنسان ؟

إذن لا يختلف العلماء على أن الإنسان مركز الكون إدراكيًا وسيكولوجيًا وحديثًا فيزيائيًا ومنذ الأزل دينيًا .

الكبسولة التاسعة : الحياة

الوقت المنصرم منذ نشأة الكون إلى وقتنا الحالي غير كافٍ لنشأة عُضية واحدة من مئات العُضيات الموجودة داخل السيانو باكترياCyanobacteria أول الكائنات على وجه الأرض على الإطلاق،" فالسيانو باكتريا أول كائن ظهر على وجه الأرض طبقًا للداروينية لأنه لو لم يظهر هو لما ظهر أي كائن آخر فهو مصدر الأوكسجين الذي سمح لبقية الكائنات بالظهور".

والعُضية الواحدة من عضيات السيانوباكتريا بها تشفير معلوماتي داخل الشريط الوراثي يتجاوز 1500 بت أو حرف– والبِت هي وحدة تشفير – لو ظهرت بِت واحدة مكان أُخرى ما نشأت السيانو باكتريا ولا قامت بوظيفتها، وهذا يعني 1500 حرف بمنتهى التنسيق والضبط، في حين أن عمر الكون كله لا يسمح إلا بظهور 34 بت بحساب نظرية الإحتمالات، لأنه قد مضى منذ الإنفجار الكبير 10 أس 17 ثانية فقط وهي تعادل 14 مليار سنة، و34 بت تحتاج إلى 10 أس 17 ثانية من أجل الوصول إلى الترتيب الصحيح وهو عمر الكون– هذا في حال افترضنا أن هناك بتِ جديدة تضاف كل ثانية–.

لكن عضية واحدة من مئات العضيات التي تعمل معًا داخل السيانوباكتريا تحتاج كحد أدنى 10 أس 750 ثانية لتشكيل 1500 بت وهو ما يعني مليارات مليارات أضعاف عمر الكون.

أمام هذه المعضلة افترض الملحد ريتشارد داوكينز بصحبة برنامج ريتشارد هارديسون أن هناك برنامج سيحتفظ بالحروف

الجديدة الصحيحة- البتات الصحيحة- ثم يبني عليها بعشوائية وهكذا إلى أن يصل إلى الحرف الجديد الصحيح حتى تكتمل 1500 بتٍ الأولى في أول عضية من عضيات السيانو باكتريا.

لكن لم يقل لنا عبقري كل الأزمنة وفلتة العقلاء، ماذا سيحدث لو تم الاحتفاظ بحرف خاطيء ؟ ألا يعني ذلك توقف التجربة لأن العضية لن تتشكل وستهلك السيانوباكتريا فورًا ؟

ولم يقل لنا ما هي الآلية التي ستعيد الحروف مرةً أخرى ؟

وكيف نسي العلامة أن برنامج الكمبيوتر يحتاج لوعي وتصميم وإرادة وصنع وضبط ومعايرة دقيقة، فلماذا اشترط ذلك في تجربته ورفض أن ينسبه للخالق في بيئة الأرض الأولى ؟

بل إن ظهور الشيء لا يعني دوام استمراره فما معنى تشكيل عشر بتات ؟ ما الذي يضمن استمراريتهم أو وجود معنى لهم أصلاً، وما قيمتهم الوظيفية حتى تحتفظ بهم السيانوباكتريا التي لم تتشكل بعد، وكيف تتحول بتات ملتصقة إلى وظيفة حياتية تخصصية داخل كائن آخر؟

ثم ألا تدل آلية خلق الحياة إلى خالق يعجز كل جهابذة الأرض عن محاكاة أبسط حياة ثم يفترضون ظهورها بالصدفة في كل مكان ؟

لماذا أمام كل هذه البديهيات يرفضون الخالق ويفترضون المستحيل العقلي ؟

ثم لم يقل لنا الفلتة النحرير كيف تخلق لنا البتات منظومة معرفية تُعطي وظيفة؟ فالبتات كالكلمات المكتوبة على ورق تصف هيئة وظيفية بطريقة رمزية! كيف تتحول هذه الرموز إلى وظيفة حيوية داخل الكائن الحي الأول، كيف يتم فك الترميز ثم إنتاج معطى وظيفي حيوي، والسؤال الأهم: مَن الذي قام بالترميز قبل أن يتم فكه وما أدرى الكائن بحاجته إليه ليتم ترميزه ثم استخدامه في المستقبل وقت الحاجة؟

ثم كيف يكون الكائن الحي على علم مسبق بمجموعة البتات المطلوبة – 1500 بت- في كل عضية، وهو لم ينشأ بعد ولم يقم بأي وظيفة ؟

وكيف يكون على علم مسبق بما يريد بحيث يحتفظ بالبتات الصحيحة ويترك الخاطئة ؟

ولو لم تكن هناك خطة مسبقة كاملة للسيانوباكتريا، فكيف توجد التخصيصة الوظيفية للعضيات ؟

أيهما أقرب للمنطق والعقل؛ الإيمان بهذه المستحيلات العقلية التي مستحيل عقلي واحد منها كفيل بترك القضية بالكلية، أم الإيمان بالخالق الذي توافرت الأدلة والقرائن على روعة صنعه وضبط خلقه وقدرته؟

نعلم أن الإيمان بالمستحيل العقلي لا يكلف شيئًا، لذا هو أسهل في عقل كاره للدين وهارب من تكاليف الشرع، وهذا هو المبرر الوحيد للإلحاد!

فبرنامج الكمبيوتر الذي يفحص المتتابعات ويختار أكثرها شبهًا بالتتابع المطلوب الذي تم تحديده مسبقًا، يعني أن العملية تجاوزت التطور العشوائي إلى تصميم واختيار ذكي للوصول إلى تتابع تم تحديده مسبقًا بتوجيه من عقل خارجي، فهذا خلق موجه نحو غاية محددة مسبقًا يهيمن عليها عقل ذكي، وهذا غاية ما يريد المؤمن من الملحد الاعتراف به!
فالتطور عشوائي وليس عقلاني وليس له أي دور إنشائي، ثم إن المحاولات المتكررة لجمع 1500 بت هي وقائع مستقلة independent events، محاولات لا يؤثر بعضها في بعض، فمثلاً لو تضخمت الأحماض الأمينية مليارت مليارات المرات، فستظل النسبة الإحتمالية هي نفسها في كل مرة، لأن المحاولات وقائع مستقلة وكل مجموعة أحماض أمينية تتصرف بانعزال عن بعضها البعض فتظل نفس الاحتمالية بنفس القيمة قائمة، وهذا يُسقط مفهوم الصدفوية ككل.
المشكلة أن ريتشارد داوكينز ببرنامج ريتشارد هارديسون يطلب هدف مُحدد منذ البداية يسعى البرنامج إليه، وفي كل مرة يقوم الكمبيوتر بمقارنة النتائج وفحصها للاحتفاظ بالحروف المبرمجة لديه واستبعاد الباقي، إنه تدبير موجه برعاية خاصة وعناية فائقتين وعقل ذكي ووعي وحكمة وإرادة وقصد وهذا غاية ما يحدثكم عنه المؤمن في قضية الخلق.

الكبسولة العاشرة : جدلية التصميم

قد يدعي الملحد أن تفسيرنا لوجود الخالق بناءًا على وجود التصميم، هو مجرد قياس على خبرتنا البشرية، فإذا قلنا له الساعة معقدة تدل على مصمم لها، يقول الملحد: هذا قياس على الخبرة البشرية لا أكثر مستوحى من القياس analogy على سلوك البشر ككائنات عاقلة، لكن في واقع الأمر نحن نقول أن التصميم وإدراك التصميم لا يعيه الإنسان فحسب وإنما كل كائن غير الإنسان، فالتلازم بين شيء يحمل مظاهر التصميم وبين كائن يتمتع بإدراك هو شيء متواتر في الطبيعة وجميع أنظمة الحياة، فهو تلازم موجود قبل أن يوجد الإنسان، وكامن في مظاهر أجناس الحياة، فادعاء أن التصميم مرتبط بالقياس على الخبرة البشرية لا أكثر هو محض ادعاء تفنده كل مظاهر الحياة في كل مكان، بقطع النظر عن وجود الإنسان لكي يفرض ذلك الفرض المشتق من سلوكه ككائن عاقل أو مدرك، فكل الكائنات الحية يصدر عنها من آثار التصميم بقدر ما تحمل من إدراك، كالنحل والعنكبوت والأميبا ونواة الخلية والإنزيمات الهاضمة والهرمونات وكل شيء ، فهناك تلازم بين أي درجة من درجات الإدراك والسلوك التصميمي الناشيء عن ذلك الإدراك، لذلك نحن في موقع القوة لكي نعمم هذا التلازم لأنه لا يوجد ما ينفيه بل هو الأصل في كل أنظمة الوجود، فتقريرنا بوجود المصمم ليس تحكمًا وإنما بناءًا على مشاهدات مطردة لم يخرمها استثناء حقيقي فهو أصل نقطع به حتى يرد ما ينفي هذا الأصل نفيًا لا تقل قوة أدلته على تواتر قوة الادلة الإثباتية التي نحملها، فقضيتنا هي قضية عقلية ومنطقية من

الطراز الأول، والقضية الإلحادية هي قضية لا عقلية ولا منطقية أيضًا من الطراز الأول.
فالتصميم الموجود والدال على المصمم الواعي المدرك الخالق؛ نقول هذا التصميم يشتمل على تعقيد مشهود وتنظيم مرصود وغاية معقولة، وهذا يشمل جميع أنظمة الحياة ولا ينكره عاقل، بل إن سمة التعقيد لا ينفك عنها موجود، والتعقيد دليل مباشر على إرادة، فالتعقيد مرتبة زائدة على مرتبة وجود الشيء، فهل يوجد شيء هو موجود فقط بلا أدنى درجات التعقيد؟ إن كمون صفة التعقيد يشمل الذرة والإلكترون والخلية وبذرة الفاكهة والهرمون وكل شيء في الوجود.
إذن تفسيرنا لا يرتبط بواقع الخبرة البشرية فحسب كما يظن الملحد–مع عدم سذاجة الاحتكام للخبرة البشرية–، ولكنه تفسير لقياس بعض الطبيعة على بعض، فديناميكية طيران طائر العُقاب هي أفضل ديناميكية طيران على الإطلاق، وهي الملهمة لتطوير الأنظمة الحركية لطائراتنا، إذن فالقياس في حال ديناميكية طيران طائر العقاب لم يعد على شيء معهود للخبرة البشرية، إذ ليس للخبرة البشرية هنا سابق عهد بمثل تلك الديناميكية المكتشفة، وإنما قياس للخبرة البشرية على مظهر جديد من مظاهر التصميم.
ونفس الأمر ينطبق على نظام التنظيف الذاتي الذي تستخدمه زهرة اللوتس، فبنية نظام النظافة الذاتي في زهرة اللوتس يحاول البشر مُحاكاته في واجهات ناطحات السحاب حيث يصعب تنظيفها، ومُركب lotusan من إنتاج شركة إسبو يعتمد على تقنية اللوتس، وإن كان أقل كفاءة وفاعلية إذ تنحسر شواطيء خبرة أمهر علماء البيولوجيا الجزيئية وأمهر المهندسين أمام ما يتم اكتشافه في الطبيعة من إبداع تلو الآخر {وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون} ﴿٤﴾ سورة الجاثية، بل إن خبرات البشرية قاطبةً تعجز عن الوفاء بشرح نفحة من نفحات التصميم الكامن في أدق الأنظمة الحية كالخلية، أو أدق الأنظمة المادية في الذرة ونواة الذرة وحديقة حيوان الجسيمات Particle Zoo ، ولكي نُحيط بما بقي من أسرار، علينا أن نُحيط بكلمات الخالق {قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا} ﴿١٠٩﴾ سورة الكهف.
وعلينا أن نُحيط بحدود أمره قبل ذلك {وربك يخلق ما يشاء ويختار } ﴿٦٨﴾ سورة القصص.
بل في واقع الأمر إن الصدفة التي يروج لها الملحد ويدفع بها في وجه الخصم، هي التي تعتبر من قبيل القياس على خبرتنا البشرية لا أكثر، فهي حالة ذهنية تتبع طريقة نظرنا للأمور في تفسير ما حولنا، والواقع أنها لم تخرج خارج نطاق الحالة الذهنية حتى يومنا هذا، فلم يثبت العلم التجريبي أي دور للصدفة في أي نظام تعقيدي، إذ لم يتم رصد أي دور لها في تعقيد نظام حياتي بسيط، بل هي محض افتراض عقلي وحالة ذهنية غير مرصودة ولا واقعة.
وحتى إذا تركنا المنظومة الحياتية وذهبنا إلى المنظومة المادية المجردة، فالتعقيد موجود منذ البدء في الذرة وفي بناء الذرة، ولا دور للصدفة في تحديد كتلة الإلكترون أو كتلة البروتون واللتان تعتبر العلاقة بين كتلتيهما هي العلاقة المثلى لتشكيل ذرة

مستقرة، وكذلك حجم نواة الذرة، ولذا لن تجد حديث عن الصدفة في الفيزياء، لأن شرط الصدفة كما فصلنّا قبل ذلك هو الزمن والزمن لم يظهر إلا مع ظهور العالم، والشرط الثاني للصدفة هو وجود المادة التي تُطبق نفسها عليها، ونفس الأمر نقوله فظهور المادة كان معقدًا قبل أن تعرف الصدفة أنها موجودة هذا في حال وجودها أصلاً.

ولذا لم يتردد داروين نفسه في نفي الصدفة حين قال" لقد عبّرت عن قناعاتي الداخلية، بطريقة واضحة وناصعة أن الكون ليس نتاج صدفة."

Charles Darwin to W. Graham, the Life and Letters of Charles Darwin, vol.1, p.285

بل ويُقر داروين بأن مظاهر التصميم ودلائله شعور يغمر الإنسان بقوة ساحقة.

المصدر السابق.

ثم إنه عندما يتمرد الملحد على الاحتكام لخبرتنا البشرية وقياسنا، فإننا نقول له: بأي دليل من خارجنا نحن مطالبون بالتمرد عليها وعدم الاحتكام إليها؟

فالذي يرى أن قياس تصميم الكون على الأشياء التي صممها الإنسان هو قياس قاصر-ديفيد هيوم- فقد أبعد النجعة؛ فالعلاقة بين الكون وما يصنعه الإنسان قائمة، باعتبار أن كليهما وجود حادث في المكان يتكون من المادة ويحتاج إلى طاقة لتشغيله وإنشاؤه، كذلك فعلامات التصميم في كوننا من الوضوح بحيث لا تحتاج لمقارنة بكون آخر.

ثم إن برهان التصميم والخلق يعتمد على أدلة الإدراك المباشر لكشف التصميم وليس على أدلة القياس، فمثلاً عند نزولك على أحد الكواكب المهجورة ورأيت آلة معقدة فحتمًا ستُدرك أن الآلة تم تصميمها فهو إدراك مباشر وليس دليل عقلي له مقدمات يمكن طرحها للتفنيد.

بل إن كارل ساغان الملحد الشهير يعتبر في مسلسل cosmos الكوني أن رصد أي إشارة معقدة من الفضاء الخارجي سيعني نشأة حضارة عملاقة تحاول التواصل معنا.

مجرد إشارة تحمل بضعة بتات-حروف- توفر دليل عقلي يكفي الملحد للإستدلال على وجود حضارة عملاقة وحياة وتقانة عالية في ناحية ما من الكون، في حين نفس الملحد يتظاهر بأن 3 بليون رسالة داخل الجينوم تحمل شفرات ورسائل وظيفية غاية في التعقيد لا تمثل أي حكمة أو إرادة{وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا } ﴿١٤﴾ سورة النمل.

بل إذا وجد علماء الحفريات إناء في منطقة ما من العالم، فإنهم يبحثون فورًا عن حضارة مندثرة في تلك المنطقة لمجرد وجود إناء.

بل إن برهان التصميم طرح يقوم بذاته دون الحاجة لمشابهة ما نرى أو قياسه على ما نقوم به.

فالتشبيه بمصنوعاتنا لتسهيل التصور بالنسبة لعقولنا لا أكثر.

ولذا فأدلة القرآن في أكثرها لا تدعو إلى دليل قياس عقلي، لكن تستخدم المنهج الأقوى دلالةً وهو لفت النظر مباشرةً لأدلة الصنع والتصميم والعناية والخلق {سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد} ﴿٥٣﴾ سورة فصلت.

كبسولة الحادية عشر : لماذا الإسلام وليس دين آخر

الإسلام ليس فِرقة من الفِرق ولا عقيدة من بين عقائد الأرض، حتى يوضع في مجال مُقارنة مع باقي الديانات .. بل هو أصل الأديان والعقائد والعبادات، وهو أنقى أديان التوحيد.

فالإسلام هو تصحيح لمسار الديانات التي انحرفت، وإعادة لنهج أنبياء العهد القديم من لدن آدم إلى نوح وصالح وأيوب وهود وإبراهيم وموسى وداوود ويونس وهارون وعيسى .. فعقيدة هؤلاء جميعًا هي عقيدة الرب إلهنا رب واحد بلفظ التوارة والإنجيل .. هذه العقيدة التي لا تعرف تثليث ولا أقانيم ولا موت آلهة منتحرة، ولا انتزاع آلهة من آلهة أخرى – انتزاع الروح القدس من الآب – ولا آلهة قومية .. يقول تعالى {شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب} ﴿١٣﴾ سورة الشورى

وقال تعالى : {إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داوود زبورا} ﴿١٦٣﴾ سورة النساء

إذن فالإسلام ليس ديانة كالديانات وإنما هو أصل الديانات، وتصحيح للخلل الذي أصاب الديانات وبالأخص اليهودية والمسيحية في نسختيهما العهد القديم والجديد.

يقول د.الطيب بو عزة :" يؤكد القرآن دائماً دور الكتب المقدسة في المسألة التوحيدية ومع ذلك يؤكد القرآن دائماً على إخراج الذات الإلهية من نطاق الأنانية اليهودية — حيث الرب القومي لليهود –، والتعدد المسيحي — حيث عقيدة الثالوث الموغلة في التشويش والارتياب –، فالله ربُّ العالمين – واحدٌ أحدٌ ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير –، ولذا فقد خرجت التعديلات اللاهوتية اللاحقة على اليهودية والمسيحية على يد توما الاكويني وموسى بن ميمون كإفراز لقراءتهم المنشور الإسلامي في عقيدته الصافية بالله، والتي شوهتها معاصى اليهود والمسيحيين ، فحاول الرجلان تنسيق ديانتيهما بما يتناسب مع المنشور الجديد الذي سيجذب كل أتباع الديانات إليه إذا لم يحدث تدخل سريع لمواربة الصدع ومحاولة التقرب من عقيدة الإسلام النقية ، وإثبات أن كلتا العقيدتين الأخريين بناؤهما الأصلى وعمادهما أيضاً على توحيد

الله في الصيغة النهائية .. فالتحسينات التي أُدخلت على العقيدتين لم يكن منها مناص لإيقاف أفواج الداخلين في الدين الجديد."

الكبسولة الثانية عشر: لماذا الله وليس زيوس أو ميثرا أو كرشنا؟

لا يوجد معبود في جميع ديانات الأرض إلا الله .. وخلافنا مع بقية الأديان ليس لأنهم لا يعبدون الله، ولكن لأنهم جعلوا لله شركاء في الدعاء والطلب والتصرف في الكون .. فجميع أديان الأرض تعبد الله وهو عندها الخالق العظيم .. حتى أكثر الديانات إغراقا في الوثنية؛ لكنهم جعلوا له شركاء متشاكسون نسبوهم للخالق واعتبروهم أدنى منه منزلة – آلهة صغيرة – Subordinationism.

ففي الكعبة مثلاً ذلك المكان الصغير كان يوجد ثلاثمائة وستون صنمًا، هُدمت كلها يوم فتح مكة.. لكن هذه الأصنام كانت تُتخذ وسائط متعددة لإله واحد ... قال القرآن على لسانهم {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى }[الزمر3].
ما يعبدونهم إلا تقربًا وواسطة إلى الله، وقد ألغى الله الواسطة بينه وبين خلقه على لسان جميع أنبيائه، ولذا يقول تعالى :{وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}[لقمان25].
يقول الشهرستاني عن أوثان العرب قديمًا :–" أما الأصنام فلم يكن العرب يعبدونها لذاتها، ولم تكن عندهم مجرد قطعة من حجر" .

بل إنه يوجد في الهند قريبًا من أربعة آلاف من الآلهة، وهذا لا مثيل له في العالم، ومع ذلك يُنظر لهذه الكثرة الكاثرة من الآلهة أنها صور وتجسيدات للكائن الواحد الأعلى – الله سبحانه وتعالى –، وهذا ما ذكره التقرير المرفوع إلى الحكومة البريطانية في الهند وفيه أن : النتيجة العامة التي انتهت إليها اللجنة من البحث هي أن كثرة الهنود الغالبة تعتقد عقيدة راسخة في كائن واحد أعلى . المصدر :– قصة الحضارة للملحد [ول ديورانت] مجلد 3 ص 209
ويرى [ول ديورانت] أن هذه الألوف من الآلهة هي نفس ما تفعله الكنائس المسيحية من تقديس لآلاف القديسين فلا يتطرق إلى ذهن الهندي ولو للحظة واحدة أن هذه الآلهة التي لا حصر لعددها لها السيادة العليا .. المصدر السابق
ولذا فقد كان النزاع بين الرسل وأقوامهم في توحيد الألوهية " إفراد الله بالعبادة "، لا في توحيد الربوبية "إفراد الله بالخلق "، ولهذا لم يَرِد التكليف بمعرفة وجود الصانع وإنما ورد بمعرفة التوحيد ونفي الشريك .. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :" ومن ظن في عباد الأصنام أنهم كانوا يعتقدون أنها تخلق العالم أو أنها تنزل المطر أو أنها تنبت النبات أو تخلق الحيوان أو غير ذلك، فهو جاهل بهم بل كان قصد عباد الأوثان لأوثانهم من جنس قصد المشركين بالقبور للقبور المعظمة عندهم "مجموع الفتاوى 1–359

فتوحيد الله فطرة البشر جميعًا ... والجميع يؤمنون بالخالق، فالغريزة الدينية التوحيدية توجد في كل الأعصار والأصقاع وهي إحدى النزعات الخالدة للإنسانية .

الكبسولة الثالثة عشر :الرسل والرسالات

التعرف إلى الرسل والأنبياء لا يحتاج إلى كثير ذكاء، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– في رائعته ثبوت النبوات : " مُدَّعي النبوة إما أن يكون أصدق الصادقين أو أكذب الكاذبين ولا يُلبس هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين ، وقد أسلم السابقون الأولون أمثال أبي بكر الصديق وخديجة والمبشَّرين قبل انشقاق القمر والإخبار بالغيب والتحدي بالقرآن ..".

ويقول رحمه الله :" وكثيرٌ من الناس يعلم صدق المخبِر بلا آيةٍ البتة ..، وموسى بن عمران لما جاء إلى مصر وقال لهم إن الله أرسلني علموا صدقه قبل أن يُظهر لهم الآيات .. ، وكذلك النبي لما ذكر حاله لخديجة وذهبت به إلى ورقة بن نوفل، قال هذا هو الناموس الذي يأتي موسى .. وكذلك النجاشي وأبو بكر علموا صدقه علماً ضرورياً لما أخبرهم بما جاء به، وما يعرفون من صدقه وأمانته، مع غير ذلك من القرائن يوجب علماً ضرورياً بأنه صادق، وخبر الواحد المجهول من آحاد الناس قد تقترن به قرائن يُعرف بها صدقه بالضرورة، فكيف بمن عُرف بصدقه وأمانته وأخبر بمثل هذا الأمر الذي لا يقوله إلا مَن هو أصدق الناس أو أكذبهم وهم يعلمون أنه من الصنف الأول دون الثاني".

يقول الفيلسوف زكي نجيب محمود في كتابه "موقف من الميتافيزيقيا" يقول: " ليس مدار التسليم برسالة النبي على ما يقدمه من برهان عقلي، بقدر ما يكون مدار التسليم مبنياً على صدق صاحب الرسالة وأمانته ."

ويقول مالك بن نبي في كتابه الظاهرة القرآنية ص87: "ثم إنَّ مبعث نبيٍّ ما ليس حدثاً فرداً ليكون غريباً نادراً بل هو على العكس من ذلك ظاهرة مستمرة تتكرر بانتظام واستمرار، ظاهرة تتكرر بالكيفية نفسها، وهذا يُعد شاهداً علمياً يمكن استخدامه لتقرير مبدأ وجودها بشرط التثبت من صحة هذا الوجود بالوقائع المتفقة مع العقل ومع طبيعة المبدأ ".

ثم إن الكثير من الأنبياء كيونس وأرميا ومحمد –عليهم الصلاة والسلام– أرادوا أولاً أن يتملصوا طواعيةً من دعوة النبوة فقاوموا وخافوا وابتعدوا في باديء أمر دعوتهم، ولكن دعوتهم استولت عليهم أخيراً، فمقاومتهم تدل على التعارض بين اختيارهم والحتمية التي تطوق إرادتهم وتتسلط على ذواتهم، وفي هذه الدلائل قرينة قوية للنظرية الموضوعية عن الحركة النبوية .

التحدي بالمعجزات *

بعد أن تبدأ دعوى النبوة يظهر التحدي زيادةً في الإثبات وإعظاماً للحجة وتوكيداً للخبر والرسالة ، وقبل أن يبدأ التحدي لابد أن يمتلك القوم الذين أُرسل فيهم النبي ناصية ما يتحداهم بهم ، ويكونون فيه المرجع بل والحَكَم حتى إذا

ما انتصر عليهم كانوا هم الحاكمين على أنفسهم بالخيبة.

ولما سمع الوليد بن المغيرة من النبي قوله تعالى {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ }(النحل:90) قال :-" والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر وما هو بقول بشر ." فقد رقّ قلبه وقال والله ما يشبه الذي نقول شيئاً من هذا.

ولذا اجتمعت كلمة وفود العرب على ألا يسمعوا للقرآن ولا يُسمِعوه أهليهم ، واعتبروا أن هذا هو السبيل الوحيد لمقاومة التحدي بمثل هذا القرآن {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ }(فصلت:26).

فقد جاء القرآن في درجة من البلاغة لم يُعهد مثلها في تراكيب العرب، وكانت فصاحة العرب أكثرها في وصف المشاهدات والغزل والتغني بالأمجاد ، وكان الشاعر الذي يتقن المديح يضعف عند غيره، والقرآن جاء فصيحاً في كل فن على نفس المستوى والنسق ، وجاء القرآن للتأسيس لمنهج حياة في الاقتصاد والسياسة والعبادة وما يُحَسِّن الدين والدنيا دون أن يخرج عن قالبه البلاغي .

وقد رأى العرب أن تجميع الجيوش وتحزيب الأحزاب وتأليب القبائل لمحاربة رسول الله أهون وأيسر من معارضة القرآن وقبول التحدي ..، فكانوا يؤلبون القبائل من ناحية ويقولون لا تسمعوا لهذا القرآن من ناحيةٍ أخرى، فهذا بالغ جهدهم في معارضة الدين الجديد .. ، ثم إنهم كانوا يختبئون فرادى يستمعون القرآن من فرط انجذابهم لسحره حتى إذا تقابلوا قرب الفجر أجمعوا ألا يعودوا لمثلها وهكذا ...

إذن كان التحدي صريحاً وواضحاً في لغته وبيانه.

أيضاً اشتمل القرآن على تحدي لم يعهده البشر من قبل، إنه تحدٍ بالغيب وما سيحدث في مستقبل الأيام ،فقد أخبر الله رسوله أنه سيرده إلى معاد أي مكة {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ }(القصص : 85) بعد أن خرج منها مهاجرًا بدينه إلى المدينة وقد تم .

وأخبره أنه سيدخل المسجد الحرام وصحابته محلقين رؤوسهم ومقصرين وقد تم{ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ }(الفتح : 27).وأخبره أنه بعد دخول المسجد الحرام سيكون فتحٌ آخرُ وهو فتح خيبر وقد تم{ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً }(الفتح : 27).

وأخبر الله تعالى أنه سوف يغني قريشاً وقد تم {فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ }(التوبة:28).

وتحدى القرآن اليهود أن يتمنوا الموت بأن يقولوا نحن نتمنى الموت فخافوا ؛ لأنهم يعلمون أن من تمنى الموت في تلك الساعة فهو حتماً سيموت، مع أن التحدى لو أجابوا له ولم يموتوا لسقطت الدعوة، قال ابن عباس لو تمنى اليهود الموت لماتوا .. فما تمنوه على حرصهم الشديد على تكذيبه صلى الله عليه وسلم{ فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ .. وَلَن

يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمينَ }(البقرة : 95).

أخبر القرآن أن الوليد بن المغيره سيموت على الكفر وقد كان{ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ }(المدّثر : 26).

وأخبر أنه رُزق ببنين كثيرين، وأنه يطمع في الزيادة لكن {كلا إنه كان لآياتنا عنيدا وقد كان .كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً}(المدّثر : 16) ولو رُزق ببنين آخرين ولو أسلم لانتهت الدعوة ..!!

أخبر صلى الله عليه وسلم أم حرام بنت ملحان أن أُناساً من أمته سيركبون البحر غزاةً في سبيل الله وستكون هي أول الشهداء في غزاة البحر وقد كان .

أخبر صلى الله عليه وسلم بوفاة النجاشي في اليوم الذي مات فيه وصلى عليه صلاة الغائب وقد كان .

وأخبر صلى الله عليه وسلم أننا سنقاتل الترك صغارَ الأعين حمرَ الوجوه ذلفَ الأنوف كأن وجوههم المجال المطرقة ،يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-: " وهؤلاء الطوائف كلها قاتلهم المسلمون وهؤلاء هم التتار وهذه هي صفتهم ." الجواب الصحيح 2-81 .

إخباره صلى الله عليه وسلم بحدوث الردة مع أن هذا كان مستبعداً تماماً في عصره، وكان الناس يأتون للدين أفواجاً وتُسلخ ظهورهم لتركه فما يزيدهم هذا إلا تمسكاً وقد كان .

طبقا للمبدأ البوكيلي Bucaillism – وهو مبدأ علمي محايد – القرآن هو الكتاب المقدس الوحيد الذي لا يوجد به خطأ علميٌّ واحدٌ رغم أن عمره 1400 عام، وهذا مستحيل علمياً لأنه طبقا لنفس المبدأ فقد كتب أرسطو ثلاث كتب علمية "في الطبيعيات .. في السماوات .. في الأرض" هذه الكتب الثلاثة لا توجد اليوم فيها جملة واحدة صحيحة علميًا

النبوءة التاريخية الكبرى

{ غلبت الروم ﴿٢﴾ في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ﴿٣﴾ في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون ﴿٤﴾ بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ﴿٥﴾ وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴿٦﴾} سورة الروم.

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتنبأ بانتصار المهزوم –الروم- الذي يكاد يستسلم لخصمه، ويحدد موعداً دقيقاً لهذا النصر الذي ما من شيء أبعد في تحققه منه.

اشتدت المعارك بين الروم والفرس خلال الفترة التي كان فيها المسلمون في مكة يعانون الأمرين من المشركين فقد كان أبرويز قد قاد حملة فارسية سنة 611 توّجت بانتصار كاسح على الروم في معركة أنطاكية — قرب البحر الميت – سنة 614 وكان هذا الخبر قد أحزن الرسول –صلى الله عليه وسلم- وأفرح المشركين .

فجاء القرآن الكريم بتحديات غيبية معجزة وعجيبة :

1- أن الروم غُلبت في أدنى الأرض – أي أخفض منطقة بالعالم وبالفعل هذه المنطقة تقع قرب البحر الميت وهي التي وقعت المعركة قريبًا منها .

اخفض منطقة بالعالم قرب البحر الميت wiki/extretremes-on-earth/http://en.wikipediaorg

2- يقرر القرآن الكريم في وعد عظيم ومدهش أن الروم بعد هزيمتهم سينتصرون في بضع سنين وهذا وعد الله لا يخلف الله وعده .

وهو ما دفع أبو بكر الصديق –رضي الله عنه- للرهان مع أهل قريش أن الروم ستنتصر في بضع سنين من 3-9 سنوات.

الآن نعود لمعركة أنطاكية وبعد هذه المعركة التي حدثت كما ذكرنا عام 614 م وطيلة تسع سنوات لم تكن الروم تقف في وجه الجيوش الفارسية، بل كانت المدن تتوالى ساقطةً واحدة تلو أخرى وكان أبرويز يحرق الكنائس ويذبح الآلاف، حتى يروى أنه في القدس وحدها قتل تسعين ألفًا من المسيحيين ثم انتزع منها أقدس رمز ديني عند الروم وهو صليب الصلبوت وكانت هذه علامة على نهاية الروم.

الآن لا يوجد أدنى بصيص أمل في الأنتصار مجددًا وإلى عام 616 كان الفرس لهم الزعامة في العالم وانتزعوا الإسكندرية عام 616 م ووصلنا الآن إلى العام 619 م والفرس ينتصرون ويسحقون الروم سحقًا، ولم يبق على انتهاء المهلة التي حددها القرآن إلا أربع سنوات وفي هذه الفترة كان هرقل ملك الروم غارقًا في اللهو والخمر ومعاقرة النساء، وتتساقط منه الدول والمدن بلدًا بعد الآخر وقد سقطت منه مصر في تلك الأثناء وصارت تابعة للفرس .. ثم فجأةً تحدث اليقظة المفاجأة لهرقل – على حد تعبير كتّاب التاريخ - فيهجر ليالي الملذات ويركب الفرس ويمتشق السلاح!!

ثم في المقابل أيضًا حدثت ظاهرة مماثلة لكنها معكوسة، إذ نجد أبرويز يتوقف فجأةً عن القيادة ، وينغمس في اللهو على نحوٍ مفرط ، حيث سيعتزل في قصر بدستجرد لينغمس في الملذات ،وكان شغله الشاغل هو تحفيز النحاتين على نحت تمثال لشيرين أجمل زوجاته اللاتي بلغ عددهن ثلاثة آلاف!!

وبدأت المناوشات بين الروم والفرس تصب في صالح الروم لأول مرة وظلت المناوشات تزداد يومًا بعد يوم في صالح الروم إلى أن حدثت المعركة بين الروم والفرس عام 623 واسترد الروم ليس أنطاكية فحسب بل كل بلاد الشام من الفرس أي بعد الهزيمة بتسع سنوات تمامًا كما تنبأ القرآن، و سنة 624 م كان طرد الفرس من سوريا يوم نصر بدر . و ظل هرقل زاحفًا حتى احتل عاصمة فارس واسترجع منها صليب الصلبوت .

ما الذي يدفع القرآن للحديث عن نبوءة كهذه ؟ لو لم تقع ولو استمر هرقل غارقًا في ملذاته لسقطت الدعوة ...!!

لكن القرآن تحدث عن ذلك وتحققت نبوئته، فكان أول انتصار للروم من بعد هزائمهم المتتالية بعد تسع سنوات بالضبط من هزيمتهم في أنطاكية.

يقول المؤرخ إدوار جِبن Edward Gibbon "في ذلك الوقت، حين تنبأ القرآن بهذه النبوءة، لم تكن أية نبوءةٍ أبعدَ منها وقوعاً، لأن السنين العشر الأولى من حكومة هرقل كانت تؤذن بانتهاء الإمبرطورية الرومانية"

تاريخ انحدار وسقوط الإمبراطورية الرومانية، المجلد 5 ص74، طبعة جيه دي موريس.

*من وحي مقالات د. الطيب بو عزة على منتدى التوحيد.

الكبسولة الرابعة عشر : الظاهرة القرآنية

الظاهرة القرآنية هي الظاهرة المستحيلة .. ، مستحيلة التكرار مستحيلة التحدي مستحيلة المقابلة مستحيلة المقارنة بغيرها في بدايات الدعوة وفي الوقت الذي كانت الدعوة تعاني فيه الأمَرَّينِ تقررت عالمية القرآن وتقرر بقاؤه إلى يوم الدين {لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ}(الروم:56).

يقول البروفيسور بوسورث سميث : "لقد ادعى محمد لنفسه في آخر حياته نفس ما ادعاه في بداية رسالته ".

ظهر القرآن وخرجت الظاهرة القرآنية لتخلق من الهباء أُمةً ضخمة وتستبقي على القرون جيلاً من الناس ما كانوا ليدخلوا التاريخ أبداً لولا نهوض هذا الكتاب بهم، وقد تقررت هذه الحقيقة في اللحظات التي كانت فيها الدعوة على المحك {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ} (الزخرف : 44)

والقرآن أصدق وأوثق وثيقة تاريخية على الإطلاق ، يقول شاخت المتحامل على الاسلام" : إنه ليس هناك من شك في قطعية ثبوت القرآن وتنزهه عن الخطأ."

ويقول وليم ميور: "القرآن هو الكتاب الوحيد في الدنيا الذي بقي نصه محفوظاً من التحريف طيلة ألف ومائتي عام ".

لقد كانت الظاهرة القرآنية مباغتة في إعجازها البياني، فالأسلوب البلاغي وبهذه الصياغة لم يعهده العرب في قوالبهم القوية أو في بحور أشعارهم الزجلة فجاء القرآن مباغتاً في ثوريته البلاغية وبلا أي تمهيدٍ على مستوى البيان عبر العقود التي سبقت الرسالة.

والمجاز القرآني ليس مثل أشعار العرب، فهو لا يعكس مناخ الصحراء ولا كائنات الصحراء العربية ولا خيال الصحراء العربية ، فهو لوحة شاملة رائعة تختلط فيها الأنهار التي تجري في المروج الخضر مع الظلمات التي في البحار اللجية .

والظاهرة القرآنية في استقلال تام عن ذات موضوع النبي ، فالنبي يتعرض لنكبات ونكبات مثل موت خديجة وموت عمه وحارسه أبو طالب، ولا نجد لذلك أثراً في القرآن مع أن الفارق بين موتهما كما في بعض الروايات لم يزد على ثلاثة أيام ،

ومع أن هاتين الحادثتين تركتا أثرهما المدَوِّي الرهيب على حياة رجلٍ كان حتى آخر لحظاته يبكي خديجة وأبا طالب عندما كان اسمهما يُذكر أمامه، وعلى الرغم من ذلك لا نجد أي صدىً لموتهما في القرآن، ولا نجد كلمة خديجة في القرآن كله بل ولا يوجد اسم لأي امرأة في القرآن كله إلا مريم التي لم تكن لها علاقة بحياته البتة .

ومريم ذُكرت في القران34مرة بينما لم يذكر أي اسم أي زوجة من زوجات النبي – صلى الله عليه وسلم –. وعيسى – عليه السلام– ذُكِر في القرآن 25 مرة بينما رسولنا – صلى الله عليه وسلم –4مرات ... ، وكاد القرآن أن يكون لموسى– عليه السلام – كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية– رحمه الله –هذا في جانب القصص ..

أما في جانب تقييم البشر فقد أسس القرآن لأرقى وأدق ميزان في تقييم البشر ألا وهو التقوى ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية– رحمه الله– : "ليس في كتاب الله آيةٌ واحدةٌ يُمدح فيها أحدٌ بنسبه ولا يُذم أحدٌ بنسبه." مجموع الفتاوى ابن تيمية رحمه الله 35 /230

أما في جانب العقيدة والتوحيد فالقرآن هو منتهى الرقي في تنقية العقيدة التوحيدية من أية شوائب كفرية، يقول د.الطيب بو عزة :" يؤكد القرآن دائماً دور الكتب المقدسة في المسألة التوحيدية ومع ذلك يؤكد القرآن دائماً على إخراج الذات الإلهية من نطاق الأنانية اليهودية — حيث الرب القومي لليهود –، والتعدد المسيحي — حيث عقيدة الثالوث الموغلة في التشويش والارتياب –، فالله ربُّ العالمين – واحدٌ أحدٌ ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير –، ولذا فقد خرجت التعديلات اللاهوتية اللاحقة على اليهودية والمسيحية على يد توما الاكويني وموسى بن ميمون كإفراز لقراءتهم المنشور الإسلامي في عقيدته الصافية بالله، والتي شوهتها معاصي اليهود والمسيحيين ، فحاول الرجلان تنسيق ديانتيهما بما يتناسب مع المنشور الجديد الذي سيجذب كل أتباع الديانات إليه إذا لم يحدث تدخل سريع لمواربة الصدع ومحاولة التقرب من عقيدة الإسلام النقية ، وإثبات أن كلتا العقيدتين الأخريين بناؤهما الأصلى وعمادهما أيضاً على توحيد الله في الصيغة النهائية .. فالتحسينات التي أُدخلت على العقيدتين لم يكن منها مناص لإيقاف أفواج الداخلين في الدين الجديد."

والقرآن الكريم كتاب أدبي وعقيدي في نفس الوقت وبنفس الدرجة، مهمته الأصلية هي تُقديم مجموعة من الحلول للمشكلتين الخالدتين ألا وهما " المعرفة " و " السلوك " ، وداخل هذه الوحدة الأدبية تتوافر الدقة العلمية والدقة المعرفية لأنه كتاب موحى به من خالق السماء والأرض، ولذا فالقرآن هو الكتاب المقدس الوحيد على وجه الأرض الذي يخلو من خطأ علمي واحد وهذا بحد ذاته أعظم إعجاز علمي على الإطلاق، بل إنني أقول أعطني كتيب أو مطوية صغيرة مكتوبة منذ مائتي سنة فقط تصف أي شيء من الوجود وسأُخرج لك منها أخطاء علمية صريحة، فقد كَتب أرسطو ثلاثة كتب علمية " في الطبيعيات، في السماوات، في الأرض " هذه الكتب الثلاثة لا توجد اليوم فيها جملة واحدة صحيحة

علميًا، وكان أرسطو يرى أن أسنان المرأة تختلف في العدد عن أسنان الرجل، ويوجد في صدر المرأة 3 ضلوع فقط، ووظيفة المخ تبريد الدم بينما وظيفة القلب تسخينه، وكان يرى أن المياه الجوفية تتكون نتيجة فجوة في قلب الأرض تنقل مياه المحيط إليها، بينما يقول القرآن في هذه المسألة الأخيرة مثلاً خلاصة ما توصل له العلم منذ عقود قليلة فقط، وهو أن المياه الجوفية مصدرها مياه الأمطار {ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض } ﴿٢١﴾ سورة الزمر، فمصدر المياه الجوفيه هو الينابيع المتكونة من الأمطار، وليس فجوة أرسطو التي في عمق القارة.

فمعجزة الضبط المعرفي للقرآن الكريم هي عندي أعظم معجزة علمية على الإطلاق، مع أنه كتاب ضبط للمعرفة والسلوك في المقام الأول، وطبقا للمبدأ البوكيلي Bucaillism – الذي قام بصكه موريس بوكاي منذ عقود قليلة– فإن القرآن الكريم بعد مراجعة علمية دقيقة هو الكتاب الوحيد الذي لا يوجد به خطأ علمي واحد رغم أن عمره 1400 عام، تخيلوا لو أن نصًا واحدًا من أكثر الكتب تحريفًا على الإطلاق كالفيدا – الكتاب المقدس للهندوس– كان موجودًا في كتاب الله ؟

تقول الفيدا أن: الأرض ثابتة لا تتحرك " الريج فيدا 2-12-12"، وخلق الله الأرض ثابتة" ياجور فيدا 32-6".

والشمس تدور حول الأرض داخل عربة ذهبية يقودها سبعة أحصنة " ياجور فيدا 33-43"، والثور يُثبت السماء" ياجور فيدا 4-30"، –والياجور فيدا هي أحد الكتب الأربعة القانونية المقدسة لدى الهندوس–.

ويقول الفيشنو بارانا أن الشمس تبتعد عن الأرض 800 ألف ميل بينما علميًا 93 مليون ميل ويقول أيضًا أن الشمس أقرب للأرض من القمر.

ويقول الآثارفا فيدا وفي خضم الماء يدور القمر" آثارفا فيدا 18-4-89".

وغيرها الكثير، مع أن كتب الهندوسية يتم تحريفها كل 500 عام تقريبًا ، فالحمد لله على الدين الخاتم المعصوم المحفوظ ، الذي بلغه لنا أشرف الخلق محمدًا صلى الله عليه وسلم، كاملاً غير منقوص.

والآن هل القرآن هو وحيٌ مُنزلٌ من الرحمن يقول دكتور محمد عبد الله دراز –رحمه الله– في كتابه النبأ العظيم ص 21 :

" القرآن إذن صريح في أنه لا صنعة فيه لمحمد – صلى الله عليه وسلم– ولا لأحدٍ من الخلق، وإنما هو منزل من عند الله بلفظه ومعناه ومن العجب أن يبقى بعضُ الناس في حاجة إلى الاستدلال على الشطر الأول من هذه المسألة وهو أنه ليس من عند محمد .

في الحق أن هذه القضية لو وجدت قاضياً يقضي بالعدل لاكتفى بسماع هذه الشهادة التي جاءت بلسان صاحبها على نفسه، وأي مصلحةٍ للعاقل الذي يدّعي لنفسه حق الزعامة ويتحدى الناس بالأعاجيب والمعجزات لتأييد تلك الزعامة ، أي مصلحةٍ له كي ينسب بضاعته لغيره ولو انتحلها لما وجد من البشر أحداً يعارضه ويزعمها لنفسه .. ، بل وشهد

الرسول على نفسه بالعجز {قُل لَّوْ شَاء اللّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ}(يونس:16)"

إنها قضية عادلة قضية محايدة ، قضية عقلية منطقية، قضية منتهية، وهي التسليم بأن القرآن الكريم موحًى به من عند الله

الكبسولة الخامسة عشر : لو كنّا أبناء الطبيعة فلا معنى للثقة بعقولنا

الذي يزعم أن الإلحاد هو فلسفة عقلية هو أجهل الناس بالعقل، لأن لازم قوله بإلحاده هو تطوره عن كائنات أدنى وبالتالي ليس لعقله ثقة ولا لمعرفته قيمة، يقول تشارلز داروين " ولكن هنا يراودني الشك الآتي: هل يمكن أن يكون عقل الإنسان، والذي أؤمن إيمانًا جازمًا أنه تطور عن عقل كذاك الذي تمتلكه أدنى الكائنات، محلاً لثقتنا وهو يُدلي بتلك الاستنتاجات العظيمة."

Charles Darwin to W. Graham, the Life and Letters of Charles Darwin, vol.1, p.282

وبالتالي فلا يكون العقل عقلاً إلا بإثبات الخالق أولاً.

وقد طوّر الفيلسوف ألفن بلانتيجا Alvin Plantiga نواة هذا البرهان الذي تحدث عنه داروين، فقد قال بلانتيجا: إذا كان العقل قد طورته الطبيعة لتحقيق غاية بقاء النوع كما تفترض الداروينية في صورتها المعيارية، فإن هذا يعني أن أحكام العقل الأُخرى إما ثانوية أو لا وزن لها، فتحقيق غاية البقاء ممكن من دون الحاجة إلى الوعي بقيمتي الحق أو الباطل، أو القيمة أو الأخلاق أو الأدب أو المعرفة، والدليل من الواقع على إمكان ذلك هو عالم البهائم، فالتطور أصم أبكم أعمى غير آبه بالقيمة المعنوية لهذه الأحكام، وهذا يلزم عنه ألا يستمسك ملحد ولا يثق بأيٍ من أحكامه العقلية، بل كل حكم عقلي أو تقييم معرفي يراه يجب أن يفترض أنه لغوٌ فارغ بلا معنى، لكن البشر يتملكهم شعور اضطراري بأنه يجب عليهم أن يثقوا في قيمة أحكامهم ولا يتأتى ذلك إلا بافتراض تميز موقعهم الإدراكي من أصله.

يقول الناقد الأيرلندي الشهير كليف لويس C. S. Lewis " لا يمكن لاقتناعنا بأن الطبيعة تعكس نظامًا أن يكون أهلاً لثقتنا إلا إذا اعتبرنا نوعًا خاصًا من الميتافيزيقيا صحيحًا."

ويقول أيضًا:" إذا كان الحق الذي نؤمن به هو بدرجة ما شبيه بنا، أي: إذا كان نفسًا عاقلة صدرت عنها أنفسنا العاقلة، ففي هذه الحالة يمكننا بالفعل أن نثق فيه." غير ذلك فالحق الذي نؤمن به هو بلا معنى ولغو فارغ.

.Nathan, N. M. L. , Naturalism and Self-Defeat, p.135

فإذا كان الإلحاد صحيحًا فهو غير صحيح، فلو كنَّا أبناء هذا العالم لما كان لأحكامنا العقلية معنى.

* من وحي كتاب ثلاث رسائل، د. عبد الله الشهري.

الكبسولة السادسة عشر : ما هو الخير الذي يوجد في الليبرالية والعلمانية ولا يوجد في الإسلام؟

العلمانية بها ما يسمى احتراف التأييد واحتراف المعارضة، فلا يصح للمعارضة أن تؤيد قرار الحزب المخالف بل هي معارضة على الدوام ، أَفَيُرَادُ تمثيل هذه اللعبة في الإسلام ليقال عنا ديموقراطيون ومتحررون؟ بل المسلم يدور مع الحق حيث دار، ولا توجد حزبية إلا حزبية الحق متى رأى الحق اتبعه ولو كان فريدًا في دربه، أما أن يكون تداول الحكم أصلاً في ذاته ويُمارَس فقط بغية الوجاهة والعصرانية فأمرٌ لا تفسيرَ له إلا أنه اتباعٌ ساذج.

يقول تي . بي .ارفنج الأستاذ بجامعة تنيسي الأمريكية : "أعطوني أربعين شاباً ممن يفهم الإسلام فهماً عميقاً ويُحسنون عرضه بأُسلوب العصر وأنا أفتح الأمريكتين."

المصدر: سقوط العلمانية ونهاية اسرائيل.... الاستاذ محمد شهدي ..... دار الوفاء ص91

يقول هنري دي شامبون: "لولا انتصار جيش شارل مارتل على المسلمين في فرنسا لما دخلت فرنسا العصور المظلمة" ...

ويقول لافيس: "كم من الأحزان والأوجاع كان يمكن إنقاذ البشرية منها لو لم يوقِف شارل مارتل فتوح العرب ."

إن مجرد وجود الإسلام النظيف خطر على القيم الهابطة والمادية الطاغية وكل فكرٍ شاذ، بينما في المقابل أعلن الغرب إفلاسه فلسفياً واكتشف أخيراً إفلاس مبدأ اللذة والمنفعة في جلبه السعادة للإنسان وظهرت أزمة المعنى، وبدأ الغرب يتطلع إلى حضارات العالم باحثاً من جديد عن الحكمة!

يقول شبنجلر: "ليس هناك احتمال في ظهور دين جديد أو فلسفة إنقاذ جديدة لأن تربة الغرب أصبحت منهوكة ميتافيزيقيا ."

المصدر: سقوط العلمانية ونهاية إسرائيل.... الأستاذ محمد شهدي ..... دار الوفاء ص73

فجماهير الشعوب المقهورة تطمح في مسيحية ذات برنامج اشتراكي أو اشتراكية غير ملحدة أو بكلمة واحدة إسلام ! وفي الإسلام إذا قَتَلَ الخليفة يُقتل ، أما في الدولة المدنية فلابد من موافقة ثلثي أعضاء المجلس وهذا متعذر، وعندما قام عمر– رضي الله عنه– يخطب على المنبر وقال:" أيها الناس اسمعوا وعوا، قال سلمان :لا سمع ولا طاعة ، فما غضب عمر وما انتقم بل استفسر وبحث. فقال سلمان –رضي الله عنه– من أين لك هذا البُرد الذي ترتديه ؟ وعندما علم أن ابنه عبد الله أعاره إياه قال: الآن نسمع ونُطع، وقال سلمان: والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناك بسيوفنا."

الكبسولة السابعة عشر: مُخ الذكر يختلف تماماً عن مُخ الأُنثى، ولا وجود مادي أو بيولوجي للمُساواة ...

الملحد الذي يطالب بحقوق المرأة هو أكفر الناس بالإلحاد وأجهل الناس بالمادية، فحقوق المرأة هي مسألة دينية بحتة، وإذا لم يكن الله موجودًا، فالناس بجلاء وبلا أمل غير متساوين، وتأسيسًا على الدين فقط تستطيع المرأة أن تطالب بحقوقها!
فمن منظور مادي يستحيل التأسيس لحقوق المرأة، وطبقًا للأكاديمية الأمريكية للعلوم العصبية American Academy of Neurology أكثر الجهات في العالم تخصصاً في علوم المخ والأعصاب، وهي تضم أكثر من 15.000 عضو من العلماء المتخصصين من كل أنحاء العالم، هذه الأكاديمية العملاقة أذاعت بياناً على الصحافة والإعلام في ختام مؤتمرها الدولي السنوي الحادي والخمسين، والذي عُقد في تورنتو بكندا في أبريل 1999
وجاء في البيان: " لا شك أن هناك فوارق بين المخ الذكوري والمخ الأنثوي، فبينما تحتوي القشرة المخية للذكور على المزيد من الخلايا العصبية، فإنها في المخ الأنثوي تحتوي على المزيد من الزوائد الشُجيرية والوصلات التي تكفل المزيد من التواصل بين هذه الخلايا؛ لذلك إذا تعرَّض كلٌ من الرجال والنساء لفقد نفس العدد من خلايا القشرة المخية –نتيجة لإصابة أو لجلطة مثلاً–فإن التأثير على وظيفة المخ يكون أكبرَ في النساء، كذلك قد تفسر لنا هذه الفوارق لماذا تكون النساء عرضة للأمراض العقلية والنفسية من الرجال .. ، إن التعرف على الفوارق بين المخ الذكوري والمخ الأنثوي يُفسر لنا الاختلاف في طريقة التفكير وفي السلوك بين الرجال والنساء، كذلك فإن إدراك هذا الاختلاف يفيد في تحقيق تعامل أفضل بين الأشخاص من الجنسين، كما يُمكنَنا من تقديم خدمة أفضل لكلٍ منهما في مجالات الصحة والتعليم وعلم النفس."
المصدر Congress of American Academy of Neurology, April 1999www.sciencedaily.com
انتهت المقتطفات من بيان الأكاديمية الأمريكية للعلوم العصبية، وهكذا أعلنت أوثق الجهات مرجعيةً في علوم المخ والأعصاب في العالم الكلمة الفصل في موضوع الفوارق البنائية والوظيفية بين المخ الذكوري والمخ الأنثوي في الإنسان.
وفي تقرير شامل أصدرته الأكاديمية الوطنية للعلوم بالولايات المتحدة عام 2001 حول الفروق الجنسية وعلاقتها بالصحة البشرية أكدت : " أن الاختلافات الجنوسية في بنية ووظيفة المخ تُعد عاملاً أساسياً ينبغي أخذه في الاعتبار عند تصميم وتحليل جميع الأبحاث المرتبطة بالصحة ."
المصدر sexual differentiation of human brain and behavior vol4 p.425
يعرض د. سيمون بارون كوهين أستاذ علم النفس والأمراض النفسية بجامعة كمبريدج نتائج أبحاثه، التي استمرت عشرين عاماً في مجال التمايز العقلي والنفسي بين الرجال والنساء في كتاب نشره عام 2003 بعنوان " الفوارق الجوهرية بين المخ الذكوري والمخ الأنثوي."

The truth about male and female brain , the essential difference

ويمكن تلخيص محتوى الكتاب في قول د. كوهين: " إن المخ الأنثوي قد تم تشكيله وإعداده سلفاً ليقوم بالمشاركة والتعاطف بينما تم تشكيل المخ الذكوري ليقوم بالوظائف التحليلية والتنظيمية ."

The female brain is predominatly hard wired for empathy , while the male brain is predominatly hard wired for understanding and building systems

تتطلب دراسة الفيزياء مثلاً قدرات تحليلة وإنشائية لا قِبل لمخ المرأة بها، ومن بين 170 عالماً حاصلين على جائزة نوبل في العلوم هناك ثلاث سيدات فقط. كما أظهرت دراسة أجرتها الهيئة القومية للعلوم بالولايات المتحدة أن 23% من علماء البيولوجيا من النساء، بينما تكون النسبة 5% في الفيزياء و3% في الهندسة.

المصدر Women in science and engineering, American scientist, 79 p404

وفي دراسة مهمة أجرتها جامعة جون هوبكنز عام 1972 وجدت أن الطلبة الذين يحصلون على أعلى من 500 درجة تكون نسبة الذكور إلى الإناث فيهم 2: 1، وعند الدرجات الأعلى من 600 تصبح النسبة 6: 1 أما في الحاصلين على أعلى من 700 درجة كانت النسبة بين الذكور والإناث 13: 1 .

المصدر The essential difference, Baron-Cohen, basic books , perseus books group

إن ذلك يعني أن الرياضيات التي تحتاج إلى تطبيق مباشر كالعمليات الحسابية والمسائل الهندسية البسيطة تتقدم فيها البنات، أما الرياضيات المتقدمة التي تحتاج إلى قدرات عالية في استنباط علاقة بين قواعد وقوانين مختلفة لحل موقفٍ مُشكِلٍ وتحتاج إلى تفوق في الذكاء الرياضي، وكذلك الرياضيات التي تحتاج إلى تصور الأشكال الفراغية وتعتمد على الذكاء البصري الفراغي فيتفوق فيها الأولاد، لذلك كلما زادت صعوبة الرياضيات ظهر تفوق الأولاد.

وفي الأولمبياد الدولية لعلم الرياضيات، نستطيع بنظرة واحدة إلى شبكة المعلومات أن نكتشف أن كل الفائزين من الذكور، بل إن الأغلبية العظمى من المشاركين يكونون من الذكور كذلك .

المصدر The essential difference, Baron-Cohen basic books , perseus books .group

يقول دكتور سيمون بارون كوهين : " لا شك أن إنكار هذه الفوارق الجنوسية يعد أكبر محاولات التدليس في تاريخ العلم."

ولا ندري لماذا دُعاة المساواة بين الذكور والإناث يقفون في وجه هذه الحتميات البيولوجية؟

لماذا يعاند دعاة المماثلة بين الذكور والإناث هذه الحقائق العلمية القطعية ؟

لماذا هم دائما يحاولون تمرير أفكارهم الغامضة والمربكة على حساب العلم والبيولوجيا ؟

هل فقط لأنهم يريدون غمس المرأة في طوابير الموظفات وطوابير الموديلات ؟

في مؤسسات المساواة بين الرجال والنساء نجد هناك افتخار دائم بعدد النساء اللاتي نزعتهن من الأُسرة لتُلحقهن بطابور الموظفات .

وقد أشار الدكتور سومرز l.somers رئيس جامعة هارفارد في مطلع عام 2005 إلى أن بيولوجيا الدماغ يمكن أن تفسر سبب قلة نجاح النساء مقارنةً بالرجال في المهن العلمية .

المصدر L. Seymour (2005) scientific American journal ,January

تقول الدكتورة أليس روزي Alice Rossi إحدى عالمات الاجتماع الشهيرات، أن من ينكرون الفروق الفطرية بين تفكير وسلوك كلٍ من الرجال والنساء يقفون في وجه علوم البيولوجيا وعلوم المخ والأعصاب، وترى أن إنكار هذه الفوارق يعتبر كالوقوف في وجه تغيرات الطقس أو إنكار وجود جبال الهيمالايا، وترى د. روزي أن الفوارق المدهشة في تركيب المخ وآلياته تؤثر في مزاجنا وأولوياتنا وآمالنا وطموحاتنا وفي قدراتنا ومهاراتنا ، إنها ببساطة فروقٌ في ذاتنا وكينونتنا، إن إنكار تلك الفروق لا يعد إخلالاً بحقائق العلم فحسب ولكنه إخلالٌ أعمقُ بإنسانيتنا كرجال ونساء وتهديدٌ كبيرٌ لحياتنا الأسرية .

المصدر Rossi A.S., Gender and Parenthood , Gender and Lifecourse , aldine, New York

وترى دكتورة روزي أن الفوارق النفسية والعقلية بين الرجل والمرأة تعتبر حقيقة بيولوجية لا تقبل التشكيك، وينبغي أن تُدرس في هذا الإطار، أما عندما تُطرح فكرة المساواة للبحث فهي قضية سياسية اجتماعية يجب أن يعاد النظر فيها، وأن يتم الرضا والاعتراف بوجود فوارق جوهرية وبيولوجية بين الذكر والأنثى .

إن محاولات المساواة بين الرجل والمرأة هي وقوف في وجه الحتمية البيولوجية والفطرة الإنسانية ، والخاسر الحقيقي نتيجة هذه المحاولات هو المرأة التي تُدفع إلى طريق مليءٍ بالتعاسة من خلال إنكار الفوارق البيولوجية.

لكن يبقى سؤالٌ في قمة الدهشة وهو: لماذا دائماً تَعتبر الداعيات إلى المماثلة بين الجنسين أن قيمَ الرجال هي القيمُ الأساسية التي ينبغي أن تتبناها النساء وأنها هي المقياس والمرجع الذي نحكم من خلاله على الافضلية ؟

إن أيَّ محاولةٍ لأن تكون المرأة أكثرَ شبهاً بالرجل تعني أنها ستكون أقلَّ سعادةً كامرأة !

المصدر Tannen D., you just don’t understand : women and men in

conversation . William Morrow

لقد صار التمايز البيولوجي والعقلي بين الذكور والإناث من المسلمات العلمية، فمن المدهش أن تعرف أن أطباء النفس المتخصصين يعرفون جنس المولود ذكر أم أنثى من أول يوم بحركات عينيه فقط .

من المدهش أن تعرف أن أطباء النفس المتخصصين يقومون بطرح تصنيفات لحركة الطفل من عمر يوم حتى ست سنوات حسب جنسه ذكرًا كان أو أنثى .

في إحدى دراسات د. سيمون بارون كوهين قام بعد مُضي يوم واحد من ولادة بعض الأطفال قيد الدراسة بتعليق صور لأوجه فتيات يبتسمن فوق أسِّرة هؤلاء الأطفال كما قام بتعليق نماذج لأجهزة ميكانيكية فلاحظ أن الأطفال الإناث قضين وقتاً أطول في النظر لأوجه الفتيات، بينما قضى الذكور وقتاً أطول في النظر إلى الأجهزة الميكانيكية، مما يعني أن ميلَ الإناث للأشخاص وميل الذكور للأشياء هو ميلٌ فطريٌّ موجود منذ الساعات الأولى بعد الولادة.

المصدر Good nature Atlanta DeDall,F.1996

يقول الدكتور سيمون بارون أيضًا: " إن الكثير من الحقائق التي تم التوصل إليها في مجال الفوارق بين الرجال والنساء قد تم إخفاؤها لما لها من انعكاسات اجتماعية وسياسية، وبدلاً من الإقرار بالحقيقة، والتصرف في ضوئها وقف رد فعل الكثيرين عند مجرد الاندهاش والقول بأن ذلك ما كان ينبغي أن يكون كذلك ، لقد آن الأوان لنسف الفكرة القائلة بأن الجنسين متماثلان وأن كلاً منهما يمكن أن يقوم بدور الآخر ."

تقول الدكتورة آن موار Anne Moir في كتابها "جنس المخ Brain Sex "ما يلي :" لم يمر على البشرية عبر التاريخ وقتٌ سعت فيه بإصرار إلى مخالفة الفطرة الإنسانية والطبيعة البيولوجية كما يحدث الآن في حضارتنا المادية الحديثة ، إنه زمانٌ بشِعٌ يُصارع فيه كلٌ من الرجل والمرأة ضد الفوارق الفطرية الطبيعية بينهما ."

Moir A., 1992 Brain Sex chapter 11 Dell publishing New York

وللإنسان أن يتساءل: لماذا الحضارة بنمطها الغربي الحديث تتنكر لهذه الحقائق العلمية؟ لماذا الوقوف ضد الحتمية البيولوجية ؟؟ لمصلحة من ؟؟

يقول دكتور ليونيل تايجر أستاذ الأنثروبولوجيا الأمريكي أن مقولة التماثل بين الذكور والإناث قد أدت إلى قدر كبير من عدم المساواة ، ذلك أن إنكار الفوارق يعني استمرار كل مؤسسات المجتمع في ممارسة مهامها على النمط الذكوري وعلى النساء أن يتنافسن في عملهن بالأسلوب والمقاييس الذكورية مما يعني الكثير من الإحباط والتوتر والاكتئاب نتيجة الإخفاق في تحقيق مستويات ذكورية ، فإذا كان أداء الفتيات في امتحانات القدرات والمهارات والامتحانات التحريرية ينخفض أثناء الدورة الشهرية بمعدلات تصل إلى 14% أليس من حق الإناث أن يُراعي الممتحنون ذلك عند تقويم

نتائجهن، أم نتجاهل هذه الحقيقة ونعاملهن كذكور؟

لقد انتهى الأمر تماماً من الناحية العلمية، وأصبح من المسلمات العلمية أن مخ الذكر يختلف تمام الاختلاف عن مخ الأنثى، حتى إن علماء التشريح بجامعة اكسفورد يطلقون على هذه الفوارق مصطلح الثنائية التركيبية الجنوسية sexual dimorphism

المصدر Gibbons A., (1991) the brain as a sex organ, science 253

يقول الدكتور أحمد عكاشة أستاذ الطب النفسي بجامعة عين شمس، والرئيس الأسبق للجمعية العالمية للطب النفسي يقول : " لقد توصل العلماء في بدايات العام 2011 إلى أن هناك اختلافاً في الشحنات العصبية الكهربية الصادرة عن مخ كلا الجنسين، سواءً عند ممارسة النشاطات العقلية كالقراءة أو في حالة الاسترخاء، لقد ثبت أن هناك انفصالاً بين مشاعر الرجل ومنطقه بمعنى أن الرجل عندما يحب فإنه يحب بلا منطق ، وعندما يمنطق الأمور فإنه يُمنطقها بلا عاطفة ، في حين أن المرأة تُمنطق الأحداث بعاطفية ، وفي قمة عواطفها لا تتخلى عن المنطق ، ولقد تبين من الاكتشافات الحديثة أن المرأة عندما تتسلط عليها الأفكار الحزينة تبذل جهداً عقلياً أكثر مما تبذله عند حل أعقد معادلات الرياضة الحديثة .

مقدمة الدكتور أحمد عكاشة لكتاب المخ ذكر أم أُنثى، ص5.

هل ما زلت تنكر أن الذكَرَ يختلف تمامَ الاختلاف عن الأنثى ؟

هل ما زلت تعاند المسلمات العلمية والحتميات البيولوجية ؟

هل ما زال لدعاة التغريب ذوي الأفكار الغامضة وغير المريحة تأثيرًا على قراراتك ؟

إذن ارجع إلى بيتك وابدأ في ملاحظة تصرفات أولادك وبناتك لتدرك كم كنت صريعاً لأفكارٍ خاطئةٍ وغامضة.

هل لاحظت أن طفلتك الرضيعة كانت أكثر هدوءاً من طفلك الذي كان أكثر صراخاً وأقل استجابةً لمحاولات تهدئته، سواءً بالغناء أو بالهدهدة؟

وهل لاحظت أنها كانت أكثر تجاوباً مع محاولات اللعب معها؟

عندما بدأت ابنتك في الحبو ثم المشي، هل لاحظت أنها أقل اهتماماً باستكشاف المنطقة المحيطة، عن ابنك الذي كان قليلاً ما يعود إليك، حتي أنك كنت تعدو خلفه خوفاً عليه ؟.

هل لاحظت اهتمام ابنتك بالعرائس التي لم يكن ابنك يعيرها اهتماماً، ويفضل عليها اللعب بالعربات والمسدسات؟

هل لاحظت أن ابنتك بدأت الكلام في عمر مبكر عن ابنك، وأنها أصبحت قادرة علي التعبير عما تريد قبل أن يتمكن ابنك من ذلك؟.

عندما اصطحبت أنت وزوجتك صغيركما إلي الحضانة لأول مرة، هل لاحظت كم كان صعباً علي الطفلة أن تتركها أمها

وتنصرف؟ بينما لم يكن الأمر بهذه المشقة مع الطفل الذي كان أقل بكاءً عند مفارقتكما له.
وعندما كنت تدخل إلي فناء الحضانة لزيارة ابنك أو ابنتك، هل لاحظت تجمع الأطفال في شلل (مجموعات) من جنس واحد، أولاد أو بنات؟ وهل لاحظت أن الأولاد يلعبون ألعاباً عنيفةً ويُسقط بعضهم بعضاً علي الأرض ويحتاجون لمساحات أوسع يلعبون فيها، ويجرون مادّين أذرعتهم، مُصدرين أصواتاً يحاكون بها الطائرات، بينما تتجمع البنات في أحد أركان الفناء ليتحدثن أو يلعبن ألعاباً أقل خشونةً، وربما يسخرن من تلك الألعاب العنيفة السخيفة والغبية التي يمارسها الأولاد؟
هل لاحظت نوع الصداقات التي كوَّنها صغارُك في الحضانة والمدرسة الابتدائية؟
فالأولاد يسعَون عادةً إلي مصادقة من هم أكبر منهم عمراً، ويقبلون في شللهم الوافد الجديد إذا كان مفيداً للمجموعة، بينما تقبل البنات صداقة من هن أصغر منهن حتي وإن كان لا يرتجي من صداقتهن منفعة، وربما لاحظتَ ترحيب البنات بالزميلة الجديدة القادمة إلي الحضانة، مقارنةً باللامبالاة التي يبديها الأولاد تجاه الوافد الجديد.
وربما لاحظت كذلك نوع الحكايات التي يرويها أطفالنا لبعضهم، إن الأولاد يتحدثون عن باتمان وجرندايزر، أما البنات فتدور حكاياتهن غالباً حول المنزل والصداقة والمشاعر.
وبينما يميل الولد لتأييد موقف الضحية المظلوم عندما يقوم بالانتقام، فإن البنت تقف مع الضحية المنكسر أو الذي يميل للمسامحة.
تعال نُلقي نظرة أخري علي فناء المدرسة وقد بلغ أبناؤنا سن العاشرة. لاشك أننا سنلمح بشكل أوضح التمايز الجنوسي الذي لاحظناه بعد الولادة بقليل.
انظر إلي الركن التي تقف فيه الفتيات، إنهن يتحدثن ويستمعن لبعضهن، وربما يتبادلن حقائب أيديهن، وإذا تشاجرن (يحدث ذلك في حالات أقل مما يحدث بين الصبية) فعادةً ما يحسمن أمورهن بالنقاش والصياح وليس بالأيدي، ودائماً ما تكون ألعابهن مشتركة، وفي مجموعات قليلة العدد دون تنافس شديد، أما الأولاد فإنهم يتنافسون في اللعب والجري والسباق من أجل السيادة والقيادة، ولا يحبذون الاعتماد علي الآخرين.
وإذا جُرح أحد الأولاد أثناء اللعب وأخذ في البكاء، فسنجد أن زملاءه يزيحونه بعيداً وتستمر اللعبة، أما إذا حدث الشيء نفسه في مجموعة من البنات فسيتوقف اللعب وتتجمع البنات حول زميلتهن التي تبكي من أجل أن يساعدنها ويخففن عنها.
وعند عودة صبية العاشرة إلي بيتوهم بعد اليوم الدراسي، فقد تتجه ابنتك إلي دفتر مذكراتها لتُدون فيه ما حدث لها ولصديقاتها، ثم تندمج في الحوار الأسري. أما ابنك فإنه يفضل ألعاب الكمبيوتر أو الخروج من البيت ليلعب الكرة مع

أبناء الجيران علي الجلوس لكتابة مذكراته أو الاندماج في حوار أسري طويل.

ونصل إلي مرحلة البلوغ، هل تتفق معنا أن الأولاد أصبحوا أكثر عدوانية من البنات؟ ياتري مَن من الجنسين يعتمد علي عضلات الذراعين في تصفية خلافاته ، ومن يعتمد علي عضلات اللسان؟ مَن يسعي للانغماس في المشاحنات ومن يحاول تحاشيها؟.

هل لاحظت أن البنات خبيرات في "التكتيكات" العدوانية الفنية، مثل النميمة الشريرة في حق من يغضبن عليهن وإثارة الشكوك في جدارتهن بالبقاء ضمن الشلة، وتجاهل من يخاصمن وغير ذلك من وسائل الثأر غير المباشرة. أما الأولاد فيفضلون المواجهة المباشرة عند غضبهم، وهم أقل وعياً من البنات بتلك الأساليب الخفية واستعمالاتها؟.

حاول أن تراقب ردود أفعال المراهقين والمراهقات تجاه مشاهد العنف والتعذيب وكذلك تجاه مواقف الحب والرومانسية في الأفلام. وراقب مَن منهم أكثر اهتمامًا بالدخول في حوارات عبر الإنترنت (chat) وأكثر وداً مع الآخرين.

هل توصلت من ذلك كله إلي أن الأولاد يشعرون بالفخر بفرديتهم وتفكيرهم المستقل، وأنهم أكثر ميلاً للسيادة وحب الرياسة واستعراض القوة، ومن ثم يستفزهم كل ما يمكن أن يتحدي استقلاليتهم.، بينما تري البنات أنفسهن جزءاً من مجموعة مترابطة فيما بينها، ويشعرن بالتهديد إذا حدث انشقاق في علاقاتهن؟

والآن فلنترك أبناءنا وننظر إلي أنفسنا وإلي المجتمع ككل .

هل لاحظت أن ما يجذب الرجال إلي النساء يختلف عما يجذب النساء إلي الرجال ؟

هل لاحظت أن اهتمام الرجال (معظمهم علي الأقل)يتجه إلي جمال المرأة الظاهري بينما يتجه اهتمام النساء إلى أمور تتعدي الظاهر في الرجل لتصل إلي سلوكه وشخصيته وحنانه وثروته ؟

هل لاحظت أن المرأة تقبل علي الزواج بمشاعرها الرومانسية والرغبة في أن يعتمد كل من الطرفين علي الآخر، ويدفعها البحث عن الصحبة الحميمة وعن علاقة جنسية تكون نتاجاً لكل ذلك وتُتَوِّجُهُ؛ وفي المقابل فإن الرجل الذي يبحث عن الاستقلال وينطلق في الأغلب من اعتبار أن دوره في مؤسسة الزواج هو توفير المتطلبات المادية فإنه يبحث عادةً عن علاقة جنسية مشبعة بالمفهوم المادي وتثمر في النهاية قبيلة صغيرة يترأسها؟

ولا شك أننا نلاحظ ميل الكثير من الرجال إلي تكوين علاقات نسائية متعددة في حين تحرص معظم النساء علي إقامة علاقة واحدة ، وتظل هذه القاعدة هي السائدة سواءً في مجتمعات تعلن رفض وتجريم ذلك ، أو مجتمعات تضع لذلك قواعد من العرف أو الدين، أو مجتمعات تقبل ذلك من الرجال دون النساء أو تقبله من كليهما علي حدٍ سواء، وفي النهاية تبقي هذه القاعدة أقوي من الأعراف وسلطات المجتمع .

هل حاولت أن تعرف كيف نجحت المرأة في تقييد الرجل بمؤسسة الزواج في كل الحضارات عبر التاريخ، بالرغم من ميله

للعلاقات النسائية المتعددة بل وعزوفه أحياناً عن العفة لولا رادع من دين ؟

ولعلنا لسنا في حاجة إلي أن يلفت أحدٌ أنظارنا إلي شكوى الزوجات من أن أزواجهن قليلي الكلام، وربما سمعنا جميعاً شكاوي مثل أن الزوج أقل كلاماً من أبي الهول، بينما يشكو الكثير من الرجال مما تسببه لهم زوجاتهم من صداع بكثرة كلامهن وثرثرتهن، وإذا حدث خلاف فإن النساء يتفاعلن مع ما يثير أعصابهن بطريقة أكثر حدة فهن ينفعلن ويرفعن أصواتهن بل ويصرخن أكثر من الرجال ، هذا بالرغم من أن الرجال أكثر عرضة للغضب وأكثر ميلاً للعنف،

هل تخيلت في يومٍ من الأيام أن الرجل يمكن أن يتحمل أعباء الأمومة بدلاً عن زوجته ؟ وهل لاحظت أن العلاقة بين الأم وطفلها علاقة تبادلية خاصة حتي إنه لم يحدث في تاريخ معظم المجتمعات البشرية أن نجح الرجال في القيام بدور الأمهات مهما كانوا حريصين علي ذلك ومهما كانوا معطائين حتي وإن قاموا بتقديم وجبة الرضاعة أو تغيير الحفاضات ؟

بل لقد فشلت محاولات علماء الاجتماع في جعل الطفل أكثر قبولاً لرعاية أبيه بدلاً من أمه ويعتبر قيام الأب بتربية أطفاله بعد فقد الأم استثناءً من هذه القاعدة .

هل قارنت بين مشاعرك ومشاعر زوجتك عندما تركتما وليد كما لأول مرة بالمنزل لتذهبا لقضاء واجب عائلي أو لتغيير الجو؟ إن الأم تشعر عادةً أنها تركت قطعةً منها في البيت، أما الأب (مهما بلغت درجة تعلقه بابنه) فإنه يشعر أنه في إجازة (يستحقها) من أعباء الأبوة .

هل لاحظت الاختلاف في أسلوب مداعبة الآباء والأمهات لأبنائهن ولاحظت أن الأب قد يداعب ابنه و يقذفه في الهواء، وتدريجياً يزداد ارتفاع الطفل حتي تصرخ زوجته كفي هذا؟

وهل تعلم أن إحصائيات أقسام الاستقبال والطوارئ بالمستشفيات تؤكد أن نسبة الأطفال الذين أصيبوا وهم تحت رقابة آبائهم أكثر بكثير ممن أصيبوا وهم تحت رعاية أمهاتهم ؟

والآن تعال لنتأمل حال الأولاد والبنات في التعليم ثم في مجالات العمل وذلك من خلال إحصائيات تعرضها علينا سيلفيا هيوليت Sylvia Hewlett الخبيرة الاقتصادية التي تخصصت في الكتابة عن النساء في محيط الدراسة والعمل في الولايات المتحدة وأوروبا، وقد قمنا باختيار العالم الغربي حتي لا تُفسر نتائج الإحصائيات بأنها ترجع لقيود يضعها المجتمع علي تعليم الإناث أو توظيفهم كما يحدث في بعض دول الشرق، تخبرنا سيلفيا هوليت أنه في ثمانينات القرن العشرين كان عدد الفتيات البريطانيات اللاتي اخترن دراسة المستوي المتوسط من الرياضيات والفيزياء والكيمياء يتساوي مع عدد الفتيان، أما في المستوي الرفيع فقد كن يُمثلن 20%-37%من إجمالي عدد الدارسين، أي أنه كلما ازدادت صعوبة هذه العلوم كلما عزفت الفتيات عن دراستها واتجهن إلي دراسة اللغات .

في نفس الفترة في الولايات المتحدة كانت الفتيات يمثلن 75%من الدارسين بكليات اللغات الأجنبية بينما يمثلن 14% فقط من دارسي كليات الهندسة وفي الولايات المتحدة عام 1979 بلغت نسبة مديري البنوك من الذكور 99%بينما كانت نسبة السيدات المتعاملات مع العملاء تيلرTellerفي العام نفسه 93%، وفي عام 1980بلغت نسبة الرجال في المراكز القيادية من مديري الشركات والمهندسين والجراحين 99% .

المصدر : Hewlett S. A., (1987) A Lesser Life , London

وفي بريطانيا أظهرت إحصائيات عام 1980أن 98% من أساتذة الجامعات كانوا من الذكور، وكانت هناك تسع شركات فقط يترأسهن سيدات ضمن أكبر مائة شركة إنجليزية، وإذا كان البريطانيون قد انتخبوا السيدة مارجريت تاتشر عام 1979 كرئيسة لوزرائهم فإن عدد السيدات الإنجليزيات اللاتي كن يمارسن السياسة في هذا العام كان أقل من عددهن عام 1945أي ان مارجريت تاتشر تمثل حالة خاصة لا يقاس عليها .

وإذا نظرنا إلي الأعمال التي تُمثل فيها النساء الأغلبية وجدنا أن الرجال يشغلون معظم وظائفها العليا ، فإذا كان النساء يمثلن 96% من هيئة التمريض في المستشفيات في الولايات المتحدة فإن معظم المسئولين في المستشفي يكونون من الرجال، وبينما تمثل المدرسات في المرحلة الابتدائية 83% من أعضاء هيئة التدريس فإن 81% من مديري هذه المدارس من الرجال، وإذا كانت الإناث يمثلن نصف دارسي الطب في إنجلترا فإن 2% منهن فقط يصلن إلي الوظائف الإدارية الأعلى في هذه المهنة .

بعد استعراض هذه الإحصائيات هل تتفق مع عالم الاجتماع الذي يقول: "إن المرأة تبدع في الأعمال التي تتطلب تعاملاً مع الناس، وكذا الأعمال التي تتطلب ذاكرة قوية واهتماماً بالتفاصيل ، حتي يتفرغ للأمور الاستراتيجية والقرارات الحاسمة ولا ينشغل بالتفاصيل المعوقة ، أم أنك تعتقد أن هذه نظرة ذكورية متعصبة ؟"

المصدر Baron N. J., Gender and Life Course, Aldine New York, P. 233

ولننظر إلي الجريمة في المجتمعات الغربية؛ تشير الإحصائيات الحكومية في الولايات المتحدة وأوروبا إلي أن في مقابل كل 15 :10 جريمة سرقة بالإكراه يقوم بها الذكور تقوم النساء بجريمة واحدة، أما بالنسبة للجرائم غير المصحوبة بالإكراه فأن المعدل يصبح 3: 1 .

ويُرجع البعض ارتفاع نسبة العنف في جرائم الذكور إلي قدرات الرجال العضلية التي لا تتوافر للإناث، لكن ألا يعوض استخدام الأسلحة النارية هذا النقص ؟ وبالرغم من ذلك ما زالت جرائم الأسلحة النارية أكثر كثيراً إلي جانب الرجال عنه إلى جانب النساء، هل ذلك يعني أن العنف سمة ذكورية بغض النظر عن القوة العضلية ؟

تأمل معي هذا الموقف الإنساني المعقد الذي عُرض علي عدد من الرجال والنساء في استقصاء للرأي في إحدى

الدراسات وطُلب منهم إبداء الرأي في كيفية التصرف .

" رجل فقير تعاني زوجته من أزمة صحية حادة تتطلب علاجاً سريعاً بدواء معين، ولا يستطيع الزوج شراء الدواء المطلوب لارتفاع ثمنه هل تؤيد أن يسرق الرجل الدواء من الصيدلية ؟" كانت إجابة معظم الرجال السريعة القاطعة "نعم"، فالحياة أغلي من أن تضحي بها من أجل قيمة أخلاقية، أما أغلب النساء فقد تعاملن مع الموقف بأسلوب آخر وطرحن عدداً من الأسئلة :

ألا يستطيع الزوج أن يناقش الأمر مع الصيدلي ؟

ألا يستطيع الزوج أن يقترض ثمن الدواء ؟

ما الذي يمكن أن يحدث لزوجته إذا ضبط متلبساً بالسرقة، وأودع السجن ؟

هل يعني طرح هذه الأسئلة أن النساء يدركن أبعاداً أكثر للقضية " أقصد الأبعاد الأخلاقية والنفسية "؟ لاشك أنهن سيخرجن بحلول أكثر إحاطة بالأمر من مختلف نواحيه، ولكنها أقل حسماً.

هذه الكبسولة من وحي كتاب المخ ذكر أم أنثى، د. عمرو شريف- رئيس أقسام الجراحة جامعة عين شمس-، مكتبة الشروق الدولية.

الكبسولة الثامنة عشر :المرأة والرجل من منظور الدين و الإلحاد

مشكلة المؤسسات العلمانية مع المرأة ليس تحريرها وإنما تثوير لها في مقابل الرجل وعزلها عنه، فالهدف من حركات تحرير المرأة ليس تحقيق مكاسب للمرأة وإنما توسيع لرقعة الخلاف بينها وبين الذكور .

فقد تحولت العلاقة بين الأنثى والذكر من علاقة حميمة يحيطها دفء المشاعر والحنو إلى علاقة فتاكة كلٌ منهما يتربص بالآخر ليفتك به ويُثبت تقدمه البيولوجي عليه .

فالمرأة طبقًا لأدبيات الإلحاد لها تصنيف في السلسلة الحيوانية مستقل تمامًا عن تصنيف الرجل، فالمرأة تندرج تحت تصنيف Homo parietalis بينما الرجل تحت تصنيف Homo frontalis فدراسة حجم الجمجمة أثبتت وجود فرق جوهري في حجم المخ لصالح الرجل بمقدار 12- 19 % وكتب كارل بروكا brucca يقول أن مخ المرأة أضعف بكثير من مخ الرجل.

واعتبرت الداروينية أن حجم المخ الخاص بالمرأة يكاد يطابق ذلك الخاص بالغوريلا، والمرأة تأتي في المرحلة السفلى من مراحل تطور الإنسان .

Gould, The Mismeasure of Man, p.105

هذا يحدث داخل المنظومة الإلحادية الداروينية الهيجلية المادية بينما نلاحظ أن الإسلام يُمجد المرأة بدون النظر لهذه الدواعي الفتاكة، فقد جعلها رمزًا وسرًا وكائنًا مُقدسًا، وجعل الجنة تحت أقدامها .. وجعل العلاقة بينها وبين الرجل علاقة مقدسة، وأخذ من الرجل ميثاقًا غليظًا على ذلك {وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا}(النساء:21) وقال رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي" أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ.

بينما نجحت كل المؤسسات التي نادت بتحرير المرأة في تحويل المرأة من كائن إنساني مُميز إلى حيوان جميل ! وهذا نلاحظه بشدة في طوابير الموديلات. ففي مؤسسات تحرير المرأة هناك افتخار دائم بعدد النساء اللاتي نزعتهن من الأُسرة لتُلحقهن بطابور الموظفات.

الكبسولة التاسعة عشر : وجود الشر أكبر دليل على وجود الله

الشر أصلاً غير مُستوعب وغير مُدرك، إذ لو كان الإنسان ابن الطبيعة أو ابن المادة، وتجري عليه قوانين الطبيعة الحتمية، فلن يدرك وجود الشر، ولن يستوعب ماهية الشر ولا معنى كلمة شر، فهل تُدرك أكثر الحيوانات تطورًا – طبقا للداروينية – معضلة الشر ؟

فاستيعاب الشر يعني أننا لسنا أبناء هذا العالم وأننا نبحث عن عالم كلي الخير وفي هذا الحُجة الأولى والأقوى للدين ..

فالإنسان لو كان ابن الطبيعة وتسري عليه قوانين الطبيعة فلن يوجد في الطبيعة شر ولا خير ولا قداسة ولا نجاسة، فالطبيعة حتمية تحكمها قوانين صارمة، عندنا حامض وقاعدي ... نضيفهم في المعمل .... تكون النتيجة ملح وماء ... لو تكررت هذه التجربة مليار مليار مرة لن تتغير ... قوانين حتمية ..

الآن المحلد يقول لا لا لا .... يمكن ان تكون النتيجة عسل أبيض وليس ملح وماء ... ثم فجأة يكتشف العسل أنه المفترض أن يصير ملح وماء فيعرف خطأه الشديد ويندم ..!!

هذا هو السيناريو الذي يدعمه الملحد عند طرح فكر الشر والمفترض أن نُصدقه والمطلوب أن نُسايره .!!

مشكلة الربوبي والملحد أنهما يعترفان بوجود الشر، ووجود المتشابه، ويعترفان أن وجوده مُعضلة، ولا يملك تحليل معضلة الشر إلا الإطار الديني فهو الوحيد الذي يُقدم التفسير ...

يقول المفكر الأيرلندي كليف لويس " وقد كانت حُجتي ضد الله أن العالم بدا في منتهى القسوة والظلم .. ولكن كيف حصلت على مفهوم الظلم والعدل هذا ؟

إن المرء لا يصف خطاً بأنه غير مستقيم إلا إذا كانت لديه فكرة ما عن ماهية الخط المستقيم .. فبماذا كُنت أُقارن هذا العالم لما دعوته غير عادل ؟

وإذا كان العرض كله سيئًا وتافهًا من الألف إلى الياء إذا جاز التعبير، فلماذا وجدت أنا نفسي في ردة فعل عنيفة هكذا تُجاهه، مع أني من المفترض أن أكون جزءًا من العرض ؟

إن الإنسان يشعر بالبلل عندما يسقط في الماء، لأنه ليس حيوانًا مائيًا، أما السمكة فما كانت لتشعر بالبلل.

وكان من شأني طبعًا أن أتخلى عن مفهومي للعدل بمجمله بقولي إنه ليس شيئًا سوى فكرة خاصة من بنات أفكاري، ولكن لو فعلت ذلك لانهارت أيضًا حجتي ضد الله، لأن رُكن تلك الحجة كان القول بأن العالم غير عادل فعلاً وليس فقط أنه لم يصدف أن يُرضي ميولي .

وهكذا ففي محاولتي إثبات عدم وجود الله، تبين لي في ذلك الفعل ذاته حقيقة وجوده، لأن الإنسان بإنكاره وجود العدل في فعلٍ ما يُرغم على التسليم بوجود مفهوم العدالة، وبناءًا على ذلك يتبين أن الإلحاد ساذج جدًا.

ولو كان الكون كله عديم المعنى لما كان قد تبين لنا إطلاقًا أنه عديم المعنى .

فالوضع شبيه تمامًا بهذا : لو لم يكن في العالم نور، ولم تكن في العالم مخلوقات لها أعين لما كُنا نعرف قطعًا أن الظُلمة مسيطرة ولكانت الظُلمة كلمة عديمة المعنى .."

إذن الشر هو أكبر دليل على أننا لسنا أبناء هذا العالم... وأن المقدمة الدينية هي الوحيدة التي تملك التفسير والمعنى والقيمة..!!

الكبسولة العشرون : تُولَدُ الأممُ رواقية وتموتُ أبيقورية تولَدُ بدين وتموتُ عندما تترك الدين

يقرر ول ديورانت في كتابه قصة الحضارة أن الحضارات تولد بالدين وتظل باقيةً قويةً طالما كان للدين والأخلاق والقِيم أثرٌ في حياة الناس ، فإذا ما ظهر ضعفُ الوازع الديني وتحللت الأخلاق كانت نهاية الحضارة ، وهذه هي قصة التاريخ وقصة جميع الحضارات وقصة الإنسان على الأرض.

" إن الأمم تولد رواقية وتموت أبيقورية، يقوم الدين إلى جانب مهدها ويصحبها الإلحاد والفلسفة إلى قبرها، ففي بداية الثقافات والحضارات كلها ترى عقيدة دينية قوية فإذا جاء النصر وإذا نسي الناسُ الحربَ لطول ما أَلِفوه من الأمن والسلام، ازدادت ثروتهم واستبدلت الطبقات المسيطرة بحياة الجسم حياةَ الحواس والعقل، وحلت اللذة والراحة محلَّ الكدح والمتاعب ، وأضعفت الدَعةُ ما في الناس من رجولة وصبر على المكاره، وأخيراً يبدأ الناس يرتابون في الدين ويلجأون إلى كل لذة عاجلة زائلة يعتصمون بها من سوء مصيرهم ، فهم في البداية كأخيل وفي النهاية كأبيقور، وبعد داوود يأتي أيوب وبعد أيوب يأتي سفر الجامعة وتنهار الحضارة ."

المصدر:- ول ديورانت كتاب قصة الحضارة م2 ص 255.

إنه تحليل عجيب لخط سير الحضارات وكيف أن الإلحاد يقود الأمم إلى قبرها، بينما يظل الدين تاج عزها، والرواقية هي المدرسة التي تنادي بكمال الأخلاق والإيمان، وسُميت رواقيةً نسبة إلى الرواق الذي كان يجمع الشعراء الذين أسسوا هذه المدرسة .

أما الأبيقورية فهي مدرسة اللذة ، أسسها أبيقور، وهي تنادي بتحقيق أقصى قدر ممكن من اللذة والمتع الجسدية قبل فوات الأوان، فهي مدرسة ملحدة تنكر الإيمان ، وكان ظهور هذه المدرسة في أي حضارة مؤشرًا لخرابها.

وقد وصل الإمام عبد الحليم محمود شيخ الأزهر السابق - رحمه الله-، إلى نفس ما وصل إليه ول ديورانت من خلال قرائته للتاريخ فيقول في كتابه الإسلام والعقل ص132- بتصرف-: " المذهب السوفسطائي الإلحادي هو مذهب يظهر دائماً في عصر الانحلال وفي البيئات المنحلة ، ولا وجود له في عصور الجد ولا في البيئات الجادة ..إن الأدب المكشوف والمسرح اليوناني الفاجر والتماثيل العارية، لا وجود لهم إلا قرب نهاية حضارة وبداية حضارة جديدة ."

الكبسولة الحادية والعشرون:أروع ما كتب الدكتور عبد الوهاب المسيري- رحمه الله- في العلمانية*

العلمانية زودت الإمبريالية الغربية بإطار نظري لإبادة الملايين باسم العرقية المادية والبيولوجية الداروينية فظهرت اليد الخفية عن آدم سميث ، والمنفعة عن بنتام ، ووسائل الإنتاج عند ماركس، والجنس عند فرويد ، وإرادة القوة عند نيتشه ، وقانون البقاء عند داروين ، و الطفرة الحيوية عند برجسون ، والروح المطلقة عند هيجل – روح العصر – عبء الرجل الأبيض العبء الحضاري.

بعد موت الإله لا داعي للتمَحُكِ في ظلاله كما يقول نيتشه ، فلا داعي للقول بالأخلاق أو المساواة بين البشر أو القيم أو الغائيات، والتمحك هو عملٌ جبانٌ غيرُ قادرٍ على قبول وضع الإنسان في عالم بلا قيمة غائية، وفي وجود عرضي زائل لا قيمة له ؛ لذا رحّب نيتشه أخيراً بالعدمية .

الماركيز جان أنطوان نيكولاس دي كوندورسيه- 1794- رياضي فرنسي أسس للعلمانية رياضياً ومادياً وانتصر للعلمانية الرياضية، وبعد أن انتصرت العلمانية في فرنسا دخل فندقاً صغيراً، وطلب طبق أومليت صغير مُكون من 12 بيضة، وكان هذا طلبًا غريباً جعل العاملين بالفندق يساورهم القلق بشأنه، فهو قد أخطأ في عدد البيضات، وهو أمر غير عادي وغير رشيد ويتجاوز القانون الرياضي العام الذي هو نفسه أسس له، فقُبض عليه وأودع السجن ومات في السجن فمات بنفس السم الذي سقى به العالم .

في بداية تطبيق العلمانية يحدث دائما صراع بين الإنسان والطبيعة، مَن منهما له المركز والأساس؟

ودائماً تتم تصفية المعركة لحساب الطبيعة، فقوانينها هي الأساس ومنها المبدأ وإليها المآل ، وبذا يتم تهميش الإنسان وتتم تصفيته ويسقط الجميع في أحضان المادية حيث لا مُطلقات ولا مرجعيات ولا متجاوز، ويفشل النموذج الهيوماني ففي نهاية الأمر، وبعدها يتم تغليب الجانب المادي وهو الجانب الأقوى ويذوب الانسان وتذوب هويته .

كيف يمكن للعقل في إطار المادة العقلانية أن يُفرق بين ما هو أخلاقي وبين ما هو غير أخلاقي؟ فالعقل لا يُشع نوراً وإنما فقط هو موصلٌ جيدٌ للنور أو الظلام فحسب ، فمرجعيته النهائية هي الطبيعة .

ماذا لو أثبت أحدُ العلمانيين أنه من المجْدِي القضاء على العجزة والمعاقين والأقزام باعتبارهم فائض بشري لا قيمة مادية منه كما فعل هتلر بالضبط ؟

ألا يمكن تحديد النسل من خلال إبادة المرضى المزمنين، إن إبادة مثل هؤلاء أمرٌ مُستوعَبٌ داخلَ النموذج العلماني فالمرجعية هي الطبيعة والطبيعة لا تحابي أحدًا .

ماذا يفعل العقل العلمي أمام العالم الألماني الذي كان يضع الطفل التوأم وشقيقه في حجرتين منفصلتين ، ويجرى على أحدهما تجارب ويرى مدى تأثر الآخر فيُعرض أحدهما للتسخين أو التبريد أو التعذيب أو الموت؟

ولذا فقد تراكم كَمٌ هائلٌ من المعلومات في الطب النفسي خلال الحِقبة النازية .

العلمانية أدت إلى توازن الرعب في العالم ففي كل جانب من جنبات العالم توجد أسلحة نووية تكفي لتدمير الكوكب .

أصبح من الممكن في العالم العلماني إغراء الإنسان وإيهامه بأن ما يرغب فيه هو قرارٌ حرٌّ نابعٌ من داخله ، ولكنه في الحقيقة أسير مئات الإعلانات التي ولَّدت لديه قراراته .

ماذا لو تم إجماع الأغلبية على إبادة الأقلية؟

ماذا لو أجمعت الشعوب الأوربية على استعمار الدول الفقيرة ونهب ثرواتها ؟

أليس هذا قراراً ديموقراطيًا نابع عن إرادة الشعب ؟

مؤسسة الإبادة في الدولة النازية كانت تُسمى مؤسسة تدعيم القومية الألمانية، ومن خلال هذه المؤسسة العلمانية ذات الكفاءة المثالية كان يتم عمل خط التجميع للمساجين، ويتم اعطاؤهم أرقاماً ثم فرزهم ثم إدخالهم أفران الغاز، ليحترقوا بمنتهى الكفاءة والمثالية في الأداء – وخط التجميع يوجد في السلخانات وتم استخدامه ضد الأقليات في ألمانيا العلمانية –، وكان يتم الفرز بمنتهى الكفاءة ، فمَن هو صالح للاستخدام يتم إيداعه في المصانع العملاقة للإنتاج الضخم بأقل من الكفاف ، وغير الصالح للاستخدام يدخل أفران الغاز بمنتهى الحيادية، ولا يستطيع باحثٌ بعيداً عن المعايير الاخلاقية أن ينكر مدى التقدم الرهيب الذي أحرزته الفترة النازية في كافة العلوم وكم الإنتاج منقطع النظير الذي زوّد النازي بالسلاح

والذخيرة والطعام أثناء الحرب الطويلة، وعندما دخل الألمان شبه جزيرة القرم وجدوا اليهود القراءين، فتم تشكيل لجنة بمنتهى الحيادية لمعرفة مدى جدوى استخدامهم أم حرقهم فتبين أنهم أكفاء وبالتالي تم تأجيل قرار إبادتهم .

في مؤتمر فانسي الذي عُقد عام 1942 تم تقسيم ضحايا النازية إلى أربعة أقسام: القسم الأول مَن ستتم إبادته على الفور، والثاني من تتم إبادته من خلال الجوع، والثالث الذي سيتم تعقيمه – لن ينجب – ، أما الرابع فيتم دمجه في المجتمع الألماني ، وجرى الحديث عن إبادة المعاقين باعتباره نوعاً من الصحة العرقية وعلاج الأمراض الوراثية الخطيرة، والعملية كلها كانت عملية تطهير للجنس الألماني لا أكثر، فإبادة البشر عملية مجردة تماماً وترشيدية داخل المنظومة العلمانية الحيادية .

وقد حذرت القيادة النازية من استخدام العنف بلا مبرر، وقد أشار هتلر في خُطبه إلى أن عمليات التصفية لابد أن تتم بطريقة محايدة وبدون نزعات سادية، بل إن إطلاق النار على اليهود لأسباب شخصية يعاقب عليه القانون النازي بالإعدام وقد أكد هتلر على ذلك مراراً .

Euthenesia : أي القتل الرحيم وهذا تعريف خاطيء فالتعريف الصحيح هو القتل العلمي العقلاني الأداتي أي التخلص من المعاقين وأصحاب الأمراض النفسية وأصحاب الأمراض المزمنة عن طريق التصفية الجسدية، وضم إليهم النازيون مصابي الحروب لأن تكاليف علاجهم تمثل عبئًا كبيراً على الدولة .

في عام 1933 أصدر النازي قانون التعقيم لمنع المرضى من التكاثر، وتم إصدار قرار منع إقامة علاقات جنسية بين اليهود والجنس الآري الراقي ، وطُلب من كل طبيب أن يبلغ عن كل مولودٍ جديدٍ مُعوَّق ، وبدأت عمليات القتل الرحيم طبقا لمشروع T4 وقُتل بالفعل 70 ألف معاق وعاجز – يأكلون ولا ينتجون –.

وحسب الإحصاءات الألمانية فإن مقتل هؤلاء أدى إلى توفير 239 طن من المربى في عام واحد فقط .

وقد صُنف اليهود باعتبارهم مرضى لعدم نقائهم العرقي ولهذا تمت تصفيتهم سريعًا .

قام الدكتور بوخنوالد – هانس إيسيل – بعمل تجارب طبية على المعتقلين في الدولة النازية، مثل تعريضهم لغرف تفريغ الهواء لمعرفة كم يستطيع الانسان أن يمكث حتى يموت، وتعريضهم لغازات سامة لمعرفة مدى فاعليتها والتركيزات المطلوبة لإحداث الوفاة، وقام بعمليات جراحية بدون تخدير لمعرفة درجات الألم ومسارات الأعصاب ، وقد وفّرت الفترة النازية كمية عملاقة من المعلومات الطبية في كافة المجالات ، وحتى يومنا هذا هناك جدلٌ كبير بين العلماء حول جواز استخدام تلك المعلومات أم لا احتراماً للذين ماتوا بسببها .

كان الدكتور راشر النازي يُعرض مرضاه للتجميد لمعرفة الفترة التي بعدها يموت الانسان ودرجة التجمد الكافية للموت، وبالفعل أمد الدكتور راشر العلم بطرق كثيرة لإطالة حياة الطيارين الذين يسقطون في المياه المتجمدة ، وكان أُسلوب

العمل هو تجميد السجناء تدريجياً مع متابعة النبض والتنفس والحرارة وضغط الدم بانتظام ، وقد مات أغلب من تمت التجارب عليهم والباقون أصيبوا بلوثات عقلية وتمت إبادتهم بعد ذلك .

أُجريت في ألمانيا النازية تجارب زرع الغرغرينة في الجروح ، كما تم الحقن بالميكروبات لمعرفة الأسرع فتكاً ، والدكتور منجل هو صاحب تجارب التوائم-التي تحدثنا عنها قبل قليل-، وكما قال بريمو ليفي فإن ألمانيا النازية هي المكان الوحيد الذي كان بوسع العلماء أن يدرسوا فيه جثتي توأمين قُتلا في نفس اللحظة، والنتائج التي توصل إليها العلماء النازيون هي نتائج فريدة لم تتح لغيرهم صراحة .

من المدهش أنه تم تصنيف اليابانيين في الحقبة النازية على أنهم آريون شرقيون وهذا لعمق العلاقات بين المانيا واليابان في تلك الفترة، وقد منع القانون النازي بدءاً من عام 1935 أيَّ شخص له أحد الأجداد يهودي أن يشغل وظيفة ضابط في الجيش النازي .

Einsatzgruppen : هو اسم فرق إبادة الأقليات عديمة الجدوى في الجيش الألماني حيث كان يتم تجريد الضحايا من أية أدوات نافعة مثل حشوات الأسنان الذهبية، ثم يقوم الضحايا بحفر القبور بأيديهم، ثم يُقتلون وهم واقفون في وسط القبر بمنتهى الأداتية .

في محاكمات ما بعد النازية –محاكمات نرومبرج- كان الجواب المتكرر لفرق الإبادة النازية أنهم كانوا موظفين، وبالفعل كيف نقوم بإدانة هؤلاء الموظفين ونحن نؤمن بالعقل الأداتي ونُنكر المتجاوز وننكر الغائية والمركزية؟

وإذا كانت الأخلاق نسبية ولكل فرد ذاتيته الأخلاقية فبأي حق لي أن أفرض ذاتيتي الأخلاقية على ذاتية ذلك الموظف الاخلاقية؟

بل بأي حق لي أن أتهم ذاتية هتلر الداروينية العقلانية العلمية الرصينة ؟

فالعلم المنفصل عن القيمة يستحيل نقده من خلال منظومة علمانية هي الأُخرى منفصلة عن القيمة!

والديموقراطية تدور في إطار النسبية الكاملة وترتبط بعدد الأصابع الموافقة بغض النظر عن القيمة والغاية للقرار المتخذ، حيث يتم تمرير مشروع أي قانون بفرق صوت واحد، وهذا جائز ديموقراطياً بغض النظر عن طبيعة القانون أو مادته .

المشروع الإمبريالي الغربي قامت به حكومات تم انتخابها بطرق ديموقراطية سليمة ، وعمليات السخرة والإبادة كانت تحظى بالموافقة فهي مسموح بها ديموقراطياً، هل علينا أن نقبل بهذه القرارات بما أنها نابعة من إرادة الشعب أم نرفض هذه القرارات الديموقراطية استناداً إلى مرجعيات أخلاقية متجاوزة ؟

لا يوجد بديل ثالث متاح .

الخالق في المنظور الربوبي هو خالق عند لحظة الخلق فحسب، ثم إلى قانون طبيعي بعد تلك اللحظة .

بعد ظهور الداروينية في بريطانيا على يد عالم مغمور يدعى تشارلز داروين ظهر الإنسان شيئاً ضمن الأشياء، وظهر بلا أية مرجعية عُليا، وظهر ضائعاً في هذا العالم؛ فهو نتاج تطور، وبداية هذا التطور كانت داخل مستنقع، وهذا التطور لن يقف عند الإنسان بل هو مستمرٌ وغيرُ متوقف، والإنسان شأنه شأن الأميبا لا يتمتع بأية حرية أو أعباء أخلاقية ، والقانون الأخلاقي مجردُ تطور؛ ولذا فهو نسبي وقتي ، فلا يوجد فارق صراحةً بين مجموعة من الشباب يخطفون فتاة ويتناوبون اغتصابها وبين ذئاب يخطفون شاة ليتلذذوا بها.البقاء هو القيمة الوحيدة والصراع هو الآلية والعالم ما هو إلا حربُ الجميع ضد الجميع ، ومهما تطورت الكائنات فلن تنتج فكراً متجاوزاً وقد بررت الداروينية المشروع الإمبريالي والمشروع النازي وأراحت مجرمي الحروب من أية أعباء أخلاقية .

مع تصاعد معدلات العلمنة يتم حصر الدين أكثر فأكثر، وبعد أن يكون في المعاملات الشخصية يصير علاقة خاصة بين العبد وربه، ويزداد الحصار فتصير العلاقة قلبية وهذا أضعف الإيمان إن كان يسمى إيمانا أصلاً .

أصبحت العلمانية هي الإله الجديد ولعل الوقوف أثناء النشيد الوطني ، وتقديس الدولة، والأُمة فوق الجميع؛ كل هذه مصطلحات متجاوزة وتعني انتقال صفة القداسة من الدين للدولة ومن الدولة للقوانين المادية ، فالشعب ما هو إلا قوةٌ بشريةٌ متراكمةٌ توظفها الدولة للصالح العام ، وبالفعل ظهرت مصطلحات مثل مصلحة الدولة العليا، وقدَر الأُمة، وتراب الوطن ، وهنا أصبحت الدولة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها .

وقد برر أدولف أيخمان مذابحه التي ارتكبها في الفترة النازية بأنه مواطن صالح يتبع تعليمات الدولة العليا..، فداخل الدولة المطلقة نقلع النباتات المريضة ونقوم بإبادتها كما تمت إبادة ملايين اليهود والغجر ، فالولاء للوطن سيحل محل الولاء لله داخل الدولة العلمانية ، وقد حلت الدولة الغربية مشكلة الإثنيات العرقية عن طريق الدمج أو الإبادة أو الطرد ، وحلت الدولة محل الدين فهي التي تحدد الإطار الإجتماعي والأخلاقي الذي على المواطنين أن يسيروا في حلقته، وبالتالي تآكلت الدعائم الأخلاقية والثقافية، وظهرت بدلاً عنها ثقافة المجتمع وأخلاقيات المجتمع وظهرت النُخب الفاسدة في الدولة العلمانية التي لا تحقق ثروتها بفضل استثمارها بقدر ما تحققه بقدر استغلالها وانتهازيتها والرشاوي والربا والمضاربات والوسائل القذرة للربح، وهذه الدولة المدجنة بالأعلام المزخرف والمواكب البهية والتشريفات العالية، وظيفتها ليست التعبير عن إرادة الجماهير وإنما استنزاف طاقتها الجهادية وتبديد طموحها للاستقلال .

نجاح الدولة العلمانية في الغرب مرتبط أساساً بمدى النهب الذي مارسته أثناء الحقبة الاستعمارية فتراكم الثروات الرأسمالية هو تراكم إمبريالي-استعماري- في الأساس .

قررت كلُّ دولةٍ علمانية أن تضع نفسها فوق الجميع كما تقول كثير من الأناشيد الوطنية، وتقوم بغزو الآخر والاستيلاء على أرضه واستباحته إذا كان هذا في صالح مقدرات الدولة العليا، ويجب على الفرد أن يُذعن في هدوء باعتبار أن إرادة

الأُمة هي المرجعية النهائية والوحيدة، ومع الوقت تتغول الدولة وتستأسد وتظهر الدولة التنين والتي لا تريد من الآن فصاعدًا فصل الدين عن الدولة وإنما فصل طموحات الفرد وكل أحلامه عن الدولة، وتصبح الدولة هي المطلق واللوجس والمرجعية والغاية .

عمليات الربا والتجارة غير المشروعة تتطلب ممن يقوم بها نوعاً من الحياد والموضوعية الباردة ومن ثَم تقوم الدولة بتفكيك العلاقات التراحمية إلى علاقات نفعية .

أدركت العلمانية الغربية أن المواجهة العسكرية مع الدول الفقيرة لنهب الثروات صارت مكلفة ومرهقة بعد انتشار وسائل الإعلام والصحوات الإسلامية وهزائم فيتنام وأفغانستان، فقررت أن تلجأ إلى التفكيك، وتصدير العلمانية إلى النخب المثقفة، وتدويل الشركات عابرة القارات، وتدجين المثقفين من خلال ندوات تُنفق عليها الملايين، وأندية الروتاري والليونز حيث يتم استئناس النخب المثقفة فيتم التركيز على الزيادة السكانية والحد من تزايد السكان، وعلينا أن نترك الندية ونعترف بالواقع وفي النهاية نستسلم للعدو .

لم تظهر مشكلة الأقليات في العالم الثالث إلا بعد اقتحام الدول العلمانية لها وتغذيتها للإثنيات والجيوب الصغيرة في الدول النامية .

النشاط الاقتصادي هو مرجعية ذاته ولا يمكن الحكم عليه من منظور خارج عنه متجاوز له، فالمجتمع ككل ينحل إلى سوق ومصنع ، والمواطن الصالح هو الذي يسير حسب خطوط الموضة ويكون منتج ومستهلك بأداتية عالية، بغض النظر عن مشاكل الاغتراب والتسلع واللامعنى واللامعيارية التي تصيب الانسان في اقتصاديات السوق، حيث اليد الخفية لآدم سميث وآليات السوق – والسوق يتنازع المطلقية مع قيم المجتمع –، وفي الغالب النزاع يُحسم لصالح السوق لأنه الأقرب إلى الطبيعة المادية والقوانين الطبيعية، وقد قدمت العلمانية الفرصة الذهبية لكل المؤسسات الانتهازية، فالمؤسسة من حقها استخدام كل الوسائل لتنفيذ غاياتها، والدولة في هذا لا تهدف إلى إشباع حاجة سكانها بقدر ما تهدف الى زيادة ثرواتها وإنتاجيتها وقوتها العسكرية والاقتصادية .

في المجتمعات التقليدية–الدينية– فإن العمل هو فقط لتحقيق الحاجات الأساسية، وهو ليس غاية في حد ذاته فحياة الإنسان ليست مُكرسة تماماً للعمل، والهدف من العملية الإنتاجية ليس مراكمة رؤوس الأموال وإنما إشباع الحاجة .. ، وبنية المجتمع التقليدي مستقرة ولا يوجد تفكك أُسري إذ لا حاجة لتفتيت الاسرة من أجل تراكم المال .

سيادة مجموعة القيم التي لا علاقة لها بالفرد هو جوهر الحداثة، وتحل الوظيفة الاقتصادية محل العواطف والمشاعر الإنسانية والأخلاقية والمعنوية .

مع الوقت تُصبح العبادات داخل المنظومة العلمانية مصدراً للهدوء النفسي فحسب، ويصبح الانتماء للمسجد مثل الانتماء لنادي لعب الشطرنج – على حد تعبير رودنسون– .

الشذوذ الجنسي يصبح داخل المنظومة العلمانية ميلاً جنسياً، والعاهرة تصبح عاملة جنس ، واستخدام العنف يسمى موازين القوى، والإذعان للعنف يصبح مقدرة على التكيف ، والحروب الغربية تصبح حروب عالمية .

العلماني شخص غير قادر على إرجاء إشباع رغباته، فهو يريد الآن وهنا؛ ولذا فكلمة علمانية تعني في أحد تعريفاتها زمانية .

مشكلة الاقتصاد العلماني أنه يدور في إطار بعيد عن الغائية أو القيمة الخلقية، وفي إطار تصعيد للاستهلاك لم يطالب به أحد.

القِبلة التي ينظر إليها الجميع في الصلاة هي مكان فارغ في الحائط تشير إلى الماوراء.

الممثلة وعارضة الأزياء كلها في الغالب وظائف تدور في إطار جسد المرأة ولا تتجاوزه ، فالمرأة تتحرك في أوساط مشبوهة وحياتها الخاصة مِلكٌ للجميع ، وتلعب أدوراً تتطلب منها استباحة جسدها للجمهور، ومع ذلك تلقى هذه الوظائف في المجتمع العلماني كلَّ العناية والترحيب والتبجيل ؛ لأنه مجتمع بلا غاية أو قيمة معيارية أو مرجعية أخلاقية أو قيمية .. يُلاحَظ أن الكثير من مصممي الأزياء من الشواذ جنسيًا .

عملية علمنة الأسرة ظهرت أول ما ظهرت في حقوق المرأة ثم حقوق الطفل، ثم تفككت الأُسرة واختفت حيث تحل العلاقات التعاقدية محل العلاقات التراحمية، وتنهار الأُسرة إذ يسعى أبناؤها لتراكم رأس المال بمجرد البلوغ ، ويتحول الأطفال إلى وحدات اقتصادية منتجة، وتبدأ مؤسسة الزواج في الاختفاء وتحل محلها علاقات أكثر حياداً ونفعية .

إذا اجتمع رجل وامرأة في الغرب فإنهما لا يُحسان بوجود الشيطان بينهما ؛ لأن عالمهما أصبح حيادياً تماماً خاليا من القداسة أو الخير أو الشر، كل ما يتطلبه اللقاء شهادة خلو من مرض الإيدز مُعتمده بتاريخ حديث .

السائح هو باحثٌ شرِه عن اللذة وقد يود مشاهدة الآثار لكنه لا يطيق التاريخ .

الرياضة بدلاً من أن تكون وسيلة لتهذيب النفس وصحة البدن تتحول إلى قمة الصراع الدارويني ويصبح الهدف تحقيق الأرقام القياسية التي تتجاوز قدرة الانسان، ويتم علمنة اللاعب الى أقصى حد فهو يُدرَّب تدريباً قاسياً ثم يُباع الى دول مختلفة ثم يُستخدم في النهاية كإعلان لبيع السلع .

هناك فرقٌ بين الجريمة التي تُرتكب في دولة علمانية وأُخرى دينية، فعندما يقوم جيش من العلماء والخبراء والفنيين بتصنيع سلاح كيماوي ثم تسليطه على مدينة ما فنحن لا نستطيع ان نُلقي بالمسئولية على شخص بعينه حتى الذي يضرب السلاح، فالكل يعمل بمنتهى الكفاءة بدون ضحك أو بكاء بدون تحريم أو قداسة ؛ لذا كان الجنود الألمان ممنوعين من

الإساءة لليهود وهم في طريقهم لأفران الغاز؛ لأن ركل السجين هو تصرف إنساني سلبي ومع أنه سلبي إلا أنه يظل في إطار إنساني ، فإذا قام الجندي بركل سجين اليوم، فربما يشعر غداً بالشفقة على شيخ كبير أو طفل، وبعد غدٍ ربما يقع في حب إحدي الفتيات وهي في طريقها للحرق ، وهنا يصبح إنساناً مُركباً ذا أبعادٍ جوانية ، وهذا الإنسان لا يصلح في دولة علمانية حيث سيؤدي حتماً إلى خللٍ ما ، وهذا يفسر لنا كيف كانت ألمانيا النازية تعاقب أي جندي ألماني يُسيء إلى أحد اليهود وهو في طريقه للحرق في أفران الغاز .

مفهوم "الإنسانية جمعاء" هو مفهوم أخلاقي قِيمي متجاوز، وليس هناك ما يُلزم الإنساني الطبيعي بتلك القيود والمثل غير المادية .

نهاية التاريخ مرتبطة دائماً بنهاية الإنسان حيث تنتهي الظاهرة الإنسانية كظاهرة مُركبة وكحيز للخيارات الإنسانية؛ يرى فوكوياما في كتابه نهاية التاريخ أن نهاية الإنسان بنهاية التاريخ وتطبيق الليبرالية على العالم أجمع هذا أمرٌ غيرُ سييءٍ، فاختفاء الإنسان ليس كارثة كونية، ولا هو كارثة بيولوجية فالإنسان سيبقى حياً كالحيوانات منسجماً مع المادة، ما سيختفي هو الإنسان بمعناه الشائع، فيتحول الإنسان إلى شيء ضمن الأشياء ويسيل العالم كله داخل قوانين المادة الصامتة عندها فحسب تنتصر الليبرالية!

الحداثة هي رؤية تتغير كل أسبوع تقريباً لكن تعتمد أساساً على غياب المرجعيات والقيم المطلقة.

نحن نعرف إمبراطوريات ظهرت في الهند والصين وأمريكا الجنوبية، وكل هذه الإمبراطوريات انتهت دون أن تترك أثراً في أُوربا، أما الحضارة الغربية الحديثة فهي تعتبر نفسها المطلق الذي يجب على الجميع اتباعه، وتتحدد مرتبة الدولة حسب اقترابها او ابتعادها من أُسس الحضارة الغربية الحديثة وهذا أمر مُستهجن نظرياً وعملياً .

الغرب يقدم دعمه للعالم العربي فقط لأنه يحتاج أن يتحول العالم إلى شبه مصنع وشبه سوبر ماركت، فالبدوي في صحراء نجد والفلاح في صعيد مصر كل هؤلاء لن يحتاجوا الهامبورجر أو التي شيرت أو البنطلون الجينز، وهم بهذا يقفون في وجه علمنة العالم بقسوة بسبب تقاليدهم ومن ثم لا يمكن تجويعهم أو حرمانهم، فهم ثغرة داخل النظام العالمي الجديد.

عندما تصل العلمانية إلى الجميع تختفي كل المنحنيات وتنبسط كل النتوءات، ويظهر بشر ذوو بُعْدٍ واحد وتختفي الذاتية والخصوصية والعمق والحضارة والإنسان .

المساواة التي يريدها النظام العلماني هي ليست مساواة ولكن تسوية، أي رفض كل الخصوصيات والمركزيات والمطلقات، فالجميع مادة استعمالية حيث يتم تفكيك أسلحة الآخرين القيمية والحضارية والأخلاقية وينصب العلماني سلاحه هو في المركز .

المطلوب إنسانٌ اقتصادي مادي لا ذاكرة له، وشرقٌ عربيٌّ مَرِنٌ قادرٌ على تنفيذ المطلوب ببراءة وحيادية .

السياحة تُسهل اللذة حيث تتوقف العلاقات التراحمية وتظهر العلاقات التعاقدية ، فالمجتمع المغلق يعيش في إطار المقدس والحلال والحرام، فمن العسير تحقيق اللذة في مجتمع كهذا يُغلِّب تأنيب الضمير على اللذة الوقتية ؛ لذا دائما تكون اللذة أسهل في مجتمع منفتح مباح .

الدولة المركزية الحديثة لا تطلب دفع الضرائب فحسب ، وإنما أيضاً الولاء الكامل لكل طقوس الدولة .

فكرة الروح تفترض أن كل فرد مختلفٌ عن الآخر، وأنه حُرٌّ ومسئول مسئوليةً مباشرة عن أفعاله.

لماذا دائماً نفترض أن تدمير العالم شرٌّ وتشجيره خير ؟

صراحةً لا يوجد مادياً دليلٌ واحد على أن التدميرَ شرٌّ أو التشجيرَ خيرٌ، فالمادة حركة بلا غاية يستوي فيها التدمير والتشجير .

أصبحت العدمية زائرًا دائمًا بيننا على حد قول نيتشة .

تراكم السلع يؤدي إلى افتقار دائم للاتزان وفقدان التحكم واختفاء الحدود، وهو افتقار ذو تكلفة عالية إنسانياً وقد أدى التركز نحو اللذة إلى زيادة معدلات الجريمة وتفكك الأسرة والعبثية والعدمية.

القفص الحديدي عند فيبر .. السجن الحديدي عند زيميل .. الإنسان ذو البعد الواحد عند ماركوز .. كلها مصطلحات أفرزتها العلمانية ، فالإنسان في العالم العلماني ذرة لا معنى لها .

دائماً ما يصحب التقدمَ العلميَّ تخلفٌ كونيٌّ، فالتلوث وأسلحة الدمار الشامل وثقب الأوزون وتلوث البحار وتزايد ثاني أكسيد الكربون تخلف كوني لا ينفك عن هذا العالم، والتقدم العلمي يفيد الغرب وحده بينما التخلف الكوني يضرنا جميعاً.

ثمة إحصائية تقول إنه لو تم حساب كل ما لمشروع صناعي وما عليه فستكون جميع المشاريع الصناعية خاسرة ، فالغرب حقق ما حقق من نجاح لأن الآخرين دفعوا الثمن .

يربط فيبر بين الإنسان الوثني وبين العلماني فكلاهما يفتقر للمرجعية الأخلاقية والقيمية والمطلقية المتجاوزة، والإنسان يعيش في عالم يفتقر إلى المركز ويتسم بتعدد العقائد والنسق المعرفية والآلهة المحلية للحصول على تهدئة مؤقته؛ لذا هو دائم التقدم بقرابين ، دائم القلق، وفي نفس الوقت فإن من خصائص الوثني الأنانية والاستغراق في المتَع .

الحداثة هي انفصال الإنسان عن العلاقات الكونية المتجاوزة، ليُخضع كل علاقات البشر للتفاوض وللعلاقات التعاقدية .

"الإنسان مجموعةٌ من الرغبات المادية التي لا تُشبع"، والنمو المتزايد في السلع مرتبط دائماً بهذا الافتراض، وهذه السلع لا يمكن الحصول عليها إلا بمزيد من بذل الجهد، وهكذا يدخل الإنسان دوامة العلمانية وينهار في النهاية لصالح المادة التي لا تنتهي .

في النظم الاشتراكية يظهر دائماً بطل الإنتاج الذي كفاءته تفوق دائماً كفاءة أي إنسان سَوي ، فهو إنسانٌ وظيفيٌّ عمليٌّ توّحد تماماً مع وظيفته، ثم هو يراكم الثروات ويقمع ذاته تماماً ، ويظل الترويج لهذه الشخصية في الإعلام العلماني مع عدم ذكر أي شيء عن التكلفة النفسية والأخلاقية لعملية اختزال الإنسان .

في العلمانية الإنسان مجرد ظاهرة لا سرَّ فيه ولا غاية لوجوده.

المنظومات العلمانية كثيراً ما تستورد مصطلحاتٍ ومفاهيمَ دينيةٍ دون أي التزام بالأعباء الأخلاقية المرتبطة بهذه المفاهيم، وعندما كان الرجل الأبيض يبيد الحضارات بأكملها كان يتحدث عن عبء الرجل الأبيض .

عندما سُئل هتلر عن سبب كرهه لليهود أجاب: لا يمكن أن يكون هناك شعبان مُختاران.

العلمانية لا يمكنها أن تعيش إلا على التوسع وإلغاء الآخر .

هيأت العلمانية للصهيونية والنازية والفاشية . — وقد تحدثنا في الفصل السادس باستفاضة عن كَون الصهونية عقيدة إلحادية علمانية بامتياز، في مقال" الصهيونية عقيدة إلحادية وليست توراتية"-.

اكتشفت العلمانية أخيراً إفلاس مبدأ اللذة والمنفعة في جلب السعادة للإنسان، وبالتالي ظهرت أزمة المعنى، وحاول العلمانيون البحث عن السعادة وراء التضحية بالمال أو تبني الفقراء، ولكن هذه أيضاً لم تجلب اللذة المطلوبة، فالعلماني حتى في تضحيته هو أناني وفي بذله هو منفعي .

---

*هذا المقال من وحي كتب د.عبد الوهاب المسيري، وخاصةً كتاب العلمانية الجزئية العلمانية الشاملة، دار الشروق، طبعة 2002 .

الكبسولة الثانية والعشرون: الرد على شبهة من خلق الله ؟

يدعي الملحد أن كل شيء له سبب؛ فلماذا لا ينطبق الأمر على الخالق ذاته ؟

الرد:

أولاً: كل شيء له سبب، وهذا لا يمنع وجود خالق بل يؤكد وجوده، فلماذا يقوم الملحد بترحيل قضية كفره إلى هذا السؤال السفسطي؟ وكأن إلحاده ليس حل في ذاته وإنما هو موقف وقتي إلى حين إيجاد حل لهذا السؤال .

ثانيًا: كل شيء له سبب، لكن الله ليس كمثله شيء {ليس كمثله شيء } ﴿١١﴾ سورة الشورى.

ثالثًا: الحل الديني لهذه المسألة ذكي وبسيط ويستوعبه أي عاقل فالخالق غيب ولا ينطبق عليه ما ينطبق على مخلوقاته، وبالتالي فبديهة أن كل شيء يجب أن يكون له سبب لا تتعارض مع من ليس كمثله شيء.

والخالق خارج حدود الزمان والمكان وموجد الزمان والمكان، فلا تنطبق عليه قوانين موجوداته بداهةً.

رابعًا: الحل الذي يقول بالتسلسل اللانهائي ممتنع عقلاً، ونسوق هنا مثال الجندي و الرصاصه " لو كان هناك جندي يريد إطلاق رصاصة و لكن يحتاج لأمر من قائد أعلى منه، والقائد يحتاج لأمر من قائد أعلى منه الخ الى ما لانهاية، فلن تنطلق الرصاصه أبدًا ." والمثال يبين كون التسلسل السببي إلى ما لانهايه ممتنع، ويجب وجود سبب أول لا سبب له بدأ السلسلة، هذا واجب عقلي ومنطقي، وعليه فهذا السبب بالتأكيد ليس كمثل أي شيء – ميتافيزيقي-.

خامسًا: الطرح الديني في هذه القضية هو الطرح الأكثر منطقية وعقلانية والأكثر إحكامًا، فوجود خالق ليس من هذا الكون وليس كمثله شيء أزلي موجد للكون وخالق له هو الحل الأقرب للعقل.

الكبسولة الثالثة والعشرون: الأخلاق مبهاة أصحاب الأديان

الأخلاق مبهاة أصحاب الأديان والحجة الأولى والأكبر لأهل الإيمان، والتي يحق لنا أن نحتج بها كل يوم على بني لحدان في البداية الأخلاق نوعان:

أخلاق مصلحية منفعية أنانية مادية، وهي تسمى أخلاق المجتمع – أُعاملك بأدب كي تعاملني بأدب – وهذه تسمى أخلاق النفاق وهذه ليست الأخلاق الأصيلة التي يؤسس لها الأخلاقيون – أنبياء ومصلحين –، عبر كل العصور والأزمان .

وهناك النوع الثاني من الأخلاق وهذه تسمى الأخلاق الأصيلة، وهي الأصل والأساس وهي تأتي ضد المصلحة الشخصية .. أخلاق غير مربحة عمليًا ... ضد المادة .. ضد العقل .. لم يتم الرهنة عليها عمليًا أو عقليًا إلى يومنا هذا، مثل أخلاق الزهد والتبتل والتضحية، والعمل الأخلاقي غير المقترن بفائدة مادية أو رياء أو منفعة شخصية .

هذا النوع الثاني من الأخلاق لا وجود له في العالم الإلحادي، بل إن وجوده أو الاعتراف بوجوده هو أكبر ضربة يمكن توجيهها للفكر الإلحادي على الإطلاق، يقول [نيشه] في كتابه هكذا تكلم زرادشت :– " اقهر الضعفاء ، اصعد فوق جثثهم .. هكذا تكون ابن الطبيعة "، فالإنسان من منظور مادي أرضي هو كائن عضوي ذو ثلاثة أبعاد، حدود الطبيعة هي حدوده، يسري عليه ما يسري على الظواهر الطبيعية، فهو شيء بين الأشياء يمكن دراسته في إطار دوافعه الاقتصادية والمادية فحسب، وبالتالي فإن أي حديث عن الأخلاق من النوع الثاني هو ضرب من القول بالميتافيزيقيا، وإدخال عناصر غير مادية على النموذج الإلحادي المادي المجرد.

فالأخلاق تمثل ثغرة في النظام الطبيعي ، تمثل تمردًا على قوانين المادة ..، وعندما دخل الإنسان الأول إلى التاريخ برأس مال أخلاقي مبدئي هائل كان في هذه اللحظة يؤكد على أصالة ظهوره و تمرده على الطبيعة التي نشأ منها، وصار هو المركز والطبيعة هي الهامش، وصار سموه وترفعه وحريته قيمًا دينية مجرده لا يمكن بحال ردها إلى النظام المادي المجرد .

فالأخلاق ثغرة معرفية كبرى في النسق الكوني؛ ولذا لا يمكن إخضاعها لقوانين الطبيعة وحتميات ماركس التاريخية ، أو حتميات داروين العضوية، أو حتميات دوركايم الإجتماعية . هذا الاختلاف بين الأخلاق والطبيعة يُعبِّر عن نفسه في الاختلاف بين المؤشِّر في العلوم الطبيعية والمؤشِّر في العلوم الإنسانية.

يقول عالم الأحياء [باجميلز] في بحث متخصص عن السلوك الجنسي لدى البشر عبر التاريخ: " على العالم الغربي أن يتعلم كثيرًا من أخلاق البدائيين ومبادئهم، في العلاقات الجنسية حتى يتسنى له الرقي الأخلاقي الحقيقي"

.Bagemihl, p. 5

والأخلاق عقليًا غير مربحة بل ضارة بل هي أكبر عبء على صاحبها، وقد تساءل [ماندفيل] Bernard mandeville أستاذ علم الأخلاق الإنجليزي: ما أهمية الأخلاق لتقدم المجتمع والتطور الحضاري ؟ وأجاب ببساطة : لا شيء بل لعلها تكون ضارة .

ولذا فالأخلاق لم تتم البرهنة عليها عقليًا إلى الآن ، والأخلاق والدين هما أقدم الأفكار الإنسانية ترًا ، وقد ظهرا سويًا مع الإنسان، كل هذا يؤكد أصالة الظهور الإنساني وغائية الأخلاق التي يحملها.

والإله هو الشرط الوحيد لسمو الإنسان وحريته وأخلاقه ومبادئه وقيمه، فالأخلاق الأصيلة تستمد قيمتها من عالم آخر؛ عالم لا علاقة له إطلاقا بعالمنا المادي المجرد، وبدون هذا العالم الآخر تتحول الأخلاق إلى مجرد لغو فارغ، ووهم يستحيل أصلاً التنبؤ بوجوده لعدم وجوده! فما بالنا وهو موجود بل وحتى أعتى الملحدين يدعي أنه على أخلاق، وهو بذلك ودون أن يدري يُسقط المنظومة الإلحادية بأكملها .

الكبسولة الرابعةوالعشرون:انهيارالربوبية :هل العقل كافٍ لتحديد صفات الإله ومعرفة الغاية من الخلق ؟

الذكاء الإنساني متفاوت وبالتالي تتغير صفات الإله حسب القدرات العقلية والمنهج الاستنباطي، وحتماً هناك مَن يُجيز على الإله ما لا يُجيزه غيره .

الآن نحن أمامنا عقولٌ متفاوتة وبالتالي أمامنا نسخٌ عن صفات الإله تختلف كل نسخة اختلافاً جذرياً عن النسخة الأُخرى ، وأنا أعترف أنه ربما تصل نسخة منهم إلى حد الكمال فعلياً لكن حتماً ستوجد نُسخٌ تصل إلى حد الوثنية والصنمية، لكن المشكلة الفعلية هي :أي نسخة سيؤمن بها الإنسان؟ وبأي حُجة سيتم إقناع أتباع الربوبية باعتماد هذه النسخة بديلاً عن نسخ أُخرى ؟ وماذا لو ظهرت في المستقبل نُسخٌ أكثر رقياً هل سيتم اعتمادها واعتبار أن المؤمنين بالنسخ السابقة كانوا لا يعرفون الإله الحقيقي ؟

وكيف يتم إقناع الربوبيين بوجود نسخة حصرية وعقل حصري استطاع أن يعرف صفات الإله الحقيقية؟ أليس من الممكن أن يحدث تمرد عام داخل المذهب الربوبي، لأن فكرة العقل الحصري والنسخة الحصرية هي فكرة لا يمكن استيعابها إلا في إطار وحي ورسالات وبالتالي انهيار كامل لأصل الأصول في الربوبية ؟

ثم ما الذي يجعل هذه النسخة أفضل من نُسخ أخرى لا نهائية يفترضها العقل الواحد بمرور السنين والتجارب والنمو الفكري والعقل الأداتي ؟

إذن يجب تأجيل طرح النسخة للإيمان الذاتي إلى حين قبل الموت بلحظات بحيث لا تبقى فرصة لطرح نُسخ أعلى رقياً وأكثر تهذباً.

مما سبق يتبين استحالة – استحالة – استحالة اعتبار العقل معياراً لتحديد صفات الإله ، واستحالة اعتبار النُسخ العقلية التي يفترضها لتحديد صفات الإله هي نسخ حصرية، ومن هنا يتبين انهيار الربوبية في أعظم أصل من أُصولها وهو استخدام العقل في تحديد صفات الإله.

وعليه يستحيل أن تكون الربوبية هي ما يريده الله منا أو تكون هي المنهج الذي يرتضيه الله لعباده

لقد انهارت الربوبية في أصل أصولها ، وانهار معها حلمٌ جديدٌ لإعادة الوثنية بصورة أكثر عقلية وأكثر حكمة ومنطقية في الظاهر لكن في الباطن لا تختلف الربوبية في منهجها الاستدلالي عن أحط الديانات إغراقا في الوثنية والمادية؛ لأن العقل الذي يؤله هو العقل الذي يوثن ، وعليه تكون الربوبية هي أحد المذاهب الكُفرية لا تختلف كثيرا عن الإلحاد والوثنية والفلسفات المادية، ويعود الربوبي مرةً أخرى ليكتشف أنه من أكفر الخلق وأبعدهم عن الله والحق في الوقت الذي كان يظن أنه العبقري الذي أتى بما لم يأت به الأوائل { قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ

أَعْمَالًا . الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا . أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا }(الكهف:105:103)

الكبسولة الخامسة والعشرون: سوف أبصق على قبوركم!

لماذا ماتت الأشياء الجميلة في العالم الإلحادي ؟ لماذا قام الفلاسفة بافتتاح مبولة وسط باريس ليرمزوا بذلك الى انتحار الإنسان ؟ وظهر الفنان ماليفيتش الذي رسم لوحته " مربع أبيض فوقه خلفية بيضاء " رمزاً لنهاية الحضارة وقمة العبثية، وأرسل الفنان الفرنسي مارسيل دوشام إلى جمعية الفنانين المستقلين في نيويورك نافورة وهي في الحقيقة مبولة احتجاجاً على عبثية الحياة.

وسُمي فن الإلحاد ب"فن المبولة".

فالإلحاد المادي قتل الروح وشَعَر الإنسان في ظله بالعبثية والتفكك فمات الفن وماتت القيمة، وماتت روح الإنسان، وإذا لم يكن هناك روح للإنسان فلن يكون للفن روح ؟

وظهر الفنان جاكسون بولوك الذي صوَّر عبثية الإلحاد في لوحاته الشهيرة حيث كان يصب الألوان على اللوحات ثم يتمشى عليها بأحذية مثقوبة ، وإذا بأسعارها تقفز الى أرقام مجنونة وبيعت إحدى هذه اللوحات في عام 1991 في صاله كريستي ب45 مليون فرنك، وفي معرض لفن الحداثة نظمه مركز جورج بومبيدو في باريس اجتذب المعرض 800 ألف زائر مما حقق أرقامًا قياسية تفوق أي معرض راقٍ في العالم، مع أن ما نشهده لا يزيد على مجموعة من رقاب الزجاجات أو سجاجيد عليها أكوام من الحبال وكريات من الصوف.

وقام أحد فناني ما بعد الحداثة برسم لوحة زُجاجية بتكليف من متحف الفن الحديث في نيويورك ، وأثناء نقل اللوحة سقطت وظهرت فيها شروخ؛ فطمأنهم الفنان قائلاً: " العمل المكسور أفضل منه سليمًا." وهذه قمة التفكيك واللامعيارية .

بعض رواد المتحف الحديث الذين تعودوا على تقبل التجريد وفن ما بعد الحداثة، توقفوا أمام سجادة كانت تأخذ شكل مخروط ، وأخذوا يبدون إعجابهم الشديد بهذا العمل الفني الرائع، إلى أن حضر أحد عمال النظافة في المتحف وحمل السجادة ثم فرشها على الأرض مع بقية السجاجيد الأخرى، فقد كانت سجادة عادية مُكومة بالصدفة .

لماذا تموت الأشياء الجميلة في الإلحاد؟ لماذا يصاب كل شيء بالحياد؟

لقد نُزعت القداسة عن الإنسان وتم تفكيكه وأصبح خالياً من المرجعية والمركز .

إن هذه الموجة من الأعمال الفنية التي تُعبر عن ضياع الإنسان وموت القيمة وانهيار الروح لا يمكن استيعابها إلا من خلال المنظور الإلحادي المادي، وهل يصلح أن نقارن أعمال شكسبير ب"سوف أبصق على قبوركم" لبوريس فيان ؟

إن الإلحاد يعلنها صريحة: أنه لن يصلح لتحليل ظاهرة الوجود الإنساني، وأن العبثية والتشاؤم والعدمية ثمرة حتمية للرؤية الإلحادية للعالم من حولنا!

الكبسولة السادسة والعشرون: لا يوجد في تاريخ أُمة الإسلام ملحد واحد

لا يوجد في تاريخ أُمة الإسلام ملحد واحد، ومع ذلك يأتي الملحد ويزعم أن هناك عدد كبير من الملحدين في تاريخ الإسلام ..!!

الملحد العربي يتيم فعليًا ..ولا يجد له سابقاً يقول بشناعاته الإلحادية عبر تاريخ أُمة الإسلام .. ونظرا لشعوره هذا باليُتم، اضطر أن ينسب الإلحاد زورًا وبهتانًا إلى الكثيرين من جهابذة الأُمة وعلمائها الفضلاء عبر العصور ..!!

وقد وقعت تحت يدي مقالات ومقاطع فيديو ينشرها الملاحدة بكثافة في الإنترنت، ينسبون فيها الإلحاد إلى بعض أبناء أُمة الإسلام .. ونحن في هذا المقال نُفنِّد كذب الملحد وندافع عن جهابذة الأُمة ..وُنثبت أن الإلحاد العربي المعاصر هو إلحاد اليُتم والكذب على الأئمة والأعلام ..!!

ومشكلة الملحد العربي أنه لا يعرف الفرق بين الإلحاد الاصطلاحي والإلحاد في اللغة ..

فيظن أن كل شخص أُطلق عليه لفظة ملحد أنه مُنكر للصانع ..!!

فالإلحاد في اللغة يشمل كل من يميل عن شرع الله ..

أما الإلحاد الاصطلاحي الذي يعني إنكار الصانع فهذا لا يُعرف في تاريخ أُمة الإسلام ..

ولا يوجد في تاريخ أُمة الإسلام عبر التاريخ وعبر الجغرافيا مُلحد واحد ..!!

لا يوجد في تاريخ أُمة الإسلام عبر التاريخ وعبر الجغرافيا مُلحد واحد ..!!

يقول ابن رشد " إن العرب كلها تعترف بوجود الباري سبحانه وتعالى ."– منهاج الأدلة ص128 .. من كتاب (العقيدة الإسلامية في مواجهة التيارات الإلحادية .. د.فرج الله عبد الباري أُستاذ العقيدة والأديان ..دار الآفاق العربية ..ص43)–

ويقول الشهرستاني " وشبهات العرب مقصورة على شبهتين ..إنكار البعث .. وبعثة الرسول .– الملل والنِحل 4-105 .(نفس المصدر السابق ص 43)–

ويقول الشهرستاني أيضاً " أما تعطيل الصانع العالم القادر الحكيم فلست أراها مقالة لأحد .. ولا أعرف عليها صاحب مقالة." – نهاية الإقدام ص123 .. (نفس المصدر السابق ص 43) –

ولذا " لم يرد التكليف بمعرفة وجود الصانع وإنما ورد بمعرفة التوحيد ونفي الشريك ." – المصدر السابق –

بل وقد ذهب الآلوسي وابن كثير في تفسيرهما إلى أن الدهرية كانوا يؤمنون بالله لكنهم ينكرون البعث وهذا في تفسيرهم قول الله تعالى {وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون} ﴿الجاثية24﴾ .

وسنذكر فيما يلي الشخصيات التي وُصفت جهلا وزورا وكذبا بالإلحاد ..

وليس معنى ذلك أن هذه شخصيات مُنزهة عن الخطأ بل بعضها له أخطاء شنيعة في العقيدة لكن هذا أمر لا علاقة له بالإلحاد – الذي هو إنكار الصانع – من قريب أو بعيد .

الفارابي

وُلد سنة 260 هجرية ولُقِّب ب" المعلم الثاني " نسبة للمعلم الأول أرسطو .. وهو شارح مؤلفات أرسطو المنطقية … وصاحب كتاب "الآثار العلوية" والمنافح عن عقيدة التوحيد .. والذي قضى عمره زاهدا متقشفا ليتفرغ لتأصيل فلسفة التوحيد، وواجب الوجود وحين مات صلَّى عليه سيف الدولة ابن حمدان .. يقول الفارابي " معرفة الحقائق القصوى كلها مصدرها الله والفيلسوف يتلقى الحقائق بواسطة العقل الفعال فتكون طبيعتها عقليه وليس حسية، أما الرسول فتأتيه المعارف مُنَّزلة من عند الله بتوسط الملك جبريل ." – الفارابي المعلم الثاني–

ويضع الفارابي شرطًا جوهريًا في مدينته الفاضلة وهو الإيمان بالله الواحد الأحد لكل أبناء المدينة .. فكيف يُقال عن هذا أنه ملحد ؟..!!

ابن سينا

وُلد سنة 370 هجرية، وكان والده شيعياً إسماعيلياً .. ولُقِّب ب " الشيخ الرئيس " وعاش متفائلاً في جميع مراحل حياته وكان يعتقد أن العالم الذي نعيش فيه أحسن العوالم الممكنة، وكان له تأثر شديد بالإسماعيلية في كتاباته ولذا يعتبره شيخ الإسلام –ابن تيمية– من الطائفة الإسماعيلية لا أكثر .

وكان ابن سينا يقول بالمعاد الروحاني لا الجسماني، فقد كان متأثرًا كثيرًا بالفلسفة الباطنية عند الإسماعيلية لكن هذا شيء والإلحاد الذي هو كفر الصانع شيء آخر تماما .

بل إنه لما اعتَّل وتكاثرت عليه الأمراض في نهاية حياته اغتسل وتاب وتصدَّق بما لديه من مال للفقراء، وأعتق غلمانه طلبًا للمغفرة، وبدأ يختم القرآن كل ثلاثة أيام .– وفيات الأعيان .. لابن خلكان المجلد الثاني صفحة 157–

ابن طفيل

وُلد سنة 493 هجرية في قرطبة، وهو من قبيلة مُضر العربية، وهو الفيزيائي الطبيب العالم الفيلسوف، قاضي الأندلس .. صاحب رواية "حي بن يقظان " الشهيرة، التي تروي قصة طفل نشأ في جزيرة نائية بحضرة الحيوانات فاهتدى بفطرته إلى

الله وظل يتعبد له ...وقصة "حي بن يقظان " قصة فلسفية في غاية الرُقِّي الفكري تُصنَّف في باب الإلهيات وإثبات الروح بالفطرة .. –http://shamela.ws/index.php/book/9734– –

هل هذا يُقال عنه أنه ملحد ؟

ابن رشد

وُلد سنة 520 هجرية .. فيلسوف وفقيه وقاضي وفيزيائي وطبيب .. إمام أهل الأندلس المالكي، شيخ فلاسفة الإسلام .. قاضي أشبيلية .. صاحب كتاب " فصل المقال فيما بين الحِكمة والشريعة من الاتصال" وهو الكتاب الذي يشرح الجمع بين العقل والنقل .. يقول ابن رشد "إنّ الحكمة هي صاحبة الشّريعة، والأخت الرّضيعة لها، وهما المصطحبتان بالطّبع، المتحابّتان بالجوهر والغريزة. " .. ويَعتبر ابن رشد أن الفلسفة هي " النظر في الموجودات واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع، أعني من جهة ما هي مصنوعات، فإن الموجودات إنما تدل على الصانع بمعرفة صنعتها وأنه كلما كانت المعرفة بصنعتها أتم كانت المعرفة بالصانع أتم ."– ابن رشد .. فصل المقال ص22–

ثم يأتي ملحد معاصر ويُصنف ابن رشد في قائمة الملحدين عنده ..والله المستعان .!!

ابن الراوندي

من أكثر الشخصيات غُموضا في تاريخ أُمة الإسلام .. لا نعرف هل مات في الأربعين أم الثمانين انتقل بين الديانات .. كان يهودياً وأسلم ليستعز بالدولة الإسلامية العباسية، ثم أصبح معتزلياً لأنهم الأقرب للخليفة، ثم هاجمهم، ثم التحق بالشيعة الباطنية، وألف كتابا في تأييد الشيعة مقابل 33 دينار، ثم أصبح سُنياً وألف كتابًا في التوحيد انتصاراً للسُنة، ثم صار يهودياً مرة أُخرى وألَّف كتاب البصيرة لنصرة اليهودية مقابل 400 درهم، ثم حاول الرد على اليهود فأسكته اليهود مقابل 100 درهم أُخرى .. ومِثل هذا عبء على اليهود واليهودية لا أكثر..!! – يوسف زيدان أُستاذ الفلسفة ومدير مركز المخطوطات بمكتبة الاسكندرية (المصدر كتاب "وهم الإلحاد" د.عمرو شريف)–

عبد الله ابن المقفع

وُلد سنة 142 هجرية .. فارسي زرادشتي اعتنق الإسلام .. واتصل بعم أبي العباس السفاح و أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي، وكانت علاقاته السياسية سببا مباشرا في قتله وتلويث سمعته من قِبل حُساده بعد موته .. ولذا يقول وائل حافظ في تصديره لكتاب الأدب الصغير " ابن المقفع كُتُبُهُ بين أيدينا تكاد تنطق قائلة : ((وايم الله ! إنَّ صاحبي لبريء مما نُسب إليه)) !.وليت شعري كيف ساغ لفلان وفلان وفلان ممن ترجموا للرجل أن يجزموا بذلك، وكلهم قد صَفِرَت يَدُهُ من البرهان؟ إنْ هي إلا تهمة تناقلوها بدون بيان. وقِدْمًا اتهموا أبا العلاء المعري بذلك حتى قيض الله له مِن جهابذة المتأخرين مَن أثبت بالدليل الساطع والبرهان القاطع براءته. "

ولذا يقول د. عبد الرحمن بدوي" ابن المقفع نَسبت إليه المعتزلة الكثير من الأقوال وهذا يرجع إلى الحسد."– من تاريخ الإلحاد في الإسلام .. د.عبد الرحمن بدوي –

ابن زكريا الرازي

وُلد سنة 250 هجرية .. عالم وطبيب فارسي ومن أشهر الأطباء في التاريخ .. وقد ابتكر خيوط الجراحة وصنع المراهم ..

لم ينكر وجود الله وكان يعتبر العقل هبة الله ليتفكر به الإنسان .. وهو صاحب كتاب "إن للعبد خالقاً ".. فكيف يُصنف في زمرة الملحدين .؟

أما ما نُسِّب إليه في النبوات فيقول د. عبد الرحمن بدوي " ابن زكريا الرازي كل ما لدينا عنه يرجع إلى ما يُورده الخصوم فضلا عن ندرة هذه الآثار أصلا ."– من تاريخ الإلحاد في الإسلام .. د.عبد الرحمن بدوي .. ص165–

ولذا يُثني عليه الإمام الذهبي في سِير أعلام النُبلاء ولم ينقل فيه مذمَّة واحدة يقول الذهبي " أبو بكر ، محمد بن زكريا الرازي الطبيب ، صاحب التصانيف ، من أذكياء أهل زمانه ، وكان كثير الأسفار ، وافر الحُرمة ، صاحب مروءة وإيثار ورأفة بالمرضى ، وكان واسع المعرفة ، مكبا على الاشتغال ، مليح التأليف .. وله كتاب : الحاوي ثلاثون مجلدا في الطب ، وكتاب : إن للعبد خالقا .. " .!! – سير أعلام النبلاء : الطبقة السابعة عشر : محمد بن زكريا–

جابر ابن حيان

وُلد سنة 101 هجرية .. عالم مسلم عربي .. كيميائي ويُعد أول من استخدم الكيمياء عمليا في التاريخ .. وتُسمى بإسمه فيقال " علم جابر " ويُقصد به الكيمياء، وله في الكيمياء ما لأرسطو في المنطق.

ويوصف طبقا لفرانسيس بيكون أنه " أول من عَلَّم عِلم الكيمياء "..

وهو أول من اكتشف الأحماض والقلويات وأطلق عليها هذا الاسم الذي ما زالت تعرف به في الغرب والشرق alkali واستخدم المنهج التجريبي في أبحاثه .. وكان من أصحاب جعفر الصادق .. وكان صوفيا دراسا للقرآن الكريم .. !!

ولا أدري ما علاقة الرجل بالإلحاد..!!

الجاحظ

وُلد سنة 159 هجرية .. من كبار أئمة الأدب العربي في العصر العباسي .. وكان فقيرًا فصار يبيع السمك والخبز في النهار، ويكتري دكاكين الورّاقين في الليل، فكان يقرأ منها ما يستطيع قراءته... !!

تتلمذ على يد إبراهيم بن سيار النظَّام المعتزلي .. وله مقالات في أصول الدين ..وأشهر مؤلفاته " الحيوان " و" البيان والتبيين " وكان مُحبًّا للعلم والعلماء والأئمة وملازما لهم طيلة عمره ...

ومن مؤلفاته في العقيدة " الحُجة في ثبت النبوة ، و " الرد على اليهود "، و "الرد على الجهمية "–
–http://forum.alqum-a.com/t28149.html

وما أدري كيف يوصف الرجل بالإلحاد ...؟ !!

أبو العلاء المعري

وُلد سنة 363 هجرية .. شاعر وأديب عربي من العصر العباسي .. قال ابن فضل العمري: "أخذ عنه خلق لا يعلمهم إلا الله،كلهم قضاة وخطباء وأهل تبحر واستفادوا منه، ولم يَذكره أحد منهم بطعن، ولم يُنسب حديثه إلى ضعف أو وهن".

آمن المعري بالله إيمانًا فطريًا وعقليًا يجعله لا يرتاب في وجود الخالق:

أثبت لي خالقًا حكيمًا ... ولست من معشر نُفَاة

بل إن صِلته بربه قوية وأعز عنده من الدر والياقوت:

وشاهدٌ خالقي أن الصلاة له ... أجل عنديَ من دري وياقوتي

انقطع عن الدنيا وفارق لذائذها، وأطلق على نفسه رهين المحبسين، وكان يصوم النهار ويسرد الصيام سردًا لا يفطر إلا العيدين، ويقيم الليل ولا يأكل اللحوم والبيض والألبان ولايتزوج، وكان يكتفي بما يخرج من الأرض من بقل وفاكهة .
– http://shamela.ws/index.php/author/84–

اتُّهم بالزندقة بسبب رسالته في الغفران لكنها رسالة مزح كان يمازح فيها صديقه ابن القارح، وتظهر فيها مقدرة المعري اللغوية كما تبدو فيها مقدرته على السخرية والنقد ..!!

ولكنه وَجد من يدافع عنه نافيًا هذه التهمة. ومن هؤلاء أبو فهر محمود شاكر والمحدث أحمد شاكر والقفطي وابن النديم، وسَمَّى الأخير كتابه:" كتاب الإنصاف والتحري في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري "وقال في مقدمته متحدثًا عن حُسَّاده وشانئيه: " ومنهم من حمل كلامه على غير المعنى الذي قصده، فجعلوا محاسنه عيوبًا وحسناته ذنوبًا وعقله حمقًا وزهده فِسقًا، ورشقوه بأليم السِهام ".

ومِن أحسن الشهادات في حقه شهادة الإمام الذهبي حين قال في سير أعلام النُبلاء "وفي الجملة فكان من أهل الفضل الوافر والأدب الباهر والمعرفة بالنَسَّب وأيام العرب. وله في التوحيد وإثبات النبوة وما يحض على الزهد وإحياء طرق الفتوة والمروءة، شِعر كثير والمشكل منه فله ـ على زعمه ـ تفسير".

الكِندي

وُلد سنة 185 هجرية .. عالم مسلم عربي .. برع في الفيزياء والطب والترجمة وهو رائد تحليل الشفرات .. ويلقب ب "فيلسوف العرب" نظرا لبراعته في التوفيق بين الفلسفة والعلوم الإسلامية .. وفلسفته كانت في إثبات توحيد الله وفي الروح ويرى أن النبوة تفضل الفلسفة في أربعة أوجه :" في شموليتها وأنها من الله مباشرة وسهولة تلقيها من الله وسرعة تلقينها للناس العاديين بعكس الفلسفة الأكثر تعقيدا. "..

فكيف يقال عن هذا أنه مُلحد ؟

أبو حيان التوحيدي

وُلد سنة 310 هجرية .. فيلسوف متصوف .. قال عنه تاج الدين السبكي في طبقات الشافعية الكبرى "شيخ الصوفية وصاحب كتاب البصائر وغيره من المصنفات في علم التصوف... .وكان فقيراً صابراً متديناً إلى أن قال: وكان صحيح العقيدة قال الذهبي: كذا قال، بل كان عدواً لله خبيثا, وهذه مبالغة عظيمة من الذهبي ." انتهى.

قال ياقوت الحموي في معجم الأدباء "أبو حيان التوحيدي... صوفي السمت والهيئة..فرد الدنيا الذي لا نظير له ذكاء وفطنة، وفصاحة ومكنة، كثير التحصيل للعلوم في كل فن حفظه، واسع الدراية والرواية، وكان مع ذلك محدوداً محارفًا يشتكي صرف زمانه، ويبكي في تصانيفه على حرمانه..." – ياقوت الحموي، معجم الأدباء، الجزء الخامس عشر، حرف العين.–

الكبسولة السابعة والعشرون: صدفوية نشأة الكون والسببية.

أصل العلم الحديث يقوم على العلاقة بين السبب والمؤثر، فرصد الذرات يتم عبر إثبات أثرها ودلائل وجودها، ورصد القوانين يتم عبر الاستدلال بأثرها، ورصد الجاذبية هو رصد لأثرها وليس رصد للجاذبية ذاتها فنحن إلى اليوم لم نرصد جسيم جاذبية واحد graviton ومع ذلك نُسلم يقينًا بوجود الجاذبية، بل كل علوم المايكرو تقوم على رصد الأثر، فلا يوجد شيء في العلم الميكروي يسمى مثلاً مشاهدة الإلكترون، وإنما رصد أثره!

وهنا شاهدان؛

الشاهد الأول: أن السببية أصل العلم وأقوى من البرهان والقانون، فالذي ينكر السببية لمجرد مخالفتها لعقيدته الإلحادية فهو معاند لبديهة عقلية مستقرة في عقول جميع البشر منذ اللحظة الجنينية–إذ ثبت أن الجنين يؤمن بالسببية وهو ما زال في بطن أمه ولو ضغط الطبيب على رحم الأُم أثناء الفحص يعطي الجنين رد فعل حسب مكان الضغط وحسب التأثير فهو يؤمن بوجود سبب ومُسبب–.

الشاهد الثاني: أن الاستدلال بالأثر هو استدلال علمي منطقي يقبله العقل ويقوم بمنزلة البرهان على وجود المؤثر.

والآن لدينا كون مخلوق بمعايرة دقيقة للغاية fine-tuned من اللازمان واللامكان إلى المكان والزمان مع أن قانون العلم يقول بحفظ الطاقة وأن الطاقة لا تُستحدث من العدم، لكن نحن أمام طاقة هائلة أستُحدثت من العدم في لحظة واحدة- فكل طاقة الكون وكل مادة الكون ظهرت في جزء أقل من مليار مليار مليار جزء من الثانية-، ألا يدل ذلك على مُحدث وخالق وصانع، أليست هذه بديهة لا يجد العقل لها ردًا؟

أما القول بالصدفة فهو جهل بأصول الإحتمالات؛ لأن الصدفة لها شرطان لا ينفكان عنها، وهما: الزمان والوجود، فالصدفة تشترط زمان تقوم فيه بإحداث أثرها، وتشترط وجود مادي مكاني تقوم عليه ليُنتج مفعولها، فكيف نقول بدور الصدفة في إيجاد الكون، مع أن كوننا جاء من اللازمان واللامكان؟ كيف يظهر أثر الصدفة دون ظهور الصدفة نفسها؟ كيف تُعطي الصدفة أثرًا قبل وجودها ووجود الزمان ووجود المكان اللذان هما شرطا الصدفة الأساسيان؟

أيضًا للصدفة أركان لا تنفك عنها؛ مثل:

أولاً: العشوائية؛ لكن كوننا مخلوق بمعايرة دقيقة للغاية فيما يعرف بالحد الحرج fine-tuned فالكون وُجد بآلاف الثوابت الفيزيائية التي لو اختل واحد منها بمقدار ضئيل للغاية لما ظهر للوجود معنى.

ثانيًا: اللامعنى؛ بينما المعنى هو الأصل في كل حركة وفعل على الأقل بالنسبة للإنسان الذي يستوعب ذاته، إذ لو لم يكن للوجود معنى فلا معنى للإغتصاب وسيبدو مجرد حركات ديناميكية وانثناء أربطة وشد أوتار لا أكثر !

ثالثًا: اللاقيمة؛ بينما كلنا يبتغي القيمة وتوجهه القيمة حتى الملحد يكرز-يبشر -بكهنوته الإلحادي منطلقًا من وجود قيمة لتكريزه وهدف مرجو منها.

رابعًا: اللاغاية؛ بينما لكل فعل غاية ولو لم يكن لوجودنا غاية، لما كان السعي لإنقاذ الفتاة المغتصبة في المثال السابق معنى!

خامسًا: اللامعيارية؛ فمعيارية الأخلاق مثلاً مهما صنعها الإنسان أو المجتمع لن تخرج خارج الإطار المادي المنفعي المصلحي، بينما الأخلاق لا مادية، ولو رأى مجموعة من الشباب الفتاة في المثال السابق تُغتصب، وعلموا أن إنقاذهم لتلك الفتاة قد يؤدي إلى مقتلهم، وقاموا بإنقاذها، فهؤلاء في عُرف الإنسانية أبطال يجب أن يُكرموا، بينما ماديًا لا معنى لتصرفهم بل هو تصرف ضد المادة وضد المصلحة الشخصية وهو تصرف غير مقبول، وهذا يؤكد لامادية الأخلاق، وانفصال معنى الإنسان عن هذا العالم المادي، وقيمة الفعل الإنساني وغائية تصرفه ومعنى وجوده؛ وأنه يستمد معناه وقيمته من عالم آخر، وبالتالي هذا مثال على الأقل يوضح مفارقة الإنسان بمفاهيمه وقيمه ومبادئه وأخلاقياته للعالم المادي المجرد، فيؤكد وجود المعنى والقيمة والهدف والغاية، - إذ كيف يستطيع كون خالٍ من الغائية أن يخلق إنسان تُحركه الغائية والهدف؟- ، بل إنه لا يشذ عن الإيمان بغائية التصرف الإنساني إلا الملحد.

إذن ما سبق دلائل مباشرة تدل على وجود الخالق القادر الحكيم الصانع المدبر خالق هذا الوجود، وتدل على معنى وجود الإنسان وغائية وجوده، وقيمة كل أفعاله، وسفاهة القول بالصدفة.

الكبسولة الثامنة والعشرون: كارثية القول بالصدفة، والقول بأزلية العالم

القول بصدفوية الظهور المفاجيء لوجودنا كما حرّرنا في كبسولة سابقة، يعد كارثة من وجهين:

1- الصدفة تفتقر إلى الزمن، والذي يفتقر إلى شيء يأتي بعده، وبالتالي الصدفة جائت تالية للزمن، لأن الزمن شرط وجودها، وكوننا ظهر من اللازمن، أي من اللاصدفة.

2- الصدفة بدورها تفتقر إلى المادة التي ستطبق نفسها عليها، فالمادة سابقة على الصدفة لأن شرط وجود الشيء سابق عليه، فكيف يُفسر ظهور مادة الكون بالصدفة مع أن الصدفة لن تظهر إلا بعد ظهور مادة الكون، والكون كله ظهر من اللامكان أصلاً.

إذن فظهور المادة إما أن يُفسَّر بالصدفة وهذا باطل لأن المادة شرط لوجود الصدفة، كما أن زهر النرد شرط لعامل الصدفة في لعبة النرد، والصدفة تفتقر إلى عامل الزمن وحقيقة الزمن لا تخرج عن جنس المادة، فالمادة شرط لوجود شرط وجود الصدفة وبالتالي فالصدفة لا تفسر وجود المادة.

فمطلق وجود المادة هو أصل لتصور الزمن الذي هو أصل لتصور وجود الصدفة. - من وحي كتاب – ثلاث رسائل في الإلحاد والعلم والإيمان، د. عبد الله بن سعيد الشهري، مركز نماء للبحوث والدراسات، الطبعة الأولى14-

لكن هنا قد يدعي الملحد أن المادة مادة لا تفتقر إلى تفسير، وسنظل ندعم أزليتها وتسلسلها اللانهائي؛ لكن هذه كارثة من ثلاثة أوجه وليس وجهين:

1- إننا قلنا في حق الخالق نفس هذا الكلام من أنه لا يفتقر إلى تفسير، فأنكرتموه وأبيتم، إذن كان هذا محض تحكم لا أكثر {وأن إلى ربك المنتهى} ﴿٤٢﴾ سورة النجم.

2- قبولكم لمبدأ عدم التفسير في وجود الكون ورضوخكم له، هو قبول لمبدأ يخالف أصلكم العظيم الذي يقضي بأنه ما من شيء إلا يمكن تفسيره، وأن القوة التفسيرية تبلغ ذروتها وتكمل إحاطتها في نظرية كل شيء TOE .

3- أما قولكم بالأزلية والتسلسل اللانهائي فهذا لعنة anathema على العلم الطبيعي لأنه يقضي على أي أمل في تفسير العالم، وهذا يعني أنكم بدوغمائيتكم الإلحادية تقضون على كل علم وفكر . - المصدر السابق -

فالذي يقضي بالأزلية يقضي بلا غائية العلم الطبيعي وعبثية سعيه، ولذا يقول لودفيغ فتغنشتاين Ludwig Wittgenstein " معنى العالم لابد أن يقع خارج العالم، في داخل العالم كل شيء على ما هو عليه، ويقع كما يقع، في داخله لا يوجد قيمة، وإن وجدت فستكون بلا قيمة – لأنها غير مُفسرة تفسير كامل-، فعندما تكون هناك قيمة

لابد أن تقع خارج نطاق الحوادث ووجود الأشياء في ذواتها، فلابد في النهاية أن يقع خارج العالم."
-. Wittganstein, L., Tractatus Logico-Philosophicus, p.183-

فما بالنا ومظاهر التصميم أظهر في ظواهرها من كل شيء.

وفي واقع الأمر فلعبة أزلية الكون قد انتهت تمامًا، فبداية الكون في الزمان والمكان صارت الآن حقيقة علمية، يكاد يُجمع عليها المجتمع العلمي كله، ولم يعد يُنادي بأزلية الكون إلا الملحد.

ولم يعد لفرضية أزلية الكون أي سند علمي أو تجريبي أو رصدي، بل كل الرصد العلمي يتجه نحو الإقرار ببداية الكون من اللازمان واللامكان، وهذا أمر بطبيعته يقلِق أي ملحد بسبب لوازمه اللاهوتية.

ولا أكاد أعرف الآن مَن يدعم أزلية الكون إلا الملحدين، وهنا يتجلى الصراع بين العلم والكهنوت الإلحادي، الصراع بين المعطيات العلمية والدوغما الإلحادية، وللأسف الشديد لن يتقبل الملحد ببساطة أن يتنازل عن أي أصل من أصول إلحاده مهما ارتفعت وثوقية العلم ووثوقية الأدلة التي يحملها، لأن القضية دين إلحادي كهنوتي وثني دوغمائي يتشربه قلب الملحد ويصير مع الوقت إيمانًا ودينًا يكرز- يُبشر- له الملحد ويدعو إليه.

ولا أكاد أُحاور مُلحدًا إلا وأجد عنده رصيدًا من النزوع نحو القول بأزلية الوجود، مع أن هذا أمر لم يثبت علميًا بأي شكل من الأشكال ولا صورة من الصور، لكنه الدين الإلحادي الجديد.

ولذا اعترف الفيزيائي الملحد [ستيفن واينبرج] Steven Weinberg، أنه كان يتمنى نظرية الكون الثابت الأزلي، لأنها أكثر جاذبية، وأبعد عمَّا نادت به الأديان.- عالم داخل العالم .. نيل توروك.. ص 226-

لكن أُمنيات ستيفن واينبرج اصطدمت أول ما اصطدمت بحائط العلم نفسه، ولم يعد لها مكان داخل العلم المادي، يقول الفيزيائي البريطاني [دينيس شياما] DENNIS SCAIMA " لم أُدافع عن نظرية الكون المستقر لكونها صحيحة، بل لرغبتي في كونها صحيحة، ولكن بعد أن تراكمت الأدلة تبين لنا أن اللعبة قد انتهت ."
Introduction..The Unity of the Universe. N.Y., Doubleday ..Dennis William - - Sciama...introduction

فاللعبة قد انتهت فعلاً، وبذلك يعترف [أنتوني فلو] Antony Flew فيلسوف الإلحاد في القرن العشرين قائلاً "يقولون إن الاعتراف يفيد الإنسان من الناحية النفسية، وأنا سأُدلي باعترافي .. إن نموذج بداية الكون شيء محرج جداً بالنسبة للملحدين ، ذلك لأن العلم أثبت فكرة طالما دافعت عنها الكتب الدينية ." -Henry Margentau, Roy -A. Vargesse. Cosmos, Bios, Theos. La Salle IL: Open Court Publishing, 1992, 241

وبعد كل هذا سيظل الكهنوت الإلحادي هو المسيطر، والدوغما الإلحادية هي الصوت الأعلى رغم العلم ورغم الرصد، إن الأمر عندهم دين.

الكبسولة التاسعة والعشرون:أقوى عشرون دليلاً على كون التطور هو العلم الزائف Pseudoscience

تعريف العلم الزائف Pseudoscience :

العلم الزائف هو ادعاء أو ممارسة يُقدَّم على أنه علم، ولكنه لا يلتزم أي طريقة علمية صحيحة، ويفتقر إلى التجريب، ولا يُمكن اختباره بشكل موثوق في غياب تام لعملية الرصد.

http://en.wikipedia.org/wiki/Pseudoscience

الدليل الأول : كيف بدأت الحياة على الأرض؟.. السؤال الأول في الداروينية بلا إجابة !!

اليوم نصل إلى القرن الحادي والعشرين، ونحن حتى الآن لم نحل المشكلة الأصلية بعد .. كيف بدأت الحياة على الأرض ؟

Today as we leave the 20th century, we still face the BIGGEST PROBLEM that we had when we entered the 20th century : how did life originate on earth

source:Jeffrey Bada, Earth, February 1998, p.40

الدليل الثاني : ما هي الحياة ؟.. السؤال الأهم والأخطر في الداروينية بلا إجابة !!

الداروينية رسميًا لا تعرف ما هي الحياة حتى الآن ..

فالحياة شيء يختلف تماما عن اختلاط مجموعة من القواعد النيتروجينية لتكوين سلسلة أحماض أمينية ..

الحياة شيء والنظام الجيني داخل نواة الخلية شيء آخر تماماً..

الحياة شيء ونظام التشفير الرباعي داخل نواة الخلية C G T A شيء آخر تماما ..!!

الدليل الثالث: الانتخاب الطبيعي Natural Selection أصل الأصول في الداروينية لم يثبت علمياً بالمقاييس العلمية إلى الآن ..!!

الدارويني الشهير عالم الحفريات البريطاني [كولين باترسون] يعترف قائلاً " لا أحد في أي وقت مضى أنتج أحد الأنواع بواسطة الانتخاب الطبيعي، أو حتى اقترب منها، ومعظم مناقشات الداروينية الجديدة حول هذه القضية ."

No one has ever produced a species by the mechanisms of natural selection. No one has ever Got near it, and must of the current arguments in neo-darwinism is about this question.

Source: BBC Cladistics march 4, 1982

إلى الآن يظل الانتخاب الطبيعي Natural Selection خارج دائرة العلم Pseudoscience... حيث إنه لم يثبت تجريبياً!!

الدليل الرابع : رسميا نحن لم نُشاهِد أية طفرة Mutation مفيدة حتى الآن في الطبيعة أو في المختبر ..!!

عندما تحاوِر أحد أتباع نظرية التطور وتُثبت له أن آليات الانتخاب الطبيعي قاصرة عن إنتاج كل هذا العدد الهائل من الكائنات الحية – قرابة 2 مليون نوع .. ولكل نوع خصائصه المتكاملة والمستقلة – فورًا سيعترف لك بالأمر، وسيُحيلك إلى آلية الطفرات Mutations لتفسير هذه المعضلة ..!!

وما نعرفه عن الطفرات هو التشوه في الكائنات الحية لا أكثر ... لأن الطفرة تُتلِف الحمض النووي وتُتلِف المعلومة وتُحدث التشوه .

ولم تُشاهَد رسميًا حتى الآن أية طفرة مفيدة سواءاً في الطبيعة أو في المختبر .

إذن تظل أيضاً آلية الطفرات خارج دائرة العلم Pseudoscience..!!

الدليل الخامس : الطفرات والانتخاب الطبيعي شيء، وإضافة معلومات جديدة داخل جينوم الكائن الحي – نواة الخلية – شيء آخر تماماً تماماً تماماً ..!!

الطفرة بداهةً لا تُضيف معلومة وراثية جديدة .

هل هناك معلومات جديدة وُلدت مع الطفرة أو مع الانتخاب الطبيعي ؟

هذا ما ينبغي أن يُجيب عنه التطوريون ... وما زلنا ننتظر الإجابة ..!!

الدليل السادس : كيف تزيد المعلومة الجينية داخل جينوم الكائن الحي؟ .. أهم سؤال على الإطلاق في الداورينية الجديدة بلا إجابة ؟

يجب أن يُثبِت لنا الداروينيون وجود آلية قادرة على إنتاج المعلومات الجينية الجديدة، التي لم تكن موجودة لإنتاج البُنى الأكثر تعقيدا .

هل يملك أحد الداروينيين دليلا واحداً على عملية تطورية تزيد من المعلومة الجينية في الجينوم ؟

لأنه عندما كانت هناك خلية واحدة، والتي من ثَم أنجبت كل هذا التنوع،– حسب أدبيات التطور – لم يكن هناك أي معلومات جينية للبشرة والشعر والقلب والدماغ ..إلخ

لذلك حسب رأيهم يجب توليد المعلومات .

والسؤال هو: كيف يتم توليد المعلومات الجينية ؟

الطفرة والانتخاب الطبيعي لا علاقة لهما بتوليد معلومة جديدة – جين إضافي –.. إذن يظل السؤال الأهم على الإطلاق في الداروينية الجديدة: كيف تزيد المعلومة الجينية داخل جينوم الكائن الحي ؟ بلا إجابة ..!!

الدليل السابع : التشفير داخل جينوم الكائن الحي هو عملية واعية لا علاقة لها بالصدفة..!!

جميع الطلبات التي يحتاجها الكائن الحي، مثل طول الشعر ووظائف الهضم ولون الجلد وتصنيع الطاقة، وكل شيء يحتاجه الكائن الحي يوجد مُشفرا في نواة الخلية داخل شريط ال DNA في الكائن الحي بنظام التشفير الرباعي C G T A نظام التشفير الرباعي هذا موجود في أدق الكائنات على وجه الأرض وأكثرها تعقيدًا ...أيضًا نظام التشفير الرباعي C G T A ظهر مع أول الكائنات على وجه الارض – السيانو باكتريا – ويظل نظامًا حكريًا لكل الكائنات بلا استثناء – فيروسات، بكتريا، ثدييات، نباتات، زواحف، أسماك، حشرات، بريونات – نظام في غاية الذكاء والإعداد للمستقبل والضبط بعناية ..!!!!!!

هذا التشفير يؤكد أنه لا مجال للصدفة أو العشوائية في الأمر ..!!

الدليل الثامن :كيف تتحول المعلومات – الأكواد الجينية المشفَّرة– إلى وجود حقيقي في الكائن الحي morphogenesis ؟

المعلومات التي يُتيحها نظام التشفير الرباعي C G T A كالكلمات المطبوعة على ورق ..كالشفرات المضغوطة على إسطوانة CD تحمل أدق تفاصيل الكائن الحي، لكنها مجرد شِفرات لا أكثر كيف تنتقل هذه الشفرات إلى تشكيل الكائن على هيئته الحقيقية morphogenesis ؟

كيف تتحول المعلومات إلى وجود حقيقي في الكائن الحي ؟

كيف تتحول كلمات نخطُّها على أوراق نَصِف فيها هيئة إنسان ، مهما بلغت تفاصيلها ودقتها ، إلى إنسان حقيقي (من لحم ودم) !؟

ويبقى التساؤل الأهم مَن الذي وضع الشِفرة قَبل فك التشفير ؟

الدليل التاسع : الداروينية ماتت بسبب نظرية الحد الأدنى من الجينات Minimum gene set concept ..!!

كتب داروين يقول " إذا أثبتنا وجود أي عضو مُرَّكب بحيث إنه لا ينشأ من تعديلات طفيفة متعاقبة فإن نظريتي ستنهار تمامًا ..!!

If it could be demonstrated that any complex existed, which couldn`t possibly have been formed by numerous, successive, slight modifications, .my theory will absolutely break down

Source: the origin of species p.189

وقد وجد العلماء أن الميكوبلازما Mycoplasma – وهي أدق كائن حي موجود على وجه الأرض على الإطلاق – لديه 468 جين، والجينة الواحدة تحتوي على بروتينات مُركبة قد تصل من 1000 إلى 10000 حمض أميني .

إذا كان التطور صحيحاً فنحن بحاجة إلى أن نبدأ من صفر جينة، إذا أردنا المرور من الهيدروجين إلى الإنسان .

أُكرر مرة أُخرى : إذا كان التطور صحيحاً فنحن بحاجة إلى أن نبدأ من صفر جينة، إذا أردنا المرور من الهيدروجين إلى الإنسان .

لكن من الناحية النظرية لا يُمكن أن تنزل إلى أقل من 200 جينة، وفي عدد 6 يناير 2006 نشرت مجلة الطبيعة الشهيرة Nature أنه " لا يمكن أن نتجاوز حاجز 397 جين "

فإنتاج الطاقة وحده يتطلب 6 جينات كحد أدنى، وإذا نقص جين واحد فالخلية لن تُزوَّد بالطاقة، وهكذا كل وظيفة أساسية لها حدٌ أدنى من الجينات ..!!

ولذا ظهرت نظرية الحد الأدنى من الجينات Minimum gene set concept والتي تقضي فعلياً على الداروينية !!..

الدليل العاشر : متتالية التشفير الرباعي C G T A تحتاج إلى ملء الكون مليارات المرات من الكائنات المشوهة من أجل إنتاج كائن حي واحد سليم ..!!

المعلومات الرقمية على نظام التشفير الرباعي في شريط الحمض النووي DNA تحمل كل المعلومات الخاصة بالكائن الحي وأي عطب في نيوكليوتيدة واحدة أو تبدل واحدة مكان أخرى يعني خلل وعطب وتشوه في وظيفة حيوية من وظائف الجسم.. فمثلاً الجين المسئول عن سرطان الثدي يوجد به 8 آلاف نيوكليوتيدة، وفي واحدة منها إذا وُجدت G بدلا من T يحدث السرطان بنسبة 85% ... وفحص جين السرطان في معامل الأبحاث المتخصصة معناه فقط فحص هذه القاعدة النيتروجينية G في هذا المكان .

وشركة ميرياد لأبحاث الجينات MYRIAD GENETICS هي التي اكتشفت هذا الحرف G في هذا المكان ولذا فهي تملك براءة اختراع وتقوم حصريا بتحليل BRCA1 مقابل 1400 دولار وتربح من ذلك أموالاً طائلة .

وفي هذه الحالة النادرة التي يتبدل فيها حرف مكان حرف تظل هذه مشكلة كامنة لا يُظهرها إلا نمط حياة غير سوي مثل تعاطي الهرمونات الأُنثوية بكثافة – حبوب منع الحمل– أو ترك الرضاعة الطبيعية أو عدم الإنجاب .. فهذه القاعدة النيتروجينية كأنها تحشو مسدس عدوك دومًا لكن من يضغط على الزناد هو نمط حياتك أنت.

وإذا تجاهلنا معضلة الحياة، ومعضلة القواعد النيتروجينية التي تتجمع معاً، ومعضلة الmorphogenesis،.. وطلبنا الحد الأدنى من الجينات لإنتاج أدنى كائن حي على الإطلاق الميكوبلازما MYCOPLASMA فنحن نحتاج إلى ملء الكون كله مليارات المرات من الكائنات المشوهة الميتة، غير الصحيحة في ترتيب قواعد الC G T A ، من أجل إنتاج كائن حي واحد سليم من الميكوبلازما MYCOPLASMAحيث إن عدد القواعد النيتروجينية في الميكوبلازما هو نصف مليون قاعدة نيتروجينية تقريباً، ولترتيب نصف مليون قاعدة نيتروجينة بالصدفة فالاحتمال هو 10 أُس 250.000 في حين أن عدد ذرات الكون كُله 10 أُس 80 ... !!

الدليل الحادي عشر : أنصاف البشر – الإنسان القرد – أُسطورة علمية ..!!

مشكلة الداروينية الأصيلة أنها تُفرَض على الناس من خلال رسوم مُتخيلة مُزيفة تظهر بانتظام في أكبر الدوريات العلمية .. ولا تكاد تخلو مجلة علمية من أنصاف البشر – الإنسان القرد – مع أن هذا أمر خارج إطار العلم رسميا حتى الآن ...!!

ويصل التضليل إلى حد وصف حياة اجتماعية كاملة لأنصاف البشر مع عائلاتهم مع رسم ذكي للبيئة المحيطة .

ولا يكاد يخلو فيلم وثائقي في التطور من أنصاف البشر ..

بل ويمكن للجمجمة الواحدة المكتشفة أن تُعطي أكثر من انطباع لدى ورش العمل الداروينية، فالمتحجرة زينجينترابوس أنجبت ثلاث عمليات إعادة بناء مختلفة ..!!

والمدهش في الأمر أن الداروينية تتجاوز الجُمجمة إلى رسم الكائن الحي كاملاً بأنسجته الطرية، وصنع مُجسمات وهمية في ورشات تتكلف الأموال الباهظة مع أن هذا يخضع للعلم الزائف .

[إيرنست هوتن] بجامعة هارفارد يؤكد أن "إعادة التجسيم هذه لا قيمة علمية لها وأي جمجمة يمكن للحِرفي الماهر أن يستخدمها في تشكيل شمبانزي أو فيلسوف ماهر بنفس المعطيات .. هذه الأمور موجودة فقط لتضليل الجمهور ."

You can with equal facility model on a neanderthaloid skull the features of a chimpanzee or the leneaments of a philosopher these alleged restorations of ancient types of man have very little if any scientific value and are likely only .to mislead the public

Source: up from the ape p.332

الدليل الثاني عشر: القرد الأفريقي الجنوبي – لوسي – هو أحد أنواع القِردة المنقرضة لا أكثر..!!
دور البطولة في النظرية الداروينية من نصيب قرد منقرض يُدعى [اوسترالوبتيكس] australopithecus afarensis ويعني القرد فجأة .. ظهرت حفرياته على يد[ريموند دارت]1924...، ورسميًا لا يوجد فارق بين عظامه المكتشفة وعظام الشمبانزي .. لكن الداروينية ادعت أنه يمشي منتصبًا .. إلى أن جاء أشهر علماء التشريح عالميًا [اللورد سالي زيكيرمان] والبروفيسور [تشارلز أوكسنارد] " وفندًا هذا الإدعاء .. وتبين أن القرد الأفريقي الجنوبي – لوسي – هو أحد أنواع القردة المنقرضة لا أكثر .
ويوجد 6500 نوع من القردة بعضها منقرض .. . من خلالها يسرح الدراونة بمخيلاتهم كما يشاؤون .. !!
ولذا في المجلة الفرنسية الشهيرة العلم والحياة science et vie عدد مايو 1999 كتبت بالمانشيت العريض adieu lucy أي "الوداع يا لوسي"

الدليل الثالث عشر : الإنسان المنتصب والعامل والعاقل القديم .. كلها سخافات داروينية ..!!
يتحدث الداروينيون باستمرار عن الإنسان المنتصب [هومو اريكتس] والانسان العامل [هوموارغاستر] والانسان العاقل القديم [هوموسابين نياندرتال] ..، وكل هؤلاء بشر عاديون من أجناس مختلفة لا أكثر ...، فحفرياتهم مطابقة للهيكل الإنساني والاختلافات الطفيفة هي اختلافات ما زالت توجد اليوم بين الأعراق البشرية المختلفة ..، وهذا كلام عالم الحفريات [ريتشارد ليكي] "الانسان المنتصب [هومواريكتس] والإنسان المعاصر نوع واحد، وهذه الاختلافات أقل من الاختلافات التي نراها اليوم بين أجناس منفصلة جغرافيا من الإنسان الحديث ."

These differences are probably no more pronounced than we see today between the separate geographical races of modern humans
The making of mankind, london, sphere books, 1981, p.62

الدليل الرابع عشر : نظرية التطور محرومة من كل صفات الفرضية العلمية وليست أكثر من اتجاه أيديولوجي ..لذا هي مليئة بالغش والخداع !!
اعترف [أرنست هيجل] رسميا بتزييف صور الأجنة التي دلس بها على داروين والتي ظلت أحد أيقونات الداروينية زمنًا طويلاًً في مقالته المنشور 14 ديسمبر 1908، والمعنونة ب تزوير صور الأجنة . وإلى يومنا هذا ما زال الملحد العربي يستخدمها بمنتهى الغباء على الرغم من مرور أكثر من قرن على اعتراف صاحبها بالتزوير الرسمي في العلم ..!
إنسان [بلتداون] Piltdown man الذي كُتبت فيه قرابة خمسمائة رسالة دكتوراه اكتشف بعد قرابة 40 عام أنه حفرية تم تزييفها على يد دارويني ماكر..!!

أيضاً من ضِرس واحد اكتشفوه غرب نبراسكا قرر الداروينيون أن هذا الضرس اليتيم يحمل صفاتٍ مشتركةً بين كل من الإنسان والقرد ورسم الفنانون الشكل المتخيل لهذه الحلقة المفقودة بل رسموا عائلته وزوجته وأبناءه ... وسريعًا تم إعطاؤه اسماً علمياً هو Hesperopithecus haroldcooki .

وبعد خمس سنوات من هذا الأمر اكتشفوا أن هذا الضرس يخصّ نوع منقرض من الخنازير الأمريكية البرية يسمى prosthennops.

وهذا يؤكد أن هناك أمرا آخر لا علاقة له بالعلم ..

واليوم أثبت العلم أن التغيير في أقل جزيء في جسم الكائن الحي .. يوجب تغييرات في غاية الدقة والتعقيد وحسب تخطيط مُحكم لا يسمح بأي خطأ كان ..لكن لن تعترف الداروينية بكل هذه الشروط . !!

الدليل الخامس عشر : مَن هو الأب المباشر للإنسان المعاصر ..؟

كيف يكون الأب المباشر للإنسان المعاصر غير معلوم حتى الآن مع أنه أقوى الكائنات تُرا، وأقدرها على التكيف، ولا يوجد في التاريخ الحيواني أعظم منه إلا الإنسان المعاصر ... مَن هو الأب المباشر للإنسان المعاصر .. كيف نكون وصلنا للقمر ووصلنا لأعمق نقطة في جميع المحيطات – خندق ماريانا – ووصلنا للسيانو باكتريا وللهجيز بوزون ولم نصل بعد للأب المباشر للإنسان المعاصر ..!!

الأب المباشر للإنسان المعاصر المفترض أنه يأتي على قمة المملكة الحيوانية فهو سيدها، وأقواها، وأكثرها تواجدًا وثباتًا، وأقدرها على التكيف، ولا يفصل بيننا وبينه شيء .. أين هو هذا الكائن؟، إننا نواجه نظرية ليست مليئة بالثقوب بل هي غير منسوجة أصلاً .. إنها العلم الزائف Pseudoscience .

الدليل السادس عشر : مَن هو الأب المباشر لأي كائن حي على وجه الأرض ؟

المنهجية العلمية لابد أن تكون قابلة للملاحظة وقابلة للتكرار هذا شرط في العلم التجريبي بدون هذا الشرط تتحول النظرية إلى فرضية شوهاء ..

وقابلية الملاحظة أو قابلية التكرار هذه أمور لم نرصدها في تاريخ الداروينية كله .. فلم يحدث أن وجدنا الأب المباشر لأي كائن حي موجود على وجه الأرض – 2مليون نوع– .

دائماً الداروينيون يتحدثون عن أسلاف، وجدود الجدود، وتغيرات يستحيل ملاحظتها مختبريًا، ولم يتم رصدها حفريًا إلى اليوم .. ومع ذلك فالأسلاف وجدود الجدود ما زالوا موجودين حولنا! فلماذا لا نعتبر هذا تنوعًا في الطبيعة، وليس تطوراً دارويناً ..!!

يقولون لنا القطط والكلاب من أصل واحد ... أين هو هذا الأصل ؟ .. الكلاب والذئاب من أصل واحد .... أين هو هذا الأصل ؟

لماذا دائمًا الأصل خجول للغاية في كل مكان، ولم يظهر يومًا ما ؟

مشكلة الداروينية أنها لا تملك الآلية التي تُقرر بها متي تكون الأحفورة المكتشفة كائنًا مستقلاً أم حلقة مفقودة أم دليلاً أحفوريًا؟ ..، الخيال هو أصل النظرية ..، نظرية الداروينية دائما تضع العربة قبل الحصان ..!!

الدليل السابع عشر : استحالة نشأة بروتين واحد بالصدفة ..!!

البروتين هو مُركب وظيفي بيولوجي وحدة بنائه الأساسية هي الأحماض الأمينية ، وهو يتكون من سلسلة طويلة جداً من هذه الأحماض الأمينية، ويوجد في سيتوبلازم الخلية 20 حمض أميني، والأحماض الأمينية أيمن وأيسر كأنهما مرآه ، وعلى الرغم من التماثل التام وكلاهما يدخل في تفاعل كيميائي إلا أن اختيار البروتين يكون أيسر فقط ؛ لأنه الاختيار الوحيد الذي يسمح بالشكل الثلاثي الأبعاد للبروتين في مرحلة الطي .. ، ويوجد في أبسط بكتريا على الأرض ألفا نوع من البروتينات على الأقل ..

والمطلوب لتخليق بروتين أن نحصل على الكود الخاص به من نواة الخلية بحيث يتوافق هذا الكود مع الترتيب الخاص بحمض أميني من الأحماض التي تُكوِّن البروتين .. ،وفي كل مرة يجب أن يتوافق الكود مع الحمض الأميني المماثل وهكذا .. ،وعندنا بروتين مثل بروتين الكولاجين سلسلته تتكون من 1055 حمض أميني، إذن الاحتمالية لتخليق بروتين الكولاجين بالصدفة تصبح 10 أس 527، والأمر لن يتوقف عند ذلك فلابد أن تكون السلسلة عسراء – لأنه الاختيار الوحيد الذي يسمح بالشكل الثلاثي الأبعاد للبروتين بعد ذلك في مرحلة الطي – وهنا يصبح الاحتمال 10 أس 527 مضروبا في 2 ليصبح 10أس 1054، وهذا هو الجنون الرياضي ..،فاحتمالية الشيء إذا زادت على 10 أس 50 فإنها تساوي الصفر رياضيًا ...، وجميع الذرات في الكون هي 10 أُس 80 ذرة ...، ومضى على الانفجار الكبير 10أُس17 ثانية ...، وهذا يعني أن 10 أُس 1054 هي الجنون بعينه ، وهذه هي احتمالية تكوين بروتين واحد مع أن أبسط الكائنات الحية على الإطلاق به آلاف البروتينات المتخصصة ...!!

كل هذه الأمور تجعل من الصُدفة مجرد لغو فارغ ، ولذا يقول [ويليام ستوكس] العالم الدارويني " لو أحضرنا مليارات الكواكب مثل كوكب الأرض وامتلأت كل هذه الكواكب عن آخرها بالأحماض الأمينية، وانتظرنا عليها مليارات السنين فلن نحصل على بروتين واحد "

The Origin Of Species Revisited .. W.R.Bird P.305

الدليل الثامن عشر: طيَّات البروتين لا يوجد مبرر مادي لها وهي أصل الحياة...

بعد أن يتشكل البروتين يقوم بمجموعة من الحركات البلهوانية ويدخل في طيَّات و التواءات وانحناءات كثيرة للغاية حتى يُحقق الوظيفة المطلوبة منه...، ولا يوجد في النهاية إلا شكل محدد بالضبط وإلا فقد Protein Folding البروتين وظيفته ..، ويقوم البروتين بملايين الطيات للوصول في النهاية للطيَّة الصحيحة كل هذا في جزء من مليون جزء من الثانية ..، وبعد أن يأخذ شكل الطية المناسبة يقوم بوظيفته المحددة ...، فعلى سبيل المثال الزوايا والشقوق في طيات أي إنزيم هضم. وهو أحد البروتينات. يمكنها أن تحتجز جزيئات النشا ثم تقترب بعد ذلك الكيماويات التي تحللها إلى سكر ..، وبالمثل تكمن البكتريا والفيروسات بقوة في ثنايا وطيّات الأجسام المضادة التي تمسكها بإحكام ..، ولو تأخر البروتين لجزء من ألف جزء من الثانية أثناء الطي فإن سلسلته الطويلة ستلتصق على نفسها ويتوقف عن العمل ..، واحتمالية الأشكال التي تظهر بعد الطي لا نهاية لها، ولو خرج البروتين بشكل واحد مخالف للشكل المطلوب سيتوقف عن العمل ..،هذه رقصة بيولوجية مذهلة للعقل تتم داخل كل خلية حية مجهرية في كل لحظة ، وهذه الطيَّات لا معنى مادي لها ، ومع ذلك هي أصل الحياة وبدونها يفقد البروتين وظيفته .

الدليل التاسع عشر : خُرافات الداروينية المضحكة ..!!

تفترض الداروينية أن البقرة يجب أن تتحول إلى حوت حيث التصقت أرجلها الخلفية يوماً ما وارتفع أنفها إلى أعلى وعامت تحت الماء ...، طبقا لبرلنسكي عالم الرياضيات الشهير فإنه عندما تقرر البقرة أن تتحول إلى حوت فإنها بحاجة إلى 50 ألف تغير جسدي بها، يتبعها 50 ألف تغير في الجينات ولا بد أن تكون هذا التغيرات متزامنه، ولابد أيضًا من وجود ملايين الكائنات المشوهة الوسيطة في كل تغير، والنتيجة التي نعرفها جميعًا أنه لا وجود لهذه الكائنات الوسيطة وفي النهاية يبقى السؤال مَن هو الموجِّه لهذا التغير ..!!

أيضاً تفترض الداروينية أن بعض صغار الزواحف بدأت تلعق عرق الأُم لتلطيف جسمها وفجأة تحول هذا العرق إلى لبن ..، وهذا مستحيل لأنه ببساطة لبن الأم به تعقيد غير قابل للاختزال فاللبن موجود منذ البدء بعناية وتركيز معين حسب عُمر الجنين، وضبط مُعين دقيق للأجسام المناعية، وكمية البروتين ..!!

أيضاً تفترض الداروينية أن بعض الديناصورات حاولت أن تقفز من الأشجار العالية، ومع الوقت ومع تكرار القفز تحولت أرجلها الأمامية إلى أجنحة وطارت في السماء وصارت عصافير جميلة ...فيما يُعرف بنظرية dino-bird theory . هذا الكلام علينا تصديقه، والتسليم بصحته، باسم الداروينية ..!!

الدليل العشرون : انهيار الداروينية يعني انهيار منظومة الإلحاد ككل .. ولذا فهي الحل الأوحد والأخير .. وهذا لا يعني إطلاقاً أنها الحل الصحيح !!

إما أن المخلوقات خُلقت خلقًا مباشرا أو تطورت من بعضها البعض لا يوجد بديل ثالث ..!!

إذا سقط التطور سقط الإلحاد

إذا سقط التطور انتهت اللعبة

إما تطور وإما خلق مباشر ..!!

بعض الداروينيين يعترفون أنهم يتمسكون بالداروينية لأنها الحل الأوحد مادياً ....، لكن هذا لا يعني إطلاقًا صحة النظرية ولا يضيف لها دليلاً ..!!

يقول [فيليب جونسون] Phillip E. Johnson أُستاذ القانون بجامعة كاليفورنيا إن: "العلماء يتمسكون بالداروينية على الرغم من هشاشة الفكرة خوفًا على وجاهتهم ومستقبلهم الوظيفي، ولن ينالوا دعمًا لبحوثهم وسيصبحون عُرضة للطرد، أيضا مشكلة أيديولوجية كبرى فالعلماء عندما يقولون الداروينية غير صحيحة إذن ما هو الصحيح في تفسير نشأة الحياة ؟ ... هم يتمسكون بنظرية خاطئة، إذا كان البديل عدم وجود نظرية أُخرى وهذا بالضبط الحاصل الآن ."

ورسمياً يتم طرد أي عالم بيولوجي غربي .. أو يقل الدعم لأبحاثه إذا قام بالتشكيك في الداروينية .. إنه الإرهاب باسم العلم .. وتم عمل فيلم المطرودون الوثائقي الذي يروي معاناة عشرات العلماء من المشككين في الداروينية .. والفيلم مُترجم كاملاً على هذا الرابط ..!!

http://www.youtube.com/watch?v=9vOVUG7uEao

وفي عام 2001 تم تأسيس موقع www.dissentfromdarwin.org لينشر فيه العلماء المشككون في الداروينية آراءهم ، ورسميًا وصل عددهم حاليا للآلاف، منهم [وليام ديمبسكي] الحاصل على تسع شهادات جامعية، و [جوناثان ويلز] العالم البيولوجي الشهير، و [ديفيد بيرلنسكي] عالم الرياضيات، وغيرهم الكثير..!!

الكبسولة الثلاثون : من أدلة نبوته صلى الله عليه وسلم.

1- حادث "طُعمة" ؛ وطُعمة كان رجل مسلم مسكين، سرق درع من جاره وخبأها عند يهودي، فوجد الناس الدرع عند اليهودي، فتحركت العصبية وقال اليهود أن المسلم "طعمة" هو سارق الدرع ، وقال المسلمون إنها مكيدة يهودية للإسلام، فنزل الوحي بكشف طعمة وتبرئة اليهودي، فاستسلم طعمة واعترف {ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا ﴿١١٢﴾ ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ﴿١١٣﴾} سورة النساء، فالذي كسب الخطيئة هو طعمة، والبريء هو اليهودي.

2- حادث حاطب ابن أبي بلتعة؛ الذي أرسل إلى قريش قبل فتح مكة يُخبرهم بأمر النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى يؤمنه المشركون على أهله بمكة، وأرسل الرسالة مع امرأة، فأخبر الله نبيه، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم عليًا والزبير والمقداد أن ينطلقوا حتى يأتوا مكان يدعى"روضة خاخ" فإذا به امرأة معها كتاب وليأخذوه منها، فحدث ما أخبر به صلى الله عليه وسلم. وسجَّل الله هذا الحادث في كتابه {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل} ﴿١﴾ سورة الممتحنة

3- إسلام أهل اليمن بسبب معجزة واحدة: وذلك أن كسرى مزَّق رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، وأمر باذان حاكمه على اليمن أن يخبر النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الرد وهو تمزيق الرسالة، فبعث باذان رسولان إلى النبي صلى الله عليه وسلم يخبراه بالرد، فرأى النبي صلى الله عليه وسلم الرسولان قد أطالا شواربهما وحلقا لحيتهما فقال لهما مَن أمركما بذلك؟ قالا ربنا –وكانا يسميان الحاكم الفارسي "كسرى"ربًا.

فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم: " أخبِرا الذي أرسلكما–باذان– : إن ربي قتل ربه الليلة."

فقد انتقم الله لرسوله من كسرى وقتله في تلك الليلة، فعاد الرجلان إلى باذان يخبرانه بالأمر فعجب جدًا وانتظر الخبر من بلاد الفرس، فجاء الخبر بمقتل كسرى في تلك الليلة التي حددها النبي –صلى الله عليه وسلم –فعلاً، فأسلم أهل اليمن وأسلم باذان وجنده، وجاء وفد من أهل اليمن يتعلمون الإسلام وأرسل فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم ببناء جامع في بستان باذان وحدد قبلته بالضبط، وسبحان الله نكتشف اليوم بالأقمار الصناعية أن القبلة التي حددها النبي صلى الله عليه وسلم من بُعد قرابة ألف كيلو متر هي القبلة المثالية للجامع،

فتصير معجزة جديدة كبرى نشهدها اليوم ويشهدها أهل اليمن إلى قيام الساعة، وهذا الفيديو يشرح معجزة القبلة بتفصيلها: http://www.youtube.com/watch?v=H99ycqm9q_I

4- أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن التمكين قادم للإسلام في الأرض ، وأنها ستعمر بعبادة الله فقال: " إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض." ولم يمض جيلٌ من الناس حتى كان الإسلام جناحاه بين أفغانستان شرقًا والأندلس غربًا.

5- إخباره صلى الله عليه وسلم بتقارب الزمان والمكان، وبالفعل ظهرت الوسائل السريعة للإتصال والنقل والتي جعلت أجزاء الأرض متقاربة، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم "لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان وتزى الأرض زيًا." أي تُطوى ويضم بعضها إلى بعض.

6- إخباره صلى الله عليه وسلم بأننا لن نعود في حاجة إلى الجِمال بعد ظهور وسائل جديدة فقال صلى الله عليه وسلم في أحاديث آخر الزمان: " ولتُتركن القلاص فلا يُسعى إليها."

القلاص: الجِمال.

7- المعيار الجوهري في التسليم بصحة الرسالة هو صدق النبي، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رائعته ثبوت النبوات ص 573: " ليست المعجزة هي الشرط الأوحد للنبوة، فمُدعي النبوة إما أن يكون أصدق الصادقين أو أكذب الكاذبين ولا يُلبس هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين، وقد أسلم السابقون الأولون أمثال أبي بكر الصديق وخديجة والمبشَّرون قبل انشقاق القمر والإخبار بالغيب والتحدي بالقرآن، ....وكثير من الناس يعلم صدق المخبر بلا آية البتة، وموسى ابن عمران لما جاء إلى مصر وقال لهم إن الله أرسلني علموا صدقه قبل أن يُظهر لهم الآيات، وكذلك النبي لما ذكر حاله لخديجة وذهبت به إلى ورقة ابن نوفل قال هذا هو الناموس الذي أتي موسى، وكذلك النجاشي، وأبو بكر علموا صدقه علمًا ضروريًا لما أخبرهم بما جاء به وما يعرفون من صدقه وأمانته مع غير ذلك من القرائن يوجب علمًا ضروريًا بأنه صادق، وخبر الواحد المجهول من آحاد الناس قد تقترن به قرائن يُعرف بها صدقه بالضرورة، فكيف بمن عُرف بصدقه وأمانته وأخبر بمثل هذا الأمر الذي لا يقوله إلا مَن هو أصدق الناس أو أكذبهم، وهم يعلمون أنه من الصنف الأول دون الثاني ."

8- موافقة صفة النبي الخاتم واسمه ونعته لما يجده أهل الكتاب موصوفًا في كُتبهم، {الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل} ﴿١٥٧﴾ سورة الأعراف.

وبسفر نشيد الإنشاد في التوراة إلى اليوم إسم محمد –صلى الله عليه وسلم- بالعبرية .. الذي يترجمه النصارى في الترجمة العربية إلى مشتهى الأمم، محمد نطقًا وكتابةً في ترجمة The KJV Old Testament Hebrew Lexicon

Original Word من اليمين إلى الشمال: dmxm وبالنطق اللاتيني تتطابق مع "محمد" Transliterated 'Word Machmad Phonetic Spelling.... makh-mawd

وفي الإنجيل إلى اليوم الباركليتوس القادم الذي بشَّر به المسيح والذي معناه باليونانية أفعل تفضيل من الحمد أي أحمد، والباراكليتوس ليس هو الروح القدس كما يُروج أحبار النصارى، لأن الباركليتوس لن يأتي حتى يذهب المسيح ، والروح القدس نزل على المسيح علي هيئة حمامة قبل هذا الحوار الذي تنبأ فيه بقدوم أحمد بسنوات.

9- أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم — أن أسرع أزواجه لحوقًا به أطولهن يدًا، فكانت زينب رضي الله عنها لطول يدها بالصدقة . رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

10- كيف يضع صلى الله عليه وسلم كتابًا يتحدى به العرب في صنف ما يتقنونه — اللغة —، ثم يرى هؤلاء العرب أن تجميع الجيوش وتحزيب الأحزاب وتأليب القبائل لمحاربة رسول الله أهون وأيسر من معارضة القرآن وقبول التحدي ..فكانوا يؤلبون القبائل من ناحية ويقولون لا تسمعوا لهذا القرآن من ناحيةٍ أخرى، فهذا بالغ جهدهم لمعارضة الدين الجديد .. ثم إنهم كانوا يختبئون فرادى يستمعون القرآن من فرط انجذابهم لسحره حتى إذا تقابلوا قرب الفجر أجمعوا ألا يعودوا لمثلها وهكذا .

11- كيف له —صلى الله عليه وسلم- أن يتنبأ بأن الحفاة العراة رعاة الغنم في الخليج سيتطالون في البنيان ؟

برج خليفة في الإمارات الأطول في العالم، وتبني السعودية في جدة برجًا أطول منه ؟! بل وتُصنف مدن الخليج الآن في المعايير العالمية أنها ظواهر خرسانية عملاقة!

ففي حديث جبريل المعروف عندما سأل النبيَّ صلى الله عليه وسلم عن الساعة وقال: أخبرني عن أمارتها. فقال صلى الله عليه وسلم: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان. رواه مسلم.

12- أخبر صلى الله عليه وسلم أم حرام بنت ملحان أن أُناسًا من أمته سيركبون البحر غزاةً في سبيل الله، وستكون هي أول الشهداء في غزاة البحر وقد كان. والحديث في البخاري ومسلم في أعلى درجات الصحة.

13- أخبر الله رسوله أنه سيرده إلى معاد أي مكة، {إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد } ﴿٨٥﴾ سورة القصص، بعد أن خرج منها مهاجراً بدينه إلى المدينة وقد تم .

14- وأخبره أنه سيدخل المسجد الحرام وصحابته محلقين رؤوسهم ومقصرين وقد تم {لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين } ﴿٢٧﴾ سورة الفتح.

15- وأخبره أنه بعد دخول المسجد الحرام سيكون فتح آخر وهو فتح خيبر وقد تم { فجعل من دون ذلك فتحا قريبا} ﴿٢٧﴾ سورة الفتح.

16- أخبر الله تعالى أنه سوف يغني قريشًا وقد تم {فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله } ﴿٢٨﴾ سورة التوبة.

17- تحدى القرآن اليهود أن يتمنوا الموت بأن يقولوا نحن نتمنى الموت، فخافوا لأنهم يعلمون أن من تمنى الموت في تلك الساعة فهو حتمًا سيموت، مع أن التحدى لو أجابوا له وظلوا أحياء، لسقطت الدعوة قال ابن عباس لو تمنى اليهود الموت لماتوا .. فما تمنوه على حرصهم الشديد على تكذيبه. {قل فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ﴿٩٤﴾ ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ﴿٩٥﴾ } سورة البقرة

18- أخبر القرآن أن الوليد ابن المغيره سيموت على الكفر وسيصلى سقر، وقد كان {سأصليه سقر} ﴿٢٦﴾ سورة المدثر .

19- كيف يتنبأ النبي صلى الله عليه وسلم ويخبر بشهادة عمرَ وعثمانَ وعلي وطلحة والزبير، رضي الله عنهم أجمعين، وأن موتهم سيكون شهادة، وأنهم لن يموتوا على فُرُشِهم أو سواه مما يموت به الناس.

وقد صعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على حراء، هو وأبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ وعليُ وطلحةُ والزبيرُ، فتحركت الصخرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اهدأ، فما عليك إلا نبيٌ أو صديقٌ أو شهيد."

رواه مسلم ح 2417.

فشهد صلى الله عليه وسلم لنفسه بالنبوة، ولأبي بكر بالصديقية، ولعثمانَ وعليَ وطلحةَ بالشهادة وقد كان.

وذات يوم مرِض علي رضي الله عنه مرضاً شديداً ، فزاره أبو سنان الدؤلي، فقال له: لقد تخوفنا عليك يا أمير المؤمنين في شكواك هذه.

فقال له علي: لكني والله ما تخوفتُ على نفسي منه، لأني سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الصادقَ المصدوقَ يقول: ((إنك ستُضرب ضربةً ها هنا، وضربةً ها هنا - وأشار إلى صُدغَيه - فيسيل دمها حتى تختضب لحيتُك، ويكونَ صاحبها أشقاها، كما كان عاقر الناقة أشقى ثمود)).

رواه الحاكم (122/3)، والطبراني في الكبير ح (173). قال الهيثمي: إسناده حسن.

20- وتقبل فاطمة بنت النبي -صلى الله عليه وسلم- تمشي ، فيقول لها أبوها: ((مرحباًً بابنتي))، تقول أم المؤمنين عائشة: ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ، ثم أسرَّ إليهاً حديثاً، فبكت، ثم أسرَّ إليها حديثاً فضحكتْ.

فقلت لها: ما رأيتُ كاليوم فرحاً أقرب من حزن، فسألتُها عما قال؟ فقالت: ما كنت لأُفشي سِرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم

فلما قُبِض النبيُّ صلى الله عليه وسلم سألتُها، فقالت: أسرَّ إلي: ((إن جبريل كان يعارضني القرآن كلَ سنة مرة ، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي، وإنك أولُ أهلِ بيتي لحاقاً بي، فبكيتُ، فقال صلى الله عليه وسلم: أما ترضَينَ أن تكوني سيدةَ نساء أهل الجنة أو نساءِ المؤمنين))، فضحكتُ لذلك.

وهذا الحديث في أعلى درجات الصحة رواه البخاري ح (3624)، ومسلم ح (2450).

21- وأيضاً، من دلائل نبوته وأعلام صدقه صلى الله عليه وسلم ؛ إخبارُه أم المؤمنين ميمونةَ أنها لا تموت في مكة، فقد مرضت ميمونة في مكة، واشتد عليها المرض، فقالت لمن عندَها: أخرجوني من مكة، فإني لا أموتُ بها، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرني أني لا أموت بمكة.

فحملوها حتى أتوا بها سَرِف، إلى الشجرة التي بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها في موضع الفَيئة .فماتت هناك ودفنت، وقبرها معروف اليوم في ضاحية النوارية بمكة، فكانت وفاتُها خارجاً عن مكة،كما أخبر الذي لا ينطق عن الهوى.

22- ومن هؤلاء الذين تحدث النبي صلى الله عليه وسلم عن وفاتهم، سِبطُه الحسين بن علي ريحانة أهل الجنة، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لإحدى أزواجه: "لقد دخل عليّ البيت ملَك لم يدخل عليَّ قبلَها فقال لي: إن ابنك هذا حسين مقتول، وإن شئت أريتُك من تربة الأرض التي يقتل بها. قال: فأخرج تربة حمراء".

السلسلة الصحيحة 882

23- ومن دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم إخبارُه عن موت النجاشي في أرض الحبشة في يوم وفاته، وهذا خبر تحمله الركبان يومذاك في شهر ، يقول أبو هريرة -رضي الله عنه- : "نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم النجاشي في اليوم الذي مات فيه، خرج إلى المصلى، فصف بهم، وكبر أربعاً."

رواه البخاري ح 1254.

24- وفي اليوم السابق ليوم بدر، تفقد رسول الله أرض المعركة المرتقبة، وجعل يشير إلى مواضع مقتل المشركين فيها، ويقول: "هذا مصرع فلان".

قال أنس: ويضع يده على الأرض هاهنا هاهنا. فما ماطَ أحدهم عن موضع يد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

رواه مسلم ح 1779.

25- ومثله في الدلالة على النبوة إخباره صلى الله عليه وسلم عن سوء خاتمة رجل قاتل مع المسلمين فأحسن البلاء والجلاد، يقول أبو هريرة رضي الله عنه : شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل ممن يدعي الإسلام: " هذا من أهل النار"

يقول أبو هريرة: فلما حضر القتال قاتل الرجل قتالاً شديداً، فأصابته جراحة، فقيل: يا رسول الله، الذي قلتَ له: إنه من أهل النار؛ فإنه قد قاتل اليوم قتالاً شديداً، وقد مات! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إلى النار".

قال أبو هريرة: فكاد بعض الناس أن يرتاب. فبينما هم على ذلك إذ قيل: إنه لم يمت، ولكن به جراحاً شديداً.

فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح، فقتل نفسه، فأُخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، فقال: ((الله أكبر، أشهد أني عبدُ الله ورسولُه)) ثم أمر بلالاً فنادى بالناس: "إنه لا يدخلُ الجنة إلا نفسٌ مسلمة، وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجلِ الفاجر".

رواه البخاري ح 3602.

26- ثبت في البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه أن الماء نبع من بين أصابعه الشريفة حتى توضأ منه زهاء ثلاثمائة رجل .. وهذا حديث في أعلى درجات الصحة، شهده جمعٌ غفير من الصحابة.

27- ردّ عين قتادة بعد تدليها على وجنته؛ فردها - صلى الله عليه وسلم- بيده الشريفة فبرئت على الفور وكانت أحسن من قبل.. والصحابي الذي كُسِرَت ساقه فبرئت بمسح النبي صلى الله عليه وسلم عليها .. وبصقه-صلى الله عليه وسلم- في عين علي رضي الله عنه فبرئت في الحال والأحاديث كلها في الصحيحين .

28- حديث الرجل الذي ارتد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقال -صلى الله عليه وسلم-: "إن الأرض لا تقبله فمات الرجل فكلما دفنه الناس لفِظته الأرض ولم تقبله ".

29- تكثير القليل من الطعام بين يديه- صلى الله عليه وسلم- حتى كان يأكل منه الجيش، وتبقى منه بقية والأحاديث في ذلك في الصحيحين وغيرهما، و أشهرها حديث جابر بن عبد الله في غزوة الخندق .

30- أما إخباره صلى الله عليه وسلم بالمغيبات فأكثر من أن يُحصى، منه إخباره عن عير قريش ضمن تحدي أهل مكة له لإثبات معجزة الإسراء والمعراج، ومنه إخباره بقتل أُمية بن خلف.. وكلها أحاديث في أعلى درجات الصحة .

31- أما إجابة الدعاء في الحال فالأحاديث في الباب كثيرة ومنها الرجل الذي رفض الأكل بيده اليمنى محتجًا أنه لا يستطيع، فقال-صلى الله عليه وسلم-" لا استطعت" ، فما رفعه إلى فيه والحديث رواه مسلم . وحديث نزول المطر في تبوك وغيره .

32- قال البخاري رحمه الله: حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله ، فأي دليل أعظم من هذا الدليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم يحدث بالوحي

الذي لا يعلمه إلا الله، فإنه لم يكن يتصور أحد أن دولة الأكاسرة التي استمرت نحو ألف عام يكون سقوطها وزوالها بأيدي المسلمين، وأن الأكاسرة لا يستطيعون، وإلى قيام الساعة أن يعيدوا ملكهم مرةً ثانية.

33- والحديث الآخر في البخاري 6692 : "بينا النبي صلى الله عليه وسلم يخطب جاء الحسن فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين."

وسُمي العام الذي أصلح الله فيه بين المسلمين على يد الحسن بن علي عام الجماعة -40 هجرية-، فكيف لرجل أن يرهن دعوته كلها بمصير طفل صغير؟ ثم تتحقق النبوءة على نحوٍ عجيب، إلا أن يكون ذلك وحيٌ يوحى!

34- لماذا مع الترهيب لا يتوقف رسول الله - صلى الله عليه وسلم- عن دعوته؟ ، فضربه الصبيان في الطائف حتى أُدمي رأسه ورجله الشريفة، ودخل مكة في جوار مطعم بن عدي ثم رد جواره ، ورُمي أمعاء الجزور عليه ، وعانى وأتباعه الجوع والحصار لمدة ثلاث سنوات في شعاب مكة حتى أنه كان يربط الحجرين على بطنه من شدة الجوع، حتى قال صلى الله عليه وسلم -بأبي وأمي ونفسي- : " لقد أُخفت في الله وما يخاف أحد ، ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد ، ولقد أتت علي ثلاثون من بين ليلة ويوم ، وما لي ولبَلال طعام يأكله ذو كبد ، إلا شيء يواريه إبط بلال. " رواه الترمذي.

كل هذا يجري في الوقت الذي يعرض عليه الكفار الرياسة والمال، لا مقابل أن يتنازل عن دعوته، بل مقابل أن يتركهم وآلهتهم وألا يُسفه عقيدتهم! لكن دعوته كانت وحيٌ يوحى ليست مِن قِبل نفسه حتى يتركها لأفضل العروض المتاحة!

- هذه كانت حلقة من آلاف الحلقات من أدلة نبوته صلى الله عليه وسلم، وإذا أكثرت النظر في هذا الباب يحصل لك العلم الضروري بكونه صلى الله عليه وسلم على أعلى درجات النبوة.-

الكبسولة الحادية و الثلاثون: من آيات الله في خلقه!

1- تُرى ما هي العلاقة التي تسمح للحيوان أن يكون مسئول مباشر عن تلقيح النبات ؟ وكيف نشأت هذه العلاقة ؟ وكيف استفاد منها النبات ؟ وما هو الثمن الذي يدفعه للحفاظ على مورثاته التي ينقلها إلى الأجيال التالية؟

2- لقد اتبعت النباتات منذ البدء استراتيجيات مثالية لتوجيه الحيوانات التي تحمل غبار طلعها-حبوب اللقاح-، فالإشارات اللونية للنبات تدل الحيوانات على الثمرات الناضجة كما ترتبط كمية الرحيق بجاهزيتها للتخصيب .. ويعرف النبات الكائن الحيواني الأصلح للتلقيح فيُفرز روائح عطرية تجذب هذا النوع من الكائنات .. والنباتات التي يتواجد فيها غبار الطلع في المركز فإنها تجذب الحشرات بلونها وتربط استعمالهم لرحيقها بدخولهم في مركز الزهرة حتى تستخدمهم في نقل غبار الطلع الخاص بها .

3- تحصل الحشرة على الرحيق ولا تعلم بالدور الهام الذي تقوم به – التلقيح –، لكن الزهرة أيضًا كائن غير عاقل فكيف لها عمل هذه المقايضة، وكيف لها معرفة ما تطلبه الحشرة بالضبط وتزيين نفسها بألوان جذابة لتجذب الحشرة إليها إذا كانت غير عطرية ؟

لا إجابة صدفوية ولا عشوائية في الأمر، إنها قدرة الخالق العظيم الذي بث في الأرض من كل دابة وأودع فيها طريقة كسب رزقها وقوام حياتها وحفظ نسلها، فسبحان الخالق الباريء المصور سبحان الله العظيم {هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم} ﴿٢٤﴾ سورة الحشر.

4- بعض الزهور مثل زهرة الأوركيدا تتخذ صورة تطابق تماماً أُنثى النحل فيأتي ذكر النحل محاولاً الإقتراب من أُنثاه ولا يعرف أنها زهرة، فتلتصق حبات غُبار الطلع في رأسه ويقوم بالعملية نفسها في أوركيدا أخرى فيقوم بالتلقيح المثالي دون أن يدري .. ولا يمكن بحال الحديث عن عامل التدرج أو الداروينية في الأمر .

5- بل إن الأكثر إثارة لكل عاقل أن زهرة الأوركيدا تُفرز نفس الرائحة الخاصة بأُنثى النحل – فيرميون أُنثى النحل – وليس شكلها فقط، كل هذا وهي كائن لا يعي من أمره شيئًا ولا يُدبر من أمره شيئًا، ورغم هذا التحدي المبهر في زهرة الأوركيدا فإنها تعيش في توازن بيئي مثالي مع غيرها من الكائنات، فلا تطغى عليهم ولا يطغون عليها، فسبحان فاطر الخلق مودع عجيب الصنع في كل شيء .

6- بعض الزهور تأخذ شكل أُنثى الدبور تمامًا كبديل للرحيق الجاذب للذكور .. هذه الأمور تناقض منطق التطور ذاته، القائم على التدرج، فهذه الزهور إما تظهر فجأةً ومعها الدبابير ولها نفس شكل أُنثى الدبور أو لا تظهر .

مع ملاحظة أن خواص الفكر والإدراك واتخاذ قرار هي خواص في قمة العقلانية، ولكن لو افترضنا أن هذه الزهور تدرك وتعقل فلن تُغير من أمر شكلها ولا رائحتها شيئًا، فما بالنا بحساب الزمن – زمن التلقيح – والشكل والحجم الخاص

بالحشرة التي ستُقلد شكلها، وإنتاج غبار طلع بالكمية الكافية وحساب خاصية التصاقه بجسد الحشرة، وضغط كل المورثات في حبة غبار الطلع وتحصينها بجدار سميك مع خفة الوزن في نفس الوقت .. كل هذه الحسابات هي آيات للعاقل يخشع بسببها للخالق العظيم المبدع {إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون} ﴿١٦٤﴾ سورة البقرة.

7- لقد ظهرت هذه الكائنات منسجمة في علاقات تبادلية مع بعضها البعض منذ البدء، أو لن تظهر.

8- كيف نشأ الكائن المتطفل الذي يحتاج إلى أكثر من عائل ؟ بعض المتطفلات تحتاج لأكثر من 3 كائنات، وفي حال فُقد كائن واحد تهلك هذه المتطفلات –كالبلهارسيا- فكيف تم التنسيق ؟ بل إن 10% من الكائنات الحية تعيش متطفلة، وباقي الكائنات تعيش في علاقات حتمية بين بعضها البعض!

9- كيف قدَّر الخالق هذه المنظومة المتكاملة من ملايين الكائنات الحية، وكيف قدَّر أقواتها وضبط العلاقات بينها، وقدَّر رزقها وعلاقاتها بغيرها وأعدها لتُفيد وتستفيد في منظومة تبهر العقول وتأخذ بالألباب.

10- صمامات معدتك لئلا يرجع الطعام إلى فمك فتتأذى.

11- صمامات الإخراج لئلا تتأذى ثيابك في كل لحظة.- مع أن هذا أمر لا قيمة تطورية له، لكنه الأليق بمخلوق من مخلوقات الله-.

12- هرمونات تُفرز حسب الطلب والحاجة، بمعايرة دقيقة للغاية وحسابات حساسة لأبعد حد.

13- إنزيمات بالآلاف في قمة التخصصية من فك الشفرات داخل أنوية الخلايا إلى هضم الطعام إلى تخليق البروتين في سيتوبلازم الخلية بمنتهى الكفاءة والضبط.

14- تُرزق وأنت في بطن أُمك بما يقوتك ويُنمي أنسجتك بلا نقص ولا زيادة وأنت لا حول لك ولا قوة.

15- عظام جمجمتك لا تلتحم حتى تنزل من بطن أُمك آمناً بسهولةٍ ويُسر، ولا يكتمل نموها حتى يكتمل نمو مخك.

16- في لحظة نزولك من بطن أُمك يُعاد تهيئة جسدك بأكمله لحياةٍ جديدة لا حول لك فيها ولا قوة، فتنطلق جلطة لتُغلق ما بين الأُذينين، وجلطة لتُغلق الحبل السرى، وتتفتح رئتيك، وتُهيأ معدتك لاستقبال الغذاء، وتتحرك غريزة البحث عن الطعام بين شفتيك فتلتقم ثدي أمك تمصه لترتوي بلبنٍ خرج للتو بضبط خاص حسب عمرك وحاجتك، فلا تطغى المواد الدهنية على المواد النشوية ولا السكريات على المعادن والفيتامينات، بل ينزل الغذاء ترياقًا من كل داء وبناءًا لعضلات وأنسجة جسدك إلى أن تقوى وتعتمد على نفسك.

17- وأُمك نفسها لا حول لها ولا قوة، فهي لا تعرف شيئًا عن مقادير المضادات الحيوية التي يضخها ثديها في أول أربعة أيام والتي تطهر مجاري جسدك كله، ولا تعرف شيئًا عن اللبن الإنتقالي الذي يظهر بعد الأربعة أيام الأولى من الرضاعة ويستمر لعشرة أيام ويتم فيه إعداد معدتك لتقبل الدهون والكازيين، ولا تعرف شيئًا عن خريطة ضبط هرمونات جسدها لتخليق اللبن بل وإنزاله عبر الحلمة لمجرد بكائك حتى وأنت بعيد عنها بأميال، فتعلم أنك جائع وتهرول عائدةً تحملها اللهفة ويحدوها الشوق لتحتضنك، ويتقطع قلبها إذا أصابك مكروه وتفديك بعينها راضيًة قانعة، فقد سخرها الله لك حتى تقوى ويشتد عودك ، وما أجمله من تسخير وما وأحلاه على قلبها.

18- عدم خلو لبن أُمك من أية مادة غذائية لشهور كاملة هو معجزة تفوق كل ما أنجزته البشرية من علمٍ وفكر.

- هل تعلم أن زميلك الملحد يؤمن أن مصدر هذا اللبن هو غدد عرقية تطورت إلى غدد لبنية ومضطر لهذا الإيمان وإلا لكفر بإلحاده؟- .

19- منذ اللحظة الأولى التي تتفتق فيها أوعية دمك تنطلق جزيئات أوكسيد النيتروجين لتضبط ضغط شعيراتك الدموية وشرايينك وأوردتك فلا تنفجر ولا تلتصق، مع أن جزئيات أوكسيد النيتروجين جزيئات صماء بلا عقل، وتتبدد هذه الجزيئات كل عشر ثوانٍ لينطلق غيرها وهكذا طيلة عمرك وأنت لا تبالي، وربما تموت ولا تعرف عنها شيئًا ومع ذلك هي تقوم بمهمتها على أحسن وجه، وعندما اكتشف العلماء هذه الجزيئة ووظيفتها العجيبة العظيمة قاموا بإطلاق إسمها على عام 1992 فصار يُسمى عام جزيئة أوكسيد النيتروجين.

-هل تعلم أن زميلك الملحد مضطر للتسليم بصدفوية عمل هذه الجزيئة وإلا لكفر بإلحاده، مع أن صدفوية عملها لا يبرر خط سيرها داخل أوعيتك الدموية كل لحظة لضبط ضغط دمك، في حين أنها لا تملك بوصلة ولا وعي-.

20- تخيل الحد الحرج لهرمون مثل هرمون الألدوستيرون، والذي يتطلب لكل عشرة ملايين نسمة جرام واحد فقط من هذا الهرمون، تخيل حساب مليوني عجيب لهذا الحد، تخيل الشعب المصري كله يعيش على 8 جرامات من هرمون الألدوستيرون تملأ طرف ملعقة شاي، أيضًا هرمون الأدرينالين بنفس المعدل تقريبًا، إنه حد حرج لا يستوعبه العقل، لكنه ضروري لتُكمل حياتك متزنًا بصحة وعافية.

21- في كل وظيفة مما سبق وفي كل هرمون يخرج بضبط وكمية تسمى بالحد الحرج، يتسابق العلماء ليقتفوا مقاييس هذه الوظائف العجيبة وينالوا الجوائز لمجرد الرصد.

- هل تعلم أن زميلك الملحد ينبهر بعقول هؤلاء العلماء، وينسى خالق هذه العقول، وينسى خالق هذه الهرمونات بحدودها الحرجة-.

22- هل تتخيل أن التطور يُمكن أن يُفرز وظائف حياتية تمت مُعايرتها بدقة متناهية مثل التواصل العصبي بين الشُجيرات العصبية، والرسل الكيميائية التي تنقل الرسائل بين العصب والعضلة فتجعلك تتحرك وتمشي وتكتب وتهز رأسك وتثني ظهرك وتُحرك لسانك وتبلع طعامك، وتتفادي الخطر؛ كل هذا في أجزاء من الثانية منذ لحظة وصول الإشارة إلى تحليلها إلى إعطاء القرار السليم إلى تنفيذه، وأي تباطؤ يعني وقوف الطعام في بلعومك وبالتالي الإختناق والموت، أو الانتظار حتى تأكل النار أجزاء من الجسد قبل اتخاذ القرار! لقد خلقك الله بمعايرة دقيقة لكل وظيفة وكل حركة وكل نشاط {صنع الله الذي أتقن كل شيء} ﴿٨٨﴾ سورة النمل.

- هل تعلم أن زميلك الملحد يعترف أن كل علماء العالم الآن لا يستطيعون بكل ما امتلكوا من جامعات عملاقة ومكائن جبارة أن يرفعوا درجة الوعي لأي شيء يصنعونه فوق حاجر الصفر 0.00 ، في حين يضطر الملحد في نفس اللحظة للتسليم بأن العشوائية العقيمة في بيئة الأرض الأولى أنتجت الوعي والحياة والإنسان-.

23-هل تفكرت يوماً ماذا لو اختل هرمون واحد من عشرات الهرمونات التي تجري داخل دمك بمقدار جزء من المليون من المليليتر، ماذا لو اختلت نيوكليوتيدة من أصل ثلاثة مليارات نيوكليوتيدة في كل خلية من خلاياك؟

24- تخيل كل محاور أعصابك والتي تنقل الإشارات الكهربية مُغطاه بطبقة عازلة —كما نفعل نحن الآن مع الأسلاك الكهربية -منذ البدء، لئلا تشرد الإشارة الكهربية أو تضيع أو تسبب لك إزعاجًا.

25- تخيل لكي تؤدي حركة واحدة بسيطة بإصبعك فإنك بحاجة لمنظومة هائلة من التواصلات العصبية الكهربية، ثم الإفراز الكيميائي في نهاية كل وصلة والذي ينقل الإشارة كيميائيًا لشجيرات العصب التالي، ثم تتحول الإشارة إلى إشارة كهربية على طول المحور العصبي التي بدورها تعود إشارة كيميائية لحظة تبدل المحاور، وهكذا إلى أن تصل الإشارة إلى العضلة التي تريد قبضها أو بسطها فتخرج بنفس القدر والقوة والإتجاه المناسبين، ثم يعاد ضبط إيقاع العضلات لو كان الأمر مُركب، كل هذا في أجزاء من الألف من الثانية.

26- شبكية العين البشرية بها 130 مليون عُصية ومخروط -130 مليون مستقبل ضوئي -، وحجمها ملليمتر وربع المليمتر، للتمييز بين 8 مليون لون، وفي العين مادة مضادة للتجمد ولذا لا تتجمد وإلا لأُصيب بالعمى أهل المناطق المتجمدة.

27- أما القرنية التي تُشكل أنقى وأدق عدسة في العالم بالإشتراك مع عدسة العين فإنها لا تحمل أية أوعية دموية لتغذيتها حتى لا تؤثر على الرؤية، وإنما تتغذى من دموع العين، وتحصل على الأوكسجين من الهواء مباشرةً.

28- كرات الدم الحمراء تأخذ شكل كروي حتى تسرع حركتها في مجرى الدم، وتقوم بتفريغ نفسها من كل العضيات وتفريغ نفسها حتى من النواة – وهذا يعني أن الحياة لا علاقة لها بالنواة- لتتفرغ فقط لحمل الأوكسجين وبذلك تتسع

الكرية الواحدة ل 280 مليون جزيئة هيموجلوبين، لو قلّ عدد الكرات الحمراء إلى النصف فقط يموت الكائن الحي، ولو اتخذت أي شكل بخلاف الشكل الكروي فإن الإنسان يعاني من الأنيميا الحادة مدى الحياة.

29- خلايا الكيراتين تتخذ شكل مُعين ثم تقوم فجأةً بمهمة انتحارية وتقرر أن تموت لتُشكل الشعر والأظافر.

30- ما المبرر لتتجمع ملايين الخلايا لتكوين صمام مخرج الجهاز الهضمي؟ مع أنه ليس قضية حياتية، ولو كان الأمر عفويًا فصمام كهذا لا معنى له، فكل ما سيحصل هو أن الكائن لن يتحكم في خروج الفضلات ولكنة لن يموت. ثم إن هذا الصمام يتمتع بميزة من أعجب ما يكون إذ ينقل للمخ إحساس يختلف بحسب المادة الموجودة خلفه، فيعرف الإنسان ما يحتبس بداخله هل هو ريح أم براز، فيقرر التصرف الأنسب بطريقة تليق بكائن خُلق في أحسن تقويم.

31- لو تصورنا مثلاً أن للإنسان حاسة شم مثل الكلب فإنه كان سيعيش أسوأ وأتعس لحظات حياته بمجرد وجود رذاذ من البول على صنبور عربة إطفاء على بعد مئات الياردات عنه، فكل شيء موجود بقَدر {إنا كل شيء خلقناه بقدر} ﴿٤٩﴾ سورة القمر.

32- تخيل لو كانت الشمس من الفحم ، فإن عمرها لن يتجاوز 300 عام.

33- وقدَّر العلماء ثمن كمية الطاقة التي تصل للأرض يوميًا من الشمس ب 680 مليار جنيه يوميًا، أي أن كل الثروات التي جمعتها البشرية عبر تاريخها كله لا تكفي نعمة طاقة الشمس في شهرٍ واحدٍ فقط، فتبارك الذي أنعم علينا بهذا السراج {تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا} ﴿٦١﴾ سورة الفرقان.

34- الأرض تسير حول الشمس بزاوية ميل 23 درجة وهي التي تكفل الفصول الاربعة (الصيف، والخريف، والشتاء، والربيع.) وتمنع بذلك تحول وسط الأرض إلى صحراء تحترق في صيف دائم ودفن شمالها وجنوبها تحت ركام من الثلج. {إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب} ﴿١٩٠﴾ سورة آل عمران.

35- وتعاقب الليل والنهار بنظام ثابت متقارب مناسب لبنية الإنسان هو آية عجيبة فلو كان النهار عشرة أيام كبعض الكواكب لاحترق كل شيء على الارض فترة النهار، ولتجمد كل شيء على الأرض فترة الليل.

36- الكون جاء بنظام دقيق ممكن الاستيعاب وبفضل هذا النظام الذي قام على ميزان دقيق يستطيع الإنسان البحث والتدبر والاستفادة بهذه الظواهر في الحِل والترحال {وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون} ﴿٩٧﴾ سورة الأنعام.

بل إن الفلكيين عرفوا كواكب قبل رصدها المباشر، بفضل ميزان الخلق الدقيق.

37- تخيل لو لم يتم تذليل المخلوقات لنا كالحصان والحمار والجمال!

لو لم تُذلل لنا لما قامت حضارة ولا انتقلت ثقافة ولا توسع عمران، فالمخلوقات الضخمة كالجمال والخيل تستسلم لنا وتنقاد لتذليل الله لها.

حاول أن تُذلل قطة أو فأر أو حشرة!

إن تذليل الكائنات نعمة من الله.

{تحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم} ﴿٧﴾ سورة النحل

– هذه كانت لمحة سريعة لآية من آيات خلق الله {هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين} ﴿١١﴾ سورة لقمان –.

الكبسولة الثانية و الثلاثون: كوريا الشمالية الدولة الوحيدة المُلحدة رسميًا في العالم

North Korea is officially an atheist state

كان الاتحاد السوفيتي وكوبا وبعض الدويلات في آسيا – مثل كمبوديا – تُصنف على أنها دول إلحادية State atheism ، وبعد سقوط الاتحاد السوفيتي وانهيار الشيوعية رسميًا في العالم كله أعلنت روسيا وكوبا وباقي الدويلات أنها دول علمانية secular state ، ولم يبق في العالم إلا كوريا الشمالية التي تُعلن أنها دولة الإلحاد .State atheism

http://en.wikipedia.org/wiki/Atheist_state

* ملحوظة هامة... سيحاول الكاهن الملحد العربي سريعًا أن يؤدلج المسألة سياسيًا ويعتبر أن كوريا الشمالية تُطبق الإلحاد من منظور شيوعي .. كوريا الشمالية تعتبر الشيوعية أحد أفرع التطبيق السياسي لا أكثر وأن الشيوعية أقرب للإلحاد من الرأسمالية – يقول [بليخانوف] Plekhanov الشيوعية هي "تطبيق للداروينية في العلوم الاجتماعية". – وإلا فإن كوريا تُطبق كل الأنظمة الإقتصادية والسياسية .. وتوجد بها منطقة كايسونج الصناعية الرأسمالية .. وتقوم بتجربة النظام الرأسمالي منذ عام 1991 .. فلا يمكن أدلجة المسألة سياسيًا .

الآن كوريا الشمالية هي دولة الإلحاد الوحيدة على وجه الأرض وإليكم شيء من أخبارها:

الدولة الوحيدة التي تعمل بالنظام الطبقي رسميًا في العالم هي الدولة الوحيدة الملحدة كوريا الشمالية:

يتم فرز الكوريين الشماليين إلى ثلاث مجموعات في نظام يُعرف بالسونجبن Songbun ، وهو نظام فرز طائفي طبقي شديد الحدة – طبقة الموالين 25٪ طبقة المترددين 55٪وطبقة المعادين 20٪ – وهذا الفرز هو الذي يحدد فرص العمل السانحة للأجيال الصاعدة وكمية الغذاء التي يتم تلقيها ونوع المسئولية التي تُلقى على عاتق الشخص .

http://en.wikipedia.org/wiki/Songbun

ووفقًا للهيومن رايتس ووتش فإن الأنشطة الدينية لم تعد موجودة في كوريا الشمالية، كما أن الحكومة ترعى الجماعات الدينية فقط لتحاول خلق وهم الحرية الدينية... ولذا فالأقليات الدينية بها هي الأكثر اضطهادا في العالم ...

لا يوجد في كوريا الشمالية سوى أربع كنائس، ولا يوجد بها كاهن رسمي واحد..... الذي يدير القداسات هم أعضاء من لجنة الحزب .

http://www.hrw.org/legacy/english/docs/2004/07/08/nkorea9040.htm

ورسميًا يُعتبر الاحتفاظ بأي كتاب مُقدس جريمة وفق القانون الكوري الشمالي ويَنص القانون على أن أي سخص يحتفظ بأي نسخة من كتاب مقدس يتم إعدامه في ميدان عام ويشهد هذا الإعدام الآلاف من الكوريين حيث يجري الإعدام غالبًا في ملاعب كرة القدم .

المصدر : http://arabic.rt.com/news/633358/

إعدام أي شخص يمتلك كتاب مُقدس فورًا في دولة الإلحاد كوريا الشمالية

أفادت صحيفة "جونغ إنغ البو" الكورية الجنوبية بأن كوريا الشمالية نفَّذت قرابة 80 حكمًا بالإعدام علنًا في شهر نوفمبر2013 وحده، وذلك في 7 مدن.

كما تؤكد الصحيفة أن حكم الإعدام العلني في مدينة [وانسان] نُفذ بحق 8 أشخاص في ملعب كرة قدم، على مرأى ومسمع 10 آلاف مواطن من بينهم أطفال.

ويضيف المصدر ذاته بأن الأحكام بالإعدام صدرت بحق العشرات بسبب الاحتفاظ بالكتاب المقدس، وهي جرائم وفق القانون الكوري الشمالي.

المصدر : http://arabic.rt.com/news/633358/

إعدام أي شخص يحاول أن يُغير فلسفته المادية إلى فلسفة مادية أُخرى في دولة الإلحاد كوريا الشمالية :

يتم الإعدام فورًا لمن يستمع إلى ثقافة كوريا الجنوبية أو ثقافة الغرب، حيث إنه في شهر نوفمبر 2013 تم إعدام العشرات لاتهامهم بمشاهدة التلفزيون الكوري الجنوبي وهو نشاط محظور تمامًا في كوريا الشمالية .

فالإعدام كان بسبب مشاهدة برامج تلفزيونية كورية جنوبية أُدخلت سرًا مسجلة على أقراص فيديو او ذاكرة يو اس بي .

واعتبر مسؤول ان "النظام يبدو كأنه يخشى إمكانية تبدل عقلية الناس ويحاول إخافتهم".

هذه هي صورة دولة الإلحاد الوحيدة في العالم

عبادة الفرد:

كان نتيجة إلحاد الدولة توجه الجماهير التي تفتقر إلى القيمة العليا وتبحث عن المغزى الروحي وتعاني وخز الفطرة إلى إعلان عبادة الفرد cult of personality ، حيث تتم بطريقة غير رسمية عبادة [كيم إل سونج] – مؤسس الدولة الكورية –وقد بث التليفزيون الرسمي الكوري الشمالي سجود الجماهير لتمثال من البرونز لكيم ايل سونغ، وبثت مشاهد مماثلة في أعقاب وفاة كيم جونغ إيل – الرئيس الثاني لكوريا الشمالية – وما زالت عبادة الفرد مُسيطرة على الوعي الجمعي للكوريين الشماليين .. أيضًا عيد ميلاد الرئيس الكوري الشمالي هي واحدة من العطلات العامة الأكثر أهمية في البلاد.

http://en.wikipedia.org/wiki/North_Korea%27s_cult_of_personality

لكن ما هي مُحصلة 60 عام من الإلحاد

بعد ستين عامًا من انقسام الكوريتين الشمالية والجنوبية وبعد ستين عامًا من الإلحاد الرسمي لكوريا الشمالية يمكن ملاحظة التالي :

ميزانية كوريا الشمالية 3.4 مليار دولار، بينما ميزانية جارتها كوريا الجنوبية 244.3 مليار دولار ...

صادرات كوريا الشمالية 1.1 مليار دولار، بينما صادرات جارتها كوريا الجنوبية 364 مليار دولار ..

المصدر: http://www.youtube.com/watch?v=BBlWZz99p9s

خزي وعار هو مُحصلة الإلحاد المادي الدوغمائي .

وفي عام 1995 أُصيبت كوريا الشمالية بمجاعة راح ضحيتها قرابة مليون نسمة .

تخيل دولتين بنفس القوة تنفصلان وبعد نصف قرن فقط ونتيجة لإلحاد إحداهما تصير قوتها 1 على 300 من قوة الثانية ... ويموت مليون بسبب المجاعات بها مع أنها دولة ذات تسليح عملاق .. ما الذي يفعله الإلحاد بالأدمغة ؟ كيف يتحول الإلحاد إلى هذا البؤس والشقاء والكراهية لكل شيء والحقد على كل شيء والخوف من كل شيء وهذا هو عنوان كوريا الشمالية الآن ..كيف لمنظومة فكرية كالإلحاد أن تدمر دولة مثل كوريا هذا التدمير الرهيب؟.؟؟

تُصنف كوريا الشمالية حاليًاعلى أنها طليعة الفشل في كل شيء

أسوأ دولة في سجلات حقوق الإنسان، أكثر دول العالم اعتقالاً للأفراد بالنسبة لعدد السكان 200 ألف معتقل سنويًا يعانون أسوأ ظروف يمكن تخيلها على الإطلاق.

المصدر : www.amnesty.org/en/region/north-korea/report-2011

حيث يوضع 1% من سكان الشعب الكوري الشمالي في ستة معتقلات عملاقة فقط لأنهم ليسوا مُلحدين .

المصدر : www.amnesty.org/en/library/asset/ASA24/001/2011/en/2671e54f-1cd1-46c1-96f1-6a463efa6f65/asa240012011en.pdf

يموت 10 آلاف مُعتقل كل عام

http://english.chosun.com/site/data/html_dir/2012/04/04/2012040401146.html

أكثر دول العالم تطبيقًا لعقوبة الإعدام الجماعي وأكثر دول العالم كبتًا للحريات

هذا هو الإلحاد وهذه هي دولته .

تاريخ كوريا الشمالية في الإلحاد هو تاريخ البؤس والشقاء والتعاسة إنهم يُعدمون فورًا أي صاحب دين، يعدمون فورًا بمجرد تغيير الثقافة، أسخف وأغبى دولة في العالم، في مجاعة واحدة منذ عقد واحد يموت فيها مليون نسمة مع أن بها تسليح

عملاق، إنها دولة السلاح والقتل والقمع والإبادة والتاريخ الأسود والمجاعة والحقد على كل شيء والخوف من كل أحد وكراهية كل أحد، هذا هو الإلحاد وهذه هي دولته الوحيدة يا من تُبشرون بالإلحاد في بلادنا .

يكرهون الجميع ويخشون الجميع ويحقدون على الجميع .. أكبر تسليح في العالم كان من نصيب أكثر دول العالم إلحادًا ... لأنهم كارهون للجميع ويخافون من الجميع .

انظر للفرق بين تسليح كوريا الشمالية والجنوبية :

يوجد في الجيش الكوري الشمالي مليون ونصف المليون جندي 1500000 جندي.

بينما في الجيش الكوري الجنوبي 67 ألف جندي 67000 جندي.

مع أن عدد سكان كوريا الجنوبية ضعف كوريا الشمالية .

أكبر عدد من الجنود في العالم مقارنة بعدد السكان يوجد في الدولة الوحيدة الملحدة في العالم .

هذا هو الإلحاد

هذه هي دولته.

الدولة المجنونة كوريا الشمالية

الكبسولة الثالثة و الثلاثون: الهوس الجنسي عند العرب؛ أُسطورة يُروِّج لها الإعلام ويطير بها الملحد الخبيث !

ويستدل الإعلام ب:

1- أكبر نسبة تحرش في العالم توجد في مصر.

2- الدول الإسلامية أكثر الدول بحثاً عن كلمة sex في جوجل.

3- الكبت الموجود في العالم الإسلامي، مصدر رئيس لهذا السُعار الجنسي.

الرد :

الهوس الجنسي عند العرب، أُسطورة قذِّرة ودعاية حمقاء، يروج لها ملاحدة خبثاء، وإعلام عميل، ومسلمون سُذج.

والميل الجنسي في أصله غريزة طبيعية خلقها الله وجعلها دافعاً للحفاظ على النسل، لكن نمط حياتنا – الذي أصبح مُقلداً للغرب– صار يفترض في حياة كل شاب عربي بضع سنين يقضيها في اللهو الحرام قبل أن يظفر بنكاحٍ صحيح، ومع هذا كان رادع الدين في بلادنا العربية يمثل حائط صد جوهري ضد الزنا والاغتصاب والشذوذ، فلولا الدين كما يقول فولتير لسرق الخادم وخانت الزوجة.

الاغتصاب :

ولذا فأقل دول العالم هوساً بالجنس الحرام، هي –بفضل الله– الدول الإسلامية، وأقل دول العالم ارتكاباً لفاحشة الزنا على الإطلاق هي الدول الإسلامية، وأقل دول العالم ارتكاباً لفاحشة الشذوذ الجنسي على الإطلاق هي الدول الإسلامية، ولذا فأقل معدلات اغتصاب توجد في البلدان الإسلامية حصرياً..

وهذه قائمة بالدول التي توجد بها أعلى معدلات اغتصاب في العالم بالترتيب

فرنسا

ألمانيا

روسيا

السويد

الأرجنتين

بلجيكا

الفلبين

أسبانيا

شيلي

ليسوتو

http://www.nationmaster.com/graph/cri_rap-crime-rapes

أما الدول الإسلامية فهي أقل دول العالم ارتكاباً للاغتصاب على الإطلاق وتأتي في ذيل القائمة ..

وتكاد تخلو الدول التالية من جريمة الاغتصاب تماماً..

باكستان

السعودية

اليمن

http://www.nationmaster.com/graph/cri_rap-crime-rapes

إذن الهوس الجنسي قرين حصري بالدول الغربية العلمانية عالية التقانة، وليس بالدول الإسلامية.

نُكرر مرةً أخرى –بفضل الله– الهوس الجنسي قرين حصري بالدول الغربية العلمانية عالية التقانة، وليس بالدول الإسلامية.

مرض الإيدز :

ومن دلائل ذلك أن مرض الإيدز AIDS– الرحم الإلهي – الذي يعاني منه 36 مليون نسمة في العالم، والذي يُصيب سنوياً مليونين ونصف من البشر، يوجد بأقل معدلاته على الإطلاق في الدول الإسلامية، وتكاد الدول الإسلامية تكون خالية بأكملها من المرض باستثناء بعض المهاجرين للدول الأوربية وأمريكا.

و يعادِل تواجد الإيدز الصِفر تقريباً في أغلب الدول الإسلامية – الخليج العربي والبوسنة والهرسك وتركيا وأندونيسيا ومصر وليبيا والعراق وأفغانستان وتركمانستان، إلخ..– .

الشذوذ الجنسي:

أما عن الشذوذ الجنسي Homosexuality فإن 20%من الغربيين شواذ جنسياً – خُمس المجتمع الغربي من الشواذ – .

http://en.wikipedia.org/wiki/Homosexuality

وفي مسح إحصائي شمل 39 دولة، حول قبول فكرة الشذوذ الجنسي تبين أن 80% من الغربيين يتقبلون فكرة الشذوذ الجنسي... في حين أن النسبة في الدول الإسلامية لا تتجاوز 1% .

http://www.pewglobal.org/2013/06/04/the-global-divide-on-homosexuality/

بل لقد تجاوزَت الدول العلمانية عالية التقانة الحدود في الهوس الجنسي، وصارت تطالِب رسمياً بإتاحة الشذوذ الجنسي بين الرجال والأطفال، وظهرت جماعات كبرى مثل النامبلا NAMBLA التي تُنادي بإلغاء حاجز السن بين الشواذ جنسيًا ... وبالفعل المنظمة ناجحة تنظيرياً، وللمنظمة اجتماع سنوي بنيويورك واجتماعات تُعقد شهريًا بصفة منتظمة بالولايات المختلفة .

The North American Man/Boy Love Association NAMBLA

ومن عجائب ما يُذكر أنه في حرب الخليج الثانية كانت التعليمات المباشرة للجنود الأمريكان، إذا رأيت سعوديين يُشبِّك أحدهما في يد الآخر فهذا طبيعي عندهم.

https://www.youtube.com/watch?v=M_CX-JjGFO8

وفي سويسرا يسير الإتجاه رسمياً الآن، نحو تفعيل قوانين تُبيح زنا المحارم.

هل ما زال الملحد مُقتنعاً بأُسطورة الهوس الجنسي عند العرب؟

لكن ماذا عن أكبر نسبة تحرش في العالم توجد في مصر ؟

هذه أحد أكاذيب وتلفيقات الملحدين العرب والعلمانيين العرب، لأن التحرش لم يُعرَّف عالمياً حتى الآن، ففي مصر النظرة والإبتسامة من دلالات التحرش ويُصنَّف أصحابهما في قوائم المتحرشين جنسياً، أما المصافحة المتعمدة فأصحابها مُطلوبون للعدالة، وبداهةً السقف في الدول الأجنبية مرتفع جداً، وربما يوصف الفجور بأنه لباقة في التعاطي مع الجنس الآخر، فكيف توضع هكذا إحصاءات دون تحديد دلالات واضحة ؟

وإذا نظرنا للتحرش الجنسي في العالم فإن السويد كالعادة تأتي في المرتبة الأولى بنصيب الأسد، وفي أُستراليا وحدها تبلغ تكلفة التحرش الجنسي11 بليون دولار .

http://www.thelocal.se/20090427/19102

أما بخصوص أن الدول الإسلامية أكثر الدول بحثاً عن كلمة sex في جوجل.

يبلغ عدد المواقع الإباحية على شبكة الأنترنت 4.2 مليون موقع، يعمل بها حوالي 9 مليون امرأة أجنبية، تُدِر حوالي 12 مليار دولار أمريكي، تأتى الولايات المتحدة في قائمة أكثر البلدان امتلاكاً لصفحات جنسية، تليها ألمانيا، ثم المملكة المتحدة، ثم استراليا واليابان وهولندا ثم روسيا وبولندا وأسبانيا، وهذه المواقع ربحية في المقام الأول وبالتالي هي مُوجهة رأساً نحو المستهلك الأوربي والأمريكي.

ولسنا بحاجة إلى إثبات أن نسبة المواقع العربية الإباحية أمام 4.2 مليون موقع = الصفر أو أقل قليلاً.

ولن ندفن رؤوسنا في الرمال ونقول إننا لا نتعاطى مع هذه المواقع الأجنبية، فنحن بشر وأصحاب غرائز وذنوب، خاصةً وأن الفئة العمرية التي تتعامل مع الإنترنت في البلدان العربية هي الفئة الشبابية، لكن فرق جوهري بين مَن يرى أن تصفح المواقع حق تجب الدعاية والترويج له ويتربح من خلالها، وبين مَن يعتبرها خصلة دنية يستغفر الله بعدها وينوي ألا يعود.

وعندما بحثت أنا في مسألة أن الدول الإسلامية أكثر الدول بحثاً عن كلمة sex في جوجل، تجاهلت المواقع العربية الصفراء، واتجهت رأساً إلى جوجل، أبحث داخله عن أهم نقاط البحث للعام الماضي في ثلاث بلدان عربية وهي مصر والسعودية والإمارات، وكانت النتيجة:

مصر

1- أحداث بورسعيد borsayed indicants

2- اللجنة العليا للإنتخابات higher elections commision

3- تنسيق الجامعات ٢٠١٢

4- ميدان التحرير tahrir sqr.

5- حزب النور noor party

6- بورما Borma

7- الحرية والعدالة justice and freedom party

8- محاكمة مبارك Mubarak trial

9- إنتخابات الرئاسة Presidential elections

10- مشروع النهضة development project.

السعودية

1- نتائج الطلاب students results

2- التأمينات insurance

3- عرب ايدول Arab idol

4- مسلسلات رمضان ٢٠١٢ Ramadan episodes 2012

5- محمد مرسي Mohammad Mursi

6- إنفجار الرياض Riyadh Explosion

7- بورما Borma

8- الجيش السوري الحر free Syrian army

9- مجلس الشوري Shura counsel

10- اعصار ساندي Sandi storm

الإمارات

1- Gangnam Style

2- iPad

3- Olympics 2012

4- Samsung Galaxy S3

5- The Avengers

6- Skyfall

7- Hurricane Sandy

8- مسلسلات رمضان ٢٠١٢ Ramadan episodes 2012

9- KONY 2012

10- الثورة السورية Syrian Revolution

arabcrunch.com/2012/12/top-google-search-trends-in-egypt-uae-and-saudi-arabia-in-2012.html

أما عن الكبت الموجود بالعالم الإسلامي، وأنه مصدر رئيس لهذا السعار الجنسي .

فقد تبين في ثنايا هذا المقال مدى سخافة تلك الأُسطورة التي تربط بين الكبت والسُعار الجنسي، فأكثر الدول إباحيةً هي أكثرها سُعاراً في الجنس على الإطلاق، وأقلها إباحية هي أقلها سُعاراً، وقد أثبتت دراسات الطب النفسي السلوكي أن ضبط الغرائز يؤدي إلى تهذيبها، في مقابل أن إفلاتها يجعلها تتحول إلى فيضان كاسح.

ولا أدري كيف انقلبت الآية عند الملحد والعلماني وصاروا يُرّوجون للعكس، ربما هم يؤمِّلون شيوع الفاحشة في بلادنا الإسلامية، فيكذبون من أجل ذلك ويخترعون أسطورة الربط بين السُعار والكبت .

فطِبقاً لطب النفس السلوكي فإن الرجل الأوربي يُفكر قي الجنس كل 6 دقائق، و42% من البريطانيين يقيمون علاقة مع أكثر من شخص في نفس الوقت، بينما 50% من الأمريكيين يقيمون علاقات غير شرعية (أي مع غير أزواجهم) !

المصدر: http://news.bbc.co.uk/2/hi/uk_news/177333.stm

وفي أمريكا وحدها يقتل الإجهاض أكثر من مليون طفل سنوياً.

http://www.cdc.gov/mmwr/preview/mmwrhtml/ss5511a1.htm

وعندما حاولت فرنسا منذ فترة قريبة تقنين أوضاع بيوت الدعارة بها، خرجت ثورة كبرى، وأَغلقت العاهرات الشوارع، ورفعن لافتات sex=work و sex is work واضطر المشّرِع أن ينزل على رغبة العاهرات، وفي إسرائيل أكبر المظاهرات في الخمسين عامًا الأخيرة هي حصرية للشواذ جنسياً ولطلباتهم التي لا تنتهي، وأكبر نسبة من التظاهرات في أوربا وأمريكا متعلقة مباشرةً برغبات جنسية وطلبات زيادة وجبات إباحية، أو تسهيل زواج مِثلي، أما مُظاهرات العُراة فلا تكاد تخلو منها مدينة أوربية، ومؤخراً سمحت السويد رسمياً بحق الإستمناء في الأماكن العامة.

الخاتمة

وهكذا يتبين لنا فداحة خطأ تلك الأُسطورة التي تربط بين الهوس الجنسي والعرب، أو بين الهوس والمتدينين، إنها أُسطورة ذائعة الصيّت، واسعة الانتشار، مقبولة لدى قطاع عريض جداً من السُذَّج والحمقى والمغفلين.

إن القاعدة الفطرية البدهية التي نخرج بها من هذا المقال، ومن الإحصاءات الرسمية التي أوردناها، ومن المسح السلوكي لأخلاقيات المجتمعات تتلخص في أن "المرء إذا هوى دينُهُ فإنه يُقاد من فَرْجه وبطنه، أكثر مما يُقاد من عقله وضميره".

الكبسولة الرابعة و الثلاثون: الوعي يدمغ الإلحاد!

أدق الكائنات الحية على الإطلاق يقودها الغرض والهدف والغاية، وتتمتع بالوعي و تحليل المعلومات ثم إعطاء رد فعل بناءًا على تلك المعلومات، مثلاً الأميبا وحيدة الخلية لو جاء بجوارها غِذاء متحرك فإنها تلف أذرعها حوله بحذر حتى لا يهرب، في حين لو كان الغذاء ثابتًا لا يتحرك – حُبيبة نشا – فإنها تلتصق به دون احتراس.

والأميبا كائن وحيد الخلية بلا مخ ولا عين ولا أعصاب ولا حواس.

و البويضة بعد تخصيبها تُعبِّر عن استقلالها البيولوجي ويكون لها وعي وإحساس بحقيقة أنه يمكنها التفاعل مع بيئتها، وتبدأ في الإنقسام الذاتي لخلايا يفوق في عددها نجوم مجرة درب التبانة، و لديها القدرة على تلقي المعلومة ومعالجتها والتفاعل باستقلال مع المعلومة.

لا يمكن أن يبلغ الكمبيوتر مهما اشتد تعقيده أبسط درجات الوعي في كائن وحيد الخلية كالأميبا، ومع ذلك عملية تصنيع الكمبيوتر عملية واعية وذكية للغاية وفي حدود زمان ومكان، أما الخلية الأولية كالأميبا التي تفوق في كل عضية من عضياتها أعلى الكمبيوترات تعقيدًا بل ربما لا مجال للمقارنة، لأن نسبة وعي أذكى الكمبيوترات على الإطلاق تساوي صفر، I.Q.=ZERO ، ومع ذلك المطلوب أن نُصدق أن العشوائية أنشأت الأميبا والإنسان، والذكاء الإنساني لم يستطع أن يُنشيء أبسط صور الوعي، إنها أضيق حدود السذاجة إن استطعت ابتلاعها ابتلعت بعد ذلك أي شيء.

إنه السؤال المفصلي والجوهري، بين الدين المنطقي والإلحاد العبثي .

الإلحاد لا يطرح أجوبة بل يزيد المشكلة تعقيدًا، فلا مبرر مادي للقدرة على الإحساس بالمعلومة ومعالجتها، وإخراج رد فعل ذكي، كما عند أي كائن حي، ولا مبرر مادي للتكامل على كل المستويات – ذاتية التنظيم والتنسيق، ذاتية الإنضباط –، لا مبرر مادي للإدراك والوعي والقيمة والهدف والغاية، بل لا مبرر مادي للحياة نفسها بوصفها كينونة مستقلة، لا يمكن لوصلات عصبية أن تُفرز القيمة والهدف والجمال والغاية والحِس الأخلاقي والإمتنان للوجود والحياة، والشعور بالسمو والكيان، والقيمة والحرية، إن هناك وعي أعمق يؤثر على سلوك هذه الأسلاك العصبية.

ليست هناك آلية مادية لتشرح المعنى والوعي في حياتنا، إذا قال لك شخص تحبه أنه يحبك ساعتها سيُفرز جسدك الإندورفين والدوبامين، في حين لو قررت الإنفصال عنه وقال لك أنه يحبك ساعتها سيفرز جسدك الكورتيزول والأدرينالين، المعنى والوعي هو الذي يقرر السلوك المادي وليس العكس .

ليست هناك آلية مادية لتشرح كيف تصطدم فوتونات الضوء بشبكية عينك وتصنع صورة ثلاثية الأبعاد للواقع من حولك داخل خلايا مُخك المظلمة؟ إنها عملية لا يوجد للعلم إجابة عنها .. إنها الوعي.. إنها الحياة نفسها.

المادية لن تجيب عن معنى وجودنا، فالوعي لا يفهمه إلا الوعي، لهذا نحتاج إلى الدين، بالمنطق العلمي والعقلي نفسه الذي احتجنا به إلى المادية.

وقد أثبت د. روجر سبيري Roger Sperry الحائز على نوبل في وظائف المخ أن الوظائف العقلية لا علاقة لها من قريب أو بعيد بالمخ المادي وهي فقط قد تستعمله كآلة .

يقول السير جون إكلز John C. Eccles الحاصل على نوبل في الطب" أجدني مضطرًا إلى القول بطبيعة غير مادية لذاتي وعقلي، طبيعة تتفق مع ما يسمونه الروح."

وقد وضع جون إكلز مع فيلسوف العلوم الأشهر كارل بوبر Karl Popper ، كتاب يشي عنوانه بأبعاد القضية وعنوان الكتاب" الذات والمخ التابع لها The Self and its Brain ".

ويعترف روبرت كون Robert L.Kuhn الحاصل على الدكتوراة في بحوث المخ ، أن هناك جوهر غير مادي يتحد بالمخ ليفرز العقل، ولا مفر من اعتباره الروح التي يتحدث عنها المتدينون .

ويعترف ليونارد ملدينوف Leonard Mlodinow الفيزيائي الشهير والمشارك co-author في كتاب التصميم العظيم مع ستيفن هاوكنج 2010 أن الوعي والعقل غير ماديين .

https://www.youtube.com/watch?v=WGvzheu1JQA

والعقل هو مناط التكليف ويوجِب على صاحبه النظر والاستدلال والقيام بما كُلف به، ويمثل العقل ميزة فريدة وضعها الله عز وجل في الإنسان؛ به يعرف ثم يعمل، ومن هنا كانت مسئولياته، ولولا العقل ما صحَّت مُحاكمة ولا وُضع دستور ولا عُرف حق من باطل، ومِن هنا نحن لسنا مُخيرين في رفض التكليف الإلهي، طالما تمتعنا بالعقل.

الكبسولة الخامسة و الثلاثون: دولة السويد؛ أيقونة الملحدين العرب، من أجل نظرة أكثر عمقًا.

بتسوانا وناميبيا وجامبيا وموريشيوس والسنغال كلها دول أفريقية تُدار بأنظمة ليبرالية علمانية رأسمالية ديموقراطية تمامًا منذ عشرات السنين، لكن بما أنها من أفقر وأحقر دول العالم، لذا لن يذكرها الملحد العربي، بل سيتعامل مع هذه الدول وكأنها غير موجودة.

دولة ليبريا الأفريقية، تعمل بالدستور الأمريكي مباشرةً، وعملتها الدولار، وبها مجلس شيوخ ومجلس نواب منذ أكثر من نصف قرن من الزمان، وهي علمانية ليبرالية عتيقة، وأهلها ليبراليون جدًا – يرقصون الشارلستون ويأكلون لبان تشكلس ويرتدون أحذية نايكي– ومع ذلك دولة ليبريا مُصنفة كأفقر دول العالم على الإطلاق.

الملحد العربي أيضاً، سيتجاهل هذه الدولة.

الملحد العربي لن يُقدِّم لك إلا بعض النماذج الغربية التي يرى أن صورتها مشرقة دائماً، وطبعًا لابد أن تكون مشرقة دائمًا لأن ثرواتها جاءت نتيجة 500 عام من الاستعمار، و50 عام من صندوق النقد الدولي.

وفي الغالب يكون تركيز الملحد العربي المعاصر على دولة السويد، ولذا نحن في هذا المقال ننظر إلى هذه الدولة بشيء من الحيادية .. ولا ندعي كل الحيادية.!!

يقول الملحد : دولة السويد من أكثر ديموقراطيات العالم نجاحاً .

هذا صحيح لكن السويد إلى اليوم دولة ملكية دستورية، يحكمها الملك كارل السادس عشر غوستاف، والحكم وراثي في السويد.

وهذا يعني أن مقياس القيادة والحُكم والسيادة في السويد يكون للدم، ولا علاقة للملكية في السويد برجاحة العقل أو الاختيار، أو ما تفرزه الصناديق، بل الملك يُنصب على العرش مدى الحياة لأن والده كان ملكاً، لا أكثر .

يقول الملحد: دولة السويد من الناحية العسكرية دولة محايدة تماماً، وآخر حرب دخلتها كانت عام 1814

السويد بالفعل لم تدخل حرب منذ آخر حملة عسكرية شنتها على النرويج عام 1814، وكانت حيادية في الحروب العالمية.

وهذه ظاهرياً ميزة، لكنها في واقع الأمر أنانية مفرطة، وإيثار للذات، لأن الأولى أن تتدخل السويد لتمويل الحرب على هتلر، وإيقاف جرائمه.

لكن المفاجأة العجيبة، التي لا يعرفها الملحد العربي أن السويد سمحت للنظام النازي باستخدام سككها الحديدية لنقل الجنود والعتاد، وأمدت هتلر بالحديد والصلب من مناجمها التي تقع في شمال البلاد، بل إن عِماد الصناعة العسكرية النازية اعتمد بشكل أساسي وجوهري على حديد السويد.

http://en.wikipedia.org/wiki/Swedish_iron_mining_during_World_War_II
.Koblik, pp. 303–313

يقول الملحد: دولة السويد يكفي أنها دولة مستقرة، وهي من أقل دول العالم جريمة.

وهذا خطأ رهيب، لأن معدلات الجريمة في السويد مرتفعة للغاية.

ومعدلات الاغتصاب في دولة السويد هي الأعلى عالمياً، حيث تأتي في المرتبة الرابعة بعد فرنسا وألمانيا وروسيا.

http://www.nationmaster.com/graph/cri_rap-crime-rapes

والسويد في عام 2009 كانت دولة الإغتصاب الرسمية في أوربا.

According to a 2009 European Union study, Sweden has one of the highest rates of reported rape in Europe

http://www.thelocal.se/20090427/19102

أما بخصوص الجريمة فدولة السويد التي يوجد بها 9 مليون نسمة، تم ارتكاب مليون ونصف جريمة في العام 2009 وحده، مما يجعلها من أكثر دول العالم جريمة، ومعدلات الجريمة في السويد ترتفع باضطراد في السنوات الخمس الأخيرة.

للمزيد : http://en.wikipedia.org/wiki/Crime_in_Sweden

يقول الملحد : السويد دولة الرفاهة الاجتماعية .

وهذا نُسلِّم به ... لكنها تأتي في التصنيف العالمي بعد قطر والكويت .

بل وبحساب قيمة الضرائب الرهيبة التي تفرضها على مواطنيها والتي تبلغ قرابة 60% من دخل الفرد، فإن الدخل الحقيقي للفرد يصبح أقل كثيراً مما يبدو عليه ظاهرياً.

ويحصل العامل العادي في السويد على 40 ٪ من دخله بعد الضرائب، ولا تزال الضرائب في السويد قرب ضعفها في الولايات المتحدة.

والعجيب أن دولة السويد تُصنف على أنها واحدة من الدول الأعلى في معدلات الانتحار على مستوى العالم .

وطبقاً لمقال النيويورك تايمز " فإن السويد والدنمارك دول الرفاهة الاجتماعية، هما أصحاب أعلى معدلات انتحار في العالم"

well.blogs.nytimes.com/2011/04/22/happiest-places-post-highest-suicide-/rates

http://en.wikipedia.org/wiki/Suicide_in_Sweden

يقول الملحد: السويد تقريباً دولة ملحدة.

وهذا أيضًا خطأ شديد، حيث إنه طبقاً لإحصائية 2012 فإن 67% من الشعب السويدي مسيحيون، إلى جانب 5% مسلمون، 23% يؤمنون بوجود خالق، ونسبة ترك المسيحية بالفعل في ارتفاع ليس في السويد وحدها، وإنما في الاتحاد الأوربي كله، لأن الصورة التي تقدمها المسيحية للإله تجعل النسبة في ارتفاع باضطراد، وهذا لا علاقة له بالإلحاد الذي يتشوق إليه الملحد العربي، والذي يعني إنكار الصانع.

https://www.svenskakyrkan.se/default.aspx?di=978164

يكفي أن السويد ما زالت ملكية، والصليب هو رمز عَلمها الرسمي.

يقول الملحد : اترك كل هذا جانباً، يكفي أن السويد تستقبل اللاجئين وتفتح ذراعيها للجميع.

أولاً : هذا يدور في إطار المصلحة والنفعية المجردة، وأي دولة في العالم لا تفعل هذا الأمر من أجل سواد عيون المهاجرين، وإنما من أجل الربحية، ومن أجل تصدير صورة مشرقة لنظامها وحكومتها، فكندا تطلب قرابة 100 ألف دولار، وكذلك استراليا، وبعض دول الاتحاد الأوربي تشترط للحصول على جنسيتها قرابة نصف مليون يورو .

وللحصول على جنسية مالطا، يلزم دفع 650 ألف يورو إلى حكومة مالطا كمنحة لا تُرد ، وبلغاريا تعرض جنسيتها بمبلغ 500 ألف يورو، والنمسا تطلب استثمار 10 ملايين يورو في العقارات، وأرخص الجنسيات سان كيتس ب186 ألف يورو، وجنسية الدومينيكان ب 100 ألف يورو.

http://www.cnbc.com/id/101198433

ثانياً: السويد تقع في خانة الدول التي تُحَصِّل مبالغ من المهاجرين أكثر من تلك التي تصرفها عليهم، وبما يعادل الآف الكرونات سنويا، وفقاً لمنظمة التعاون والتنمية. OECD

وأوضحت دراسة حديثة أن مهاجري خمس دول أوربية فقط من أصل الـ 27 دولة يكلفون بلدانهم المضيفة مبالغ إضافية، تأتي ألمانيا التي تحتضن شريحة واسعة من المهاجرين في المقدمة، لكن حتى تلك الزيادة في التكلفة تُحسب بسبب معاشات التقاعد العالية التي تصرفها ألمانيا للقادمين من أوربا الشرقية بعد الحرب العالمية الثانية، إذ أوضحت الدراسة، أنه في حال جرى استثناء تلك المعاشات الضخمة من المبالغ التي تصرف على المهاجرين، فإن النتيجة ستكون زيادة مالية كبيرة في ميزانية المانيا.

/http://alkompis.se/news/swedish/6435

وفي السويد يدعو حزب سفاريا ديموكراتنا العنصري المعادي للأجانب ومنذ سنوات عدة إلى إجراء تحقيق حكومي في اتهامات تتعلق بالمبالغ المالية التي تتكلفها سياسة الهجرة في السويد.

الكبسولة السادسة و الثلاثون: كوة العلم التجريبي الضيقة

إن الاستبداد المعرفي للعلم الطبيعي التجريبي ولغلاة الموضوعية وضحايا التصور المغلوط للعقل، يسعى لإقناعنا بأن النطاق المعرفي للوجود المنطقي العلمي التجريبي هو أساس كل ما نحتاجه من حق، وأن كل معرفة تزعم الاتصال بغير ذلك النطاق أو تتخطاه مهما دعت الحاجة إليها وأقبل الوعي عليها، هي أساس كل وهم، ويجب أن نقتلها في مهدها أو أن ندير ظهورنا لها إن لم نقدر على قتلها.

لكن عندما نحت العلم كوته الضيقة الخاصة به اعترف بالعجز عن معالجة الأسئلة الناشئة عن صلة الوعي بمطلق الوجود- أسئلة النشأة والغاية والمعنى والقيمة والأخلاق وكل أسئلة لماذا-،ولم يكتفِ العلم بعجزه بل إن كهنته وصموا تلك الأسئلة بالفارغة والتي لا معنى لها، بل تم وصمها بالغير مشروعة، وهذه بعينها مغالطة الإستدلال بعدم العلم على العلم بالعدم، فإن حقيقة قولهم يمكن تصويرها هكذا: لما عجزنا عن معرفة الجواب جاز لنا أن نصف السؤال بغير المشروع والفارغ. لكن مع أدنى تأمل وتنزّل يتبين لنا أن هذه الإجابة تنطوي على مصادرة لأهم ما يميز ويشغل الوجود الإنساني بالكلية، وتنطوي على خطأ بيّن؛ فخبرة عالم العيش أوسع من خبرة عالم العلم ومشتملة عليها، ومن البديهي أن إثبات الأخص- العلم التجريبي- لا يلزم منه نفي الكل- أسئلة النشأة- بل إن العكس هو الصحيح، ولذا الذي يملك الدين يملك العلم والآخرة معًا، بينما الذي يرضى بظاهر من الحياة الدنيا لا يجيب عن شيء ولن يصل إلى شيء، {يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون} ﴿٧﴾ سورة الروم.

فمحاولة تبرير السكوت عن الأسئلة المطلقة الكبرى بحجة البحث في الوجود الخاص- العلم التجريبي- هو محض تحكم ورغبة في اليقين.

وكما قال فريدريك شوماخر-في جمع حافل من العلماء- " محاولة ضغط كل علوم عالمنا في قالب الفيزياء الحسية، سيتحول إلى لعنة يصعب الهروب منها، والأمر أشبه بمحاولة حصر دراسة عمل فني عظيم في دراسة المواد التي يتكون منها."

Schumacher, E., A Guide for the Perplexed, p.117

صدر مؤخرًا في (2012) كتاب لفيلسوف الوعي الشهير توماس ناجل Thomas Nagel بعنوان Mind and Cosmos: Why the Materialist Neo-Darwinian Conception of Nature is Almost Certainly False

والكتاب أثار ضجة في الأوساط العلمية والإلحادية، ويمثل ردة صريحة للفيلسوف عن كفاية المذهب الطبيعي؛ وفكرة الكتاب كما يظهر من العنوان: التدليل على قصور التصور المادي عن الطبيعة.

فالعلم الطبيعي ليس شيء موضوعي في الخارج نفزع إليه ونتوكل عليه متى شئنا، إن عبارة " العلم سيجيب عن ذلك" تلك العبارة التي يكررها الملحد في اليوم الواحد أكثر من مرة، أضحت عبارة مستهلكة بلا معنى، تعطي للعلم لاهوت مستقل، وتثبت تصرفًا مستقلاً للعلم فهو يُعز من يشاء ويذل من يشاء ويعطي ويمنع، وهذا تدليس من العيار الثقيل فليس العلم مرجع تام الحياد، ولا يمنح سلطان ذاتي إيجابي، فإدراك حقائق الأشياء في الخارج قاصر بقصور العقل البشري، وإلى اليوم نحن لا نعرف ما هي المادة فضلاً عن أي شيءٍ آخر.

يقول سير بيتر مداور Sir Peter Medawer في كتابه نصيحة للعالِم الصغير advice to a young scientist " لا شيء يُفقد الثقة في العالِم أكثر من ادعاؤه أن العلم يمكن أن يجيب عن كل الأسئلة يومًا ما."

العلم ذاتي وليس موضوعي

لا تخرج حالة العلم عن كونها محصلة لحالة من أحوال العقل، والعقل يتلبس بأحوال وتعتوره عوامل وثيقة الصلة بكيان الإنسان كله: حاجاته الجسدية، مطالبه الوجدانية، إملاءاته العاطفية، اتجاهاته الفكرية، إلى غير ذلك، وبالتالي يلزم من ذلك أن العلم الطبيعي يعتريه ما يعتري العقل من صروف وأحوال، فإذا أضفنا إلى ذلك الشاهد الكانطي الذي ذكرناه قبل قليل لزم من ذلك أن العلم الطبيعي عرض من أعراض العقل غير معصوم؛ وهو محصلة اجتهاد يتأثر بالاتجاهات العاطفية والمصالح الشخصية، والأهواء الذاتية، للعلماء والمؤسسات على حدٍ سواء.

وقد أحسن التطوري الكبير ستيفن جاي جولد حين قال" لم تصل السذاجة بنا إلى حد الإيمان بخرافة أن علماء العلم الطبيعي نماذج مثالية للموضوعية الغير متحيزة، أو أنهم منفتحون بدرجات متساوية على كافة الاحتمالات، أو يصلون إلى النتائج على قدر الدليل، نحن ندرك يقينًا أن التحيزات تعلب دورًا قويًا في عملية الاكتشاف."

Gould, S. J. (2000) Wonderful Life, p.244

تخيل انتماء عالم إلى جماعة ملحدة، وكيف سيؤثر ذلك على نتائج أبحاثه!

يقول عالم الاجتماع نوربرت إلياس Norbert Elias " مثل الناس الآخرين؛ العلماء مدفوعون في أبحاثهم بأغراضهم الشخصية، متأثرون إلى حد كبير بحاجات الجماعة التي ينتسبون إليها."

Elias, N., Problems of Involvement and Detachment, p.288

ولا تخفى علينا تصرفات ريتشارد داوكينز الصبيانية والذي نجزم أن مواقفه العلمية –إن كانت موجودة- تصب في اتجاه الترويج لمشروعه الإلحادي، وكذلك الأصبى منه لورانس كراوز شماس الكنيسة الإلحادية، بحضوره الدائم وتكريزه المستمر في المناسبات الرسمية وغير الرسمية.

وقد بسط القول في تأثير الإنتماء الفكري للعالِم على نتائج أبحاثه، مورخ العلوم الشهير توماس كون Thomas Kuhn في كتابه" بنية الثورات العلمية" وقام بالتأسيس لفرضية عبادة الشمس sun worship عند علماء الطبيعة المعاصرين، وقد أشار إلى أن العلماء الماديين لا ينفكون عن اختيارات تمليها عليهم ميولهم الذاتية وقناعاتهم المسبقة؛ نسوق هذا الكلام لنؤكد خرافة "وضوح وثبات واطراد مناهج العلم الطبيعي نتيجة استقلاليتها" وهذا لا يحتم علينا إلغاء الثقة بالعلم الطبيعي فهذا لا يقوله عاقل، وإنما خفض سقف توقعاتنا بشأن مصداقية النظريات التي ينتجها، وصحة أصول الفرضيات التي يتكيء عليها.

ولذا ينتهي فيلسوف العلوم ديفيد هل David Hull بعد سلسلة مقابلات أجراها مع العلماء ينتهي إلى حقيقة أن: " العلم الطبيعي ومنطقه النهائي يمكن تفسيرهما في ضوء ما يقع من تحيز وغِيرة ولا عقلانية."

Hull, D., Science as a Process, p.32

فالعلم الطبيعي لا يسير باتجاه خطي منتظم باطراد وإنما قفزات مفاجئة تقف وراءها عوامل نفسية واجتماعية كثيرة ورغبة في إخراس الأقران على حساب الحياد العلمي، وكما يقول ديفيد هل في موضع آخر من كتابه " مرة بعد أخرى يقول لي أحد العلماء عن عالم آخر ((سوف أُري إبن العاهرة نتائج أبحاثي)) ."المصدر السابق؛ ص353

ولذا يصل دومينيك فينك الباحث في علم اجتماع العلوم إلى نتيجة أن: " البحث العلمي ليس أكثر من مقاييس شخصية منحازة."

علم اجتماع العلوم؛ ترجمة: ماجدة أباظة، ص34.

فهناك دوافع لاشعورية تأخذ بناصية البحث العلمي بالكلية نحو الانحياز لجماعة ينتمي إليها العالِم؛ وهي دوافع ذات أصول مشتركة بين المؤمن والملحد.

وهذا ما أوضحته فيلسوفة الاتجاهات النفسية للعلم ماري ميجلي Mary Midgley في كتابها التطور كديانة Evolution as Religion

وهنا نعود فنُقرر أن العاطفة لا تنفك عن العقل، وأن العقل ليس مكافيء للعمليات الأيونية-تبادل أيونات الصوديوم والبوتاسيوم- التي تحدث في الدماغ، كل هذا يحرر استحالة انفصال الذاتي subjective عن الموضوعي objective.

الذاتية والموضوعية لا تنفصلان!

علينا أن نعلم أن الموضوعية ليست نقيض الذاتية وإلا ما اجتمعتا في النفس طرفة عين، وإنما صورة من صورها ومرتبة من مراتبها مثل أن اليقين درجة من درجات الظن.

فلا يوجد خندق فارغ بين العالم الذاتي والموضوعي، بل هما متداخلان إلى أبعد حد في النفس البشرية سواء نفس عالم أو عامي، بل إن الذاتية أصل الموضوعية وليس العكس، فنحن نقترب من الحقيقة ويمكن أن نصل إليها، وحين نصل إليها تكون مرتبة من الحقيقة تتلائم مع تركيب عقولنا، وكما قال كانط" إن الحقيقة تابعة لتركيب عقولنا."

تاريخ الفلسفة، يوسف مكرم، ص419.

فاتصالنا بالحقيقة يكون على الوجه الذي تأذن به بنية العقل، وهو وطيد الصلة بما ذكره ابن تيمية من استحالة مطابقة الحقيقة الذهنية للحقيقة الخارجية من كل وجه، وهذا لا يثبت نسبية كلية للحقيقة وإنما نسبية لطبيعة إدراك النوع الإنساني من جهة، وطبيعة الأشياء في حقيقتها من جهةٍ أخرى.

إذن إدراك العقل للعلم الموضوعي بطريقة كلية الحياد هو خرافة مَن يتبناها يجهل طبيعة العقل وطبيعة العلم؛ فنحن قد قررنا أن العقل لا يعمل كبرنامج حاسوبي صرف وإنما هو تداخل تام بين الفكر والعاطفة بحيث لا ينفصلان، ثم إن العلم الطبيعي لا يستقل بوجود خاص، وهو ليس أكثر من عرض من أعراض العقل، والعقل عرض من أعراض النفس، وبالتالي يعتريه من التدرج ما يستعصي على الحصر، ثم إن عالم الحياة سابق على عالم العلم كما فصلّنا، ثم عرجنا على الانفصام المتوهم بين الذاتي والموضوعي فرأينا أنهما أحوال للإدراك على مخبار مُدرج وفي قمة الموضوعية يكون استيعابنا للحقائق بالقدر الذي يأذن به العقل.

وأصل الصراع بين التنويريين والرومانسيين مرجعه إلى الصراع بين الذاتي والموضوعي فالرومانسيون يحاولون حماية الذاتية من جفاف الموضوعية، والتنويريين يتعاملون مع الموضوعية على أنها شيء مطلق متجاوز ترانسندنتالي.

لكن حدود العلم الطبيعي الموضوعي غير واضحة ومناهجه غير منضبطة، فمن المستحيل والحال هكذا أن نصِم العلم الطبيعي بالموضوعي فضلاً عن أن نصمه بالمطلقية المتجاوزة.

فتخوم العلم الزائف متداخلة بشدة مع تخوم العلم الطبيعي، فنحن إلى اليوم نكاد نجزم أن نظرية التطور علم زائف بلا دليل تجريبي واحد يدعمها ومع ذلك يعتبرها غيرنا علم حقيقي يمكن النقاش حوله.

ولذا يقول فيلسوف العلوم الكبير لاري لودان Larry Laudan " لكي نُحسب في عداد العقلاء علينا أن نُسقط من معاجمنا مصطلحات من مثل —علم زائف– و —غير علمي–؛ إنها تعبيرات جوفاء تقدم لنا خدمة عاطفية فقط."

The Demise of the Demarcation Problem in Physics, p.125

فمن الخانق التحكم في جنس العلم ومحاكمة جنس المعرفة بناءًا على فرضيات ومقدمات ظنية، مثل فرضية القابلية للتخطئة عن بوبر falsification وهذا نفس ما نادى به لاكتوس Lakatos فالغلو في تبني افتراضات لحدود العلم

الطبيعي ربما يحرم الانسان من طرق أكثر وثوقية للمعرفة، وهذا الأمر يتفق عليه الآن كثيرين من فلاسفة العلوم أمثال بول فيرابند ونيكولاس ماكسويل وغيرهم.

فمنهج العلم الطبيعي نفسه غير منضبط مما يجعل سؤال التمييز بين العلم الحقيقي والعلم الزائف ليس مطلب منطقي.

من المهم هنا أن نوضح أن الذي يضع مناهج العلم الطبيعي هو فلاسفة العلم الطبيعي وليس علماء العلم الطبيعي، فالذي يضع الأُطر الآن فلاسفة العلم وليس العلم ذاته.

وهذا يؤكد على حقيقة هامة وهي أن المنهج المعتمَد للعلم غير ذاتي؛ أي غير قادر على تبرير نفسه أو وضع أُطره بذاته بل يعتمد على شيء متعدي – فلاسفة العلم-، لوضع أُطره الذاتية وهذه نقطة ضعف قاتلة في المنهج العلمي المعاصر فهو يزعم المطلقية ويبرر لها من خلال شيء متعدي غير مطلق وهو فلاسفة العلم.

فكما فعل كارل بوبر من وضع معيار القابلية للتخطئة، وكما صنعت الوضعية المنطقية من وضع فكرة فحص المقولاتPeer Review؛ وهنا ننبه على الفرق بين التحقق verification والتخطئة falsification فالأول ألصق بالممارسة المنطقية الوضعية، ولكن لو طبقنا هذا القيد على نظرية التطور بما تحمله من استحالة التحقق verification فهو ما يجعلنا نؤكد طبقًا للمنهج العلمي ذاته على زائفيتها، ومع ذلك يصر غيرنا على حقيقيتها وهنا نؤكد على احتفاء التمييز بين الحقيقي والزائف.

والمدهش حقًا أن المنهج التجريبي لا يعترف بأية فرضية تستعصي أو تمتنع على الدليل، لكنه هو ذاته قائم على فرضيات من هذا القبيل، فلا يقوم المنهج التجريبي إلا على:

1- افتراض أن هناك في الخارج توجد أشياء مستقلة عنا تُسمى حقائق.

2- أن هذه الحقائق تستحق اهتمامنا.

3- أن هناك شيء يميز فهمنا لتلك الحقائق.

يقول الفيزيائي روبرت لافين" علماء الفيزياء يقومون على فرضية مسبقة أن العالم دقيق ومنظم، وأن أي فشل للعلم في تعزيز هذه الرؤية هو قلة إدراك بسبب عدم الدقة في إجراء القياسات الكافية."

كون متميز؛ ترجمة : عزت عامر، ص36.

وعالم الفيزياء الشهير بول دافيز Paul Davis يُسلم بمعقولية الكون قبل البدء بممارسة العلم كحقيقة خارجة مستقلة وتتيح نفسها للفهم بنفس المقدار.

لا يمكن تصور قيام علم تجريبي من دون إيمان مسبق بهذه الفرضيات السابقة، وكأن هذه الفرضيات في حكم القبلية البديهية A-periori التي لا يقوم علم تجريبي بدونها.

ثم قل لي: هل علوم مثل "علم النفس، اللسانيات، الاجتماع." هل تدخل في نطاق العلم الطبيعي أو العلم الزائف ؟ إن التمييز الحاد مستحيل وغير منضبط وفي مثالنا هذا ينهار . وحينها يصبح تخلف التناسب incommensurability بين ما هو علمي وما هو غير علمي حقيقة، ويصبح من الصعب تمحيص إحدى النظريتين في ضوء نظرية أُخرى.

بل إن العلم الطبيعي بأشخاصه وأدواته ومناهجه وغاياته ومؤسساته صار يمارس استبدادًا فظيعًا خاصةً عندما يدعي احتكاره لسلطة التمييز بين ما هو مشروع وممنوع في حق المعرفة، ولذا افتتح فيرابند كتابه Against Method بدعوى أن الأصل في العلم الطبيعي أنه فوضوي وغير منضبط بأصل، فلا وجود للنظرة العلمية كنموذج paradigm متماسك كامل في ذاته، منضبط تفسيريًا ووظيفيًا، بل تخومه كما فصلنا تتداخل بشدة مع تخوم العلم الزائف واللاعلم.

ضرورة فصل العلم عن الدولة

إن الفكرة التي نحاول أن نسوقها هنا هي أن تجارب الإنسان وخبراته أثرى وأغنى وأكبر من العلم الطبيعي، ولما كان العلم الطبيعي ليس جوهر بائن ولا مَلَكَة منفصلة، ولا يمكن عزله عن التحيزات البشرية والطبيعة الإنسانية القاصرة وتداخل العاطفة بالفكر، لما كان كل هذا! أصبح من العسير بمكان الحديث عن العلم الطبيعي كشيء مستقل في الخارج له مطلقية الحكم على الأشياء، أو أن المعرفة الحقة هي التي يتوفر عليها الإنسان بواسطة العلم الطبيعي فقط، فالتصور الصحيح للعقل يأبى تلك المصادرة، والتصور المغلوط للعقل هو الوحيد المنتفع بتصور مطلقية العلم.

ويرى نيتشه مثلاً أن السعي العلمي في قمة جبروته وحياديته هو سعي نحو مزيد من القوة لا مزيد من الحق، وأن البحث عن الحق هو مجرد وهم يخدع به المجتمع العلمي نفسه، فالواقع أن الجميع يبحث عن مزيد من القوة والعلو في الأرض، وربما في هذا قال تعالى {تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين} ﴿٨٣﴾ سورة القصص

فإعجاب كل ذي رأيٍ برأيه وحصر المؤسسات العلمية الحصول على المعرفة إلا من طريقها، هذا ما أسس لبؤس المعرفة في الغرب كما يطلق عليه فلاسفة العلوم، وربما فلاسفة المنطق الوضعي اليوم هم أحفاد المناطقة الذين انتقدهم شيخ الاسلام بن تيمية رحمه الله حين قال أن هؤلاء" ادّعوا أن طرق العلم على عقلاء بني آدم مسدودة إلا من الطريقين الذين ذكروهما، .. وادعوا أن ما ذكروه يوصل إلى العلوم التي ينالها بنو آدم بعقولهم، بمعنى أن ما يوصل لابد أن يكون على الطريق الذي ذكروه لا على غيره."

مجموع الفتاوى 9-174

فإن معنى تحكم المؤسسة العلمية التجريبية يؤدي إلى انتفاء القيمة عن العلوم التاريخية والاجتماعية والنفسية والشخصية، ولا معنى للحكمة ولا للبصيرة ولا للحدس ولا للخبرة الذاتية؛ إنه استبداد مريع لم نسمع عنه إلا إبان حكم الكنيسة على العلم واعتبار أن ما تملكه هو العلم وغيره الهرطقة.

وإن كانت في واقع الأمر حقيقة الصراع القديم بين العلم الزائف والدين الزائف لا بين العلم والدين كما يقول فيلسوف العلوم كن والبر

Wilber, K., Of Shadows and Symbols, p.20

إلا أن فكرة حصر العلم داخل المؤسسة العلمية هو استبداد لا معنى له .

والتصور الصحيح للعلم والعقل هو التصور الذي يستوعب كل معرفة تلامس احتياجاتنا، ولا يتعارض مع خبراتنا الثابتة، ومراعاة قيد"عدم التعارض" هو أقل المطلوب، وإلا فغاية المطلوب هو التكامل، لا مجرد عدم التعارض .

يقول فيرابند" العلم ليس تقليدًا موحدًا، ولا هو أفضل التقاليد الموجودة، إلا بالنسبة لأولئك الذين اعتادوا حضوره، وجربوا منافعه ومساوئه. في أي نظام ديموقراطي ، ينبغي فصل العلم الطبيعي عن الدولة مثلما تُفصل الكنيسة عن الدولة... إن الفكرة التي تقول أن المعرفة في العلم الطبيعي هي بطريقة أو بأخرى معرفة مميزة على نحو خاص، وأنها متحررة من اختلاف وجهات النظر، هي فكرة واهمة لا سبيل لتحقيقها."

.Feyerrabend, P. (2010) Against Method, p.249, 253

إن قابلية العلم لأن يتحول إلى أُسطورة أو أيديولوجية أمر تجاوز القابلية الآن وصار حقيقة واقعة.

العلم يؤدلَج ويؤدلِج لأنه يرتبط بأشخاص، وليس مرتبطًا بمُثل أفلاطونية، والعلم أسير المرحلة واللحظة التي تهيمن على سياقه التاريخي، وبالتالي أوضاعه المعرفية عرضة للإخفاق والظن والمغالطات والتخمينات والأساطير والخرافات ما يداني القدر الذي نقموا جنسه على أنواع الملل والديانات.

لكن المربك حقًا أنه لو تحولت الأصول العلمية إلى أساطير فإن وعي الكثيرين لن يستوعب ذلك وستتعرض الأفكار الجديدة لمحاربات من قِبل المجتمع العلمي.

مثلاً ظل نموذج بطليموس قرونًا طويلة سائدًا، وكلما اتسعت الاكتشافات يتم تكييف التفاصيل حتى تنضبط مع النموذج المعياري المهيمن لبطليموس- الأرض مركز الكون-، ويمكن في أي لحظة أن تعود النظرية للثبوتية فليس بمقدورنا أن نتيقن من هذا أو خلافه إلا برصد الظاهرة في علاقتها بالنظام برمته وهو متعذر.

المهم أن للعلم دجاجلته كما للوثنيات كهنتها؛ فبين وهم الفلوجستون phlogiston وكذبة البلتداون piltdown وأُحجية البانسبرميا panspermia وتزييف أرنست هيكل Ernest Haeckel وشطحة تيكتاليك tiktaalik

وتخرصات لورانس كرواس، بين كل هذا يقع العلم معترفًا بوجود كهنة مكرة في كنيسته وشمامسة أغبياء يروجون ويكرزون للسخافة بلا وعي.

يقول كارل بوبر علميًا" أبدًا لن نتيقن تمامًا من أننا لم نقع في الخطأ، وهذا يعني أننا لن نتأكد تمامًا أننا لم نُخطيء حتى لو اتخذنا أقصى قدر من الحذر."

كارل بوبر، بحثًا عن عالم أفضل، ترجمة: د. أحمد المستجير، ص14-15.

يقول الفيلسوف نورمان كامبل" العلم درس فكري خالص. غايته تلبية حاجة العقل لا حاجة البدن، إنه لا يروق لشيء كما يروق للفضول النزيه للإنسان."

Norman C. What is Science, p.1

فهنا كامبل يستبعد مسائل كالأخلاق والقيمة عن العلم وهو الحق الذي لا مرية فيه، والعلم هو مجرد خبرة مجتزأة من الخبرة الإنسانية، لا يجوز أن يخرج على هذا السياق ولا أن يتضخم.

يقول نورمان كامبل" يستحق رجال العلم الطبيعي القدر الأكبر من اللوم إزاء التخليط الذي نعترض عليه. لقد اعتادوا إلى حدٍ بعيد فرض استنتاجاتهم على مجتمع العوام والمترددين، إلى درجة أنهم مُعرَّضون لتخطي حدود ميدانهم الخاص، إنهم ينسون أحيانًا أنهم لم يعودوا خبراء فور مغادرتهم لمختبراتهم، وأنهم فيما يتعلق بالأسئلة الأجنبية على العلم لا يستحقون أن يحظوا باهتمام يفوق ذلك القدر الذي يستحقه غيرهم."

Norman C. What is Science, p.163

إن التداعيات التي خلفها المنهج ما بعد البنائي post-structuralist على التصور المألوف للعلم، والدرس الذي أعطاه لدعاة موضوعية العلم التجريبي لن يُنسى؛ فقد أكد المنهج ما بعد البنائي أن العلم يمتنع عليه سمة التفرد التي يدعيها في تحصيل المعرفة، فالعلم يقوم على فرضيات منهجية ووظيفية ودلائلية ونطاقية بحيث تجعل هذه الفرضيات من العلم شبحي المعطى لا يحق له الاستبداد tyranny بالمعطى المعرفي، أو ممارسة أي صورة من صور القوة، فيصدق عليه أنه مروية arbitrary narrative كسائر المرويات التي يؤلفها الإنسان عبر الأزمان.

Lakoff, G. & Johnson, M.(1999) Philosoohy in the Flesh, p.467

ويتكيء كل مُنظري العلم الطبيعي على النجاحات المحلية Parochial التي حققها العلم في نطاق وجودي محدود limited ontological sphere ، مما يجعل من اعتقادهم بموضوعية العلم مجرد دوغما واهمة، من أجل ذلك نادى جورج كونغليم Georges Canguilhem فيلسوف البيولوجيا الفرنسي إلى ضرورة إدخال مفردة" أيديولوجيا العلم" إلى معاجمنا.

Lakoff, G. & Johnson, M.(1999) Philosoohy in the Flesh, p.44

الخاتمة

فالعلم لا يُعطي إلا جانب ضيق جدًا من حقل المعرفة، وهو ليس موضوعي وإنما ذاتي يخضع للرؤية البشرية وتحلله القدرة البشرية، فعلى العلم أن يُنشيء ممارسته الخاصة وطريقة تواصله الخاصة ومجتمعه الخاص وجماعته الخاصة، لا أن يحتكر جميع الأوضاع المعرفية، ثم يدعي الموضوعية، وبل ويصِم غيره بالحدسية الغير منضبطه والغير معرفية! لذا فمطلب الألفية الثالثة هو عزل العلم عن الدولة.

فالخبرة العلمية قاصرة بقصور الإنسان وعاجزة عن استكناه ذاتها قبل غيرها، وغايتها الرصد وليس اختراق المرصود أو الحلول فيه لتبينه، لذا فمحاولة إصدار أحكام شمولية universalist- absolutist هو تصرف لا مبرر له، فمِن أين للإنسان البرهان الضروري على أن خبرته هي الأساس في فهم الأشياء؟

لذا يعبر القرآن الكريم على هذا الشعور الوهمي بقدرة الخبرة البشرية على إعطاء أحكام مطلقة يعبر عنه بلفظ السلطان authority {الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم } ﴿٣٥﴾ سورة غافر، فهذا التخويل المقترن بذلك السلطان يُمنح من سلطان يتجاوزنا، وليس شيئًا نمتلكه، {أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون} ﴿٣٥﴾ سورة الروم، فمجموع قيم هذا العالم لا تجد معناها إلا خارج هذا العالم لا داخله، لأنها في ذواتها أشياء اتفاقية- غير مقصودة-، والاتفاقي لا يبرر ذاته بذاته.

هذا المقال الهام والرائع من وحي كتاب ثلاث رسائل في الإلحاد والعلم والإيمان، لدكتورنا الحبيب عبد الله بن سعيد الشهري-حفظه الله-، مركز نماء للبحوث والدراسات، الطبعة الأولى2014 بكثير من التصرف.

الكبسولة السابعة و الثلاثون: رحلة المسيري مع الملحدين

ربما لا يعرف الكثيرون أن الدكتور عبد الوهاب المسيري– رحمه الله–، ظل قرابة ربع قرن مرافقاً للملحدين سواءً في مصر أو في أمريكا ، وظل بعدها ربعَ قرن كامل إلى أن توفي، وهو يحارب أفكارهم المريضة وشخصياتهم الشاذة ، فأوضح من خلال كتبه التشريح النفسي والفلسفي لشخصية الملحد ، وذكر الكثير من الأحداث التي جعلته يعلن الحرب عليهم ، ويكرس آخر 40 سنة من عمره لموسوعته العملاقة " اليهود واليهودية والصهيونية"، والتي خصص أول مجلد منها للرد على الملحدين .

ويرى الدكتور عبد الوهاب المسيري– رحمه الله– أن الملحد شخصٌ انتهازيٌّ يفقد الأخلاق والقيم مع الوقت بسرعة شديدة.

يقول في كتابه رحلتي الفكرية ص 140 : " وكنت قد بدأت ألاحظ أن السلوك الشخصي للرفاق (الملاحدة) كان متناقضاً مع أي نوع من أنواع المثاليات الدينية أو الإنسانية، وأن كمية النرجسية عند بعضهم كانت ضخمة للغاية، والحريات الخُلقية التي كانوا يسمحون بها لأنفسهم كانت بالفعل كاملة ، أي في واقع الأمر كانوا شخصيات نيتشوية داروينية لا علاقة لها بأية منظومة أخلاقية، خاصة أن ماركسية بعضهم كانت تنبع من حقد طبقي أعمى، وليس من إيمان بضرورة إقامة العدل في الأرض ، بل كثيرًا ما كنت أشعر أن بعضهم كان ماركسياً بحكم وضعه الطبقي وحسب، وأنه لو سنحت الفرصة أمامه للفرار من طبقته والانضمام للطبقات المستغلة الظالمة لفعل دون تردد ولطلق ماركسيته طلاقاً بائنًا، لكل هذا قدمت استقالتي وطلبت أن أُعد من أصدقاء الحزب لا من أعضائه.

بعد خروجي من الحزب اعتُقِلت إحدى طالباتي بتهمة الشيوعية، وكانت متزوجة من أحد الرفاق وبدأ زوجها يغازل أعز صديقاتها – وكانت هي الأخرى إحدى طالباتي –، فنهرته وطلبت منه أن ينتظر على الأقل لحين الافراج عن زوجته رفيقته في النضال ، فلم يستمع إلى النصيحة ولكن حين خرجت زوجته من السجن طلقها وتزوج من صديقتها بطريقة داروينية لا علاقة لها باحترام الانسان ، وحينما جاءتني طالبتي تشكو مما حدث (وكانت دائما تسخر مني لنزعتي الاخلاقية) قلت لها ساخرا لقد خدمتِ المرحلة السابقة ، أما المرحلة اللاحقة فهي تتطلب زوجة جديدة، فانفجرت باكية ولم أكن أقصد أن أجرح شعورها ، وإنما كنت أحاول أن أُبين لها أن المنطق الدارويني النيتشوي يؤدي إلى مثل هذه المواقف غير الإنسانية، وأن المنطق الذي تبنته في الماضي لا يتعارض مع ما حدث لها.

ومن أطرف القصص التي رواها أحد الرفاق السابقين الفلسطينيين ما حدث له مع مجموعة من التروتسكيين حضروا إلى معسكر تدريب الفدائيين ، وبادروا صديقي بالسؤال عن إطاره النظري ومنطلقاته الفلسفية ونقط ارتكازه العقلية، فاحتار صديقي ولكنه أخبرهم بأنهم في هذا المعسكر يؤمنون بالكفاح المسلح ، ثم أضاف أنه يمكنهم أن يشاركوا بأنفسهم في

عملية عسكرية في اليوم التالي، ثم أعد صديقي الماكر عدة سيارات لهم وتقدم الموكب نحو منطقة جبلية، ثم بدأ الرصاص ينهال عليهم بتدبير سابق وبطبيعة الحال لم يصبهم سوء ، ولكن كما أخبرني صديقي فقد تصرف التروتسكيون مثل أي بشر أي اختبئوا تحت السيارات ولكن ما فاجأه هو أن كل واحدٍ منهم بدأ يتلو أدعية دينية ويطلب العون من الله .

ويحدثنا الدكتور المسيري عن رحلته إلى أمريكا يقول في نفس المصدر السابق ص171 أنه كان يرأس مجموعة المنتدي الاشتراكي وكان وكيله كافين رايلي – وكافين رايلي المؤلف الأمريكي الشهير صاحب كتاب الغرب والعالم –، يقول المسيري أنه بعد أن ترك أمريكا وترك الحزب ثم عاد إليها في السبعينات وبدأ يسأل عن أعضاء الحزب فاكتشف الآتي : " أحد أعضاء الحزب كان يتناول حبوبًا مهدئة بشكل غير عادي، وحاول أن يقتل زوجته ثم انتحر، ريتشارد فريدمان طور جهازاً يسمى علب الأورجون لاصطياد الأشعة الكونية المعنية بالطاقة الجنسية ثم عاش وحيداً وانقطع عن الناس تماماً، جون سواتسكي بدأ في تهريب المخدرات بين أمريكا والمكسيك فقبض عليه وأودع السجن، أما ساره ستاينبرج زوجة طبيب أسنان محارب في فيتنام فقد طلقته وأحبت شاباً من النوع الصادي مازوخي لم يبادلها الحب فظلت تطارده وفي النهاية انضمت إلى جماعة weathermen الإرهابية اليسارية، أما داني فقد تهود تمامًا وانغمس في العبادة ، وكان يعلق صورة المسيح في دورة المياه ، أما فريدريك ميللر فقط انقلب رأساً على عقب وصار يميني متطرف."

يرى المسيري أن تجربته مع الملحدين قد أعاقت تطوره الثقافي بعض الوقت، فهو كان ينظر للعالم والإنسان والتاريخ نظرة اختزالية مبتسرة، لكنه بحمد الله خرج من التجربة سالماً ساخطاً على الإلحاد والملحدين.

الكبسولة الثامنة و الثلاثون: معضلة الشر

يقول الملحد " لو افترضتم أن هناك تصميم في الطبيعة، فهناك أيضًا شر وبلاء وإشكالات ."

الرد:

للتصميم أو بلغة السلف: الصنعة أو أثر الصانع، ثلاثة أركان:

الركن الأول: التنظيم organization وأحد اعترافات الملحد الشهير كارل ساغان أن مظاهر النظام في الكون لا تخفى.

الركن الثاني: التعقيد complexity ، فكلما زاد التعقيد كان دليلاً على التصميم، وهذا يُقر الملحد بوجوده أيضًا.

الركن الثالث: الغاية purpose وهو ركن النزاع بين الملحد والمؤمن.

ودليل الغاية يشير إليه الماديون بالوظيفية function هربًا من إلزامات دلالة الغاية.

هذه الأركان هي أحكام مُنتزعة من العالم المادي، أحكام معرفية. والشيء المادي يظل عديم المعنى حتى يتحول إلى معرفة، والمعرفة مفتقرة إلى كائن عاقل، إذن وعينا يتصل بطبيعة معرفتنا عن الموضوع المادي الذي سنعرفه قبل أن نعرفه، فهناك عالم الخبرة الواعية القائمة بذات الإنسان من حيث هو كائن مدرك؛ هذا العالم شيء إضافي مستقل وجوهري في إدراكنا للغاية وليس جوهريًا على الإطلاق بل وبلا معنى لو كنا أبناء المادة.

والعالم المادي يشتمل على متشابه ومُحكم، فكما أن في الكتاب المسطور " متشابه قرآني تنزيلي" فإن في الوجود المادي المنظور متشابه تكويني عيني، فالأول في الآيات المتلوة والثاني في الآيات المشاهدة، والفرق بين الملحد والمؤمن أن الثاني يرد المتشابه إلى المحكم في الآيات المتلوة والمشاهدة، والأول يرد المحكم إلى المتشابه، وهنا يتجلى البُعد النفسي في أعمق وأغمض مستوياته.

والقرآن لا ينفي وجود متشابهات بل يُثبتها، إنها موجودة في الآيات المتلوة والمشاهدة، لكن أثرها بحسب إدراك الملاحظ وحظه من استخدام عقله والرجوع لبديهياته والتسليم لوجدانه وفطرته، فالذين في قلوبهم زيغ بغير سلطانٍ أتاهم يتبعون المتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، أما المقاومون لحظوظ ذواتهم فينجذبون للمحكم، ويطمئنون إليه ويقولون في المتشابه {كل من عند ربنا } ﴿٧﴾ سورة آل عمران.

فالعالَم سيظل مفتوحًا لتأويل غير إيماني وتأويل إيماني، يقول وليام دريز William Drees : " إن كان للصورة العلمية أن تتغير في المستقبل فإن كل نسخة جديدة ستتيح نفسها لقراءة دينية، ولكن أيضًا لقراءة إلحادية، إن الكون ذو دلالة دينية مزدوجة."

.Dress, W., Beyond the Big Bang Quantum Cosmologies and God, p.26

وفلسفة الإلحاد ككل تقوم على إحالة المحكم إلى المتشابه، فإذا قدّمت للملحد أدلة قاطعة على التصميم الدقيق لحظة الخلق الأولى والمعايرة الدقيقة للكون والشروط الأولية، فإن الملحد يحيلك إلى المتشابه ويخبرك عن انفجارات في قلب المجرات.

وأصل استشكالات الملحد مُركبة من افتراضات وخيالات، فهو يُحيل في العادة إلى ما لم نُحط بعلمه فصار إلحاده قائمًا على ثغرات وفجوات معرفية.

يقول ابن الوزير اليماني: " فسبب الشك والكفر: هو النظر في المتشابهات، التي لم يحط البشر بها علمًا، ولا عرفوا تأويلها." العواصم (214/1).

لكن فلسفة المؤمن تقوم على إحالة المتشابه إلى المحكم والتسليم بشواهد الإحكام والنظام، وشخصيات هذه الفئة هم الغالبية الساحقة من البشر عبر كل العصور وهو منهج البشر في الجملة.

يقول ابن القيم رحمه الله: " وعسى أن يكون في ذَنب الدابة حكم آخر تقصر عنه أفهام الخلق، ويزدريه السامع إذا عُرض عليه، فإنه لا يعرف موقعه إلا في وقت الحاجة."

مفتاح دار السعادة 2-669

ويقول في موضع آخر : " ما حكمة هذا النبات المبثوث في الصحاري والقفار والجبال التي لا أنيس بها ولا ساكن، وتظن أنه فضلة لا حاجة إليه ولا فائدة من خلقه."

ولما انتهى رحمه الله إلى ذلك التمس رد المتشابه إلى المحكم فقال: " وهذا مقدار عقلك ونهاية علمك، فكم لباريه وخالقه فيه من حِكمة وآية من طعم أوحش وطير ودواب مساكنها حيث لا تراها تحت الأرض وفوقها، فذلك بمنزلة مائدة نصبها الله لهذه الطيور والدواب تتناول منها كفايتها ويبقى الباقي كما يبقى الرزق الواسع الفاضل عن الضيف لسعة رب الطعام وغناه التام وكثرة إنعامه." المصدر السابق 2-649

ويقرر ابن الجوزي رحمه الله منطقية رد المتشابه إلى المحكم فيقول" ولو قيل للعقل: قد ثبت عندك حكمة الخالق بما بنى، أفيجوز أن يقدح في حكمته أنه نقض؟ لقال : لا؛ لأني عرفت بالبرهان أنه حكيم، وأنا أعجز عن إدراك علل حكمته، فأسلم على رغمي ، مقرًا بعجزي."

صيد الخاطر، 79.

ويقول أيضًا: " فأما من يقول : لم فعل كذا؟ وما معنى كذا؟ فإنه يطلب الإطلاع على سر الملك، وما يجد إلى ذلك سبيلاً، لوجهين: أحدهما: أن الله تعالى ستر كثيراً من حِكمه عن الخلق. والثاني: أن ليس في قوى البشر إدراك حِكم الله تعالى كلها فلا يبقى مع المعترض سوى الاعتراض المخرج إلى الكفر {من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة

فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ} ﴿١٥﴾ سورة الحج، والمعنى: مَن رضي بأفعالي، وإلا، فليخنق نفسه، فما أفعل إلا ما أريد."

المصدر السابق، ص 368- 369

يقول ديكارت في كتابه التأملات: " ليس لدي أدنى سبب يجعلني أتذمر من أن الله لم يمنحني قدرة أعظم على الفهم، أو أنه لم يهبني نورًا طبيعيًا أكثر مما وهب، فمن الطبيعي أن تظل هناك أشياء غير مفهومة بالنسبة لفهم محدود، ومن الطبيعي أن يظل الفهم المخلوق محدودًا، عوضًا عن هذا، يتوجب علي أن أشكر له أنه لم يجعلني مدينًا له بقدر كرمه عليّ، بدلاً من أن أظن به أنه أخفق في إعطائي، أو أنه أخذ مني تلك الأشياء التي لم يعطني إياها في الأصل."

.Descartes, R., Meditations and Other Metaohysical Writings, p.49

وإضافةً إلى ما سبق وتكلمةً للفائدة في هذه النقطة–معضلة الشر– التي يُكثر الملحد الحديث حولها فإنني أقول أن: الشر والمتشابه هما أكبر دليل على وجود الله !

فالخير والشر موجودان وشاء الله وجودهما .... امتحانًا واختبارًا

{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} [الأنبياء : 35]

{الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ] [الملك : 2]

إذن الخير والشر موجودان لأننا في دار امتحان ...

لكن لماذا نقول أن الشر أكبر دليل على وجود الله ؟

لأن الشر أصلاً غير مُستوعب وغير مُدرك، إذ لو كان الإنسان ابن الطبيعة أو ابن المادة، وتجري عليه قوانين الطبيعة الحتمية، فلن يدرك وجود الشر، ولن يستوعب ماهية الشر ولا معنى كلمة شر، فهل تُدرك أكثر الحيوانات تطورًا – طبقا للداروينية – معضلة الشر ؟

فاستيعاب الشر يعني أننا لسنا أبناء هذا العالم وأننا نبحث عن عالم كلي الخير وفي هذا الحُجة الأولى والأقوى للدين ..

فالإنسان لو كان ابن الطبيعة وتسري عليه قوانين الطبيعة فلن يوجد في الطبيعة شر ولا خير ولا قداسة ولا نجاسة، فالطبيعة حتمية تحكمها قوانين صارمة، عندنا حامض وقاعدي ... نضيفهم في المعمل .... تكون النتيجة ملح وماء ... لو تكررت هذه التجربة مليار مليار مرة لن تتغير ... قوانين حتمية ..

الآن المحلد يقول لا لا لا .... يمكن ان تكون النتيجة عسل أبيض وليس ملح وماء ... ثم فجأة يكتشف العسل أنه المفترض أن يصير ملح وماء فيعرف خطأه الشديد ويندم ..!!

هذا هو السيناريو الذي يدعمه الملحد عند طرح فكر الشر والمفترض أن نُصدقه والمطلوب أن نُسايره .!!

مشكلة الربوبي والملحد أنهما يعترفان بوجود الشر، ووجود المتشابه، ويعترفان أن وجوده مُعضلة، ولا يملك تحليل معضلة الشر إلا الإطار الديني فهو الوحيد الذي يُقدم التفسير ...

يقول المفكر الأيرلندي كليف لويس " وقد كانت حُجتي ضد الله أن العالم بدا في منتهى القسوة والظلم .. ولكن كيف حصلت على مفهوم الظلم والعدل هذا ؟

إن المرء لا يصف خطاً بأنه غير مستقيم إلا إذا كانت لديه فكرة ما عن ماهية الخط المستقيم .. فبماذا كُنت أُقارن هذا العالم لما دعوته غير عادل ؟

وإذا كان العرض كله سيئًا وتافهًا من الألف إلى الياء إذا جاز التعبير، فلماذا وجدت أنا نفسي في ردة فعل عنيفة هكذا تُجاهه، مع أني من المفترض أن أكون جزءًا من العرض ؟

إن الإنسان يشعر بالبلل عندما يسقط في الماء، لأنه ليس حيوانًا مائيًا، أما السمكة فما كانت لتشعر بالبلل.

وكان من شأني طبعًا أن أتخلى عن مفهومي للعدل بمجمله بقولي إنه ليس شيئًا سوى فكرة خاصة من بنات أفكاري، ولكن لو فعلت ذلك لانهارت أيضًا حجتي ضد الله، لأن رُكن تلك الحجة كان القول بأن العالم غير عادل فعلاً وليس فقط أنه لم يصدف أن يُرضي ميولي .

وهكذا ففي محاولتي إثبات عدم وجود الله، تبين لي في ذلك الفعل ذاته حقيقة وجوده، لأن الإنسان بإنكاره وجود العدل في فعلٍ ما يُرغم على التسليم بوجود مفهوم العدالة، وبناءًا على ذلك يتبين أن الإلحاد ساذج جدًا.

ولو كان الكون كله عديم المعنى لما كان قد تبين لنا إطلاقًا أنه عديم المعنى .

فالوضع شبيه تمامًا بهذا : لو لم يكن في العالم نور، ولم تكن في العالم مخلوقات لها أعين لما كُنا نعرف قطعًا أن الظُلمة مسيطرة ولكانت الظُلمة كلمة عديمة المعنى .."

إذن الشر هو أكبر دليل على أننا لسنا أبناء هذا العالم... وأن المقدمة الدينية هي الوحيدة التي تملك التفسير والمعنى والقيمة..!!

الجزء الأول من الرد من وحي كتاب ثلاث رسائل في الإلحاد والعلم والإيمان، د. عبد الله بن سعيد الشهري

الكبسولة التاسعة و الثلاثون: خرافة الهيومانية بديلاً عن الدين

هل يمكن أن تحل الهيومانية Humanism – الإنسانية – بديلاً عن الدين ؟

هل يمكن أن يحيا الجنس البشري بلا دين ؟

هل يمكن التأسيس للقيمة والمعرفة والغاية والأخلاق في غياب الإله ؟

لقد عاش الجنس البشري آلاف السنين تحت تأثير الدين، واستطاع الدين أن يوفر جميع أوجه الحياة الأخلاقية والقانونية والعقائدية وحتى اللغة، ومن ثَم فمن حقنا أن نتساءل عما إذا كان من الممكن إنتاج جيل ملحد إلحادًا كاملاً ؟ لكي تنجح هذه المحاولة لابد من التنشئة في عزلة تامة عن كل دين وعن كل فن وعن كل دراما للوجود الإنساني، وإلغاء كل ما يمكن أن يَستحضر النشء أمامه من رؤيا لعالم آخر، وبالتالي إلغاء جميع الأعمال الفنية التي تُصور صراع الإنسان في العالم وتطلعه لعالم أفضل، لأن كل هذه الأمور ستؤدي إلى شعور الإنسان بالإغتراب في هذا العالم، وهو شعور ميتافيزيقي روحاني بحت .

في الواقع هذا أمر صعب في الوقت الراهن لأن الملحدين يعيشون في ظلال الدين، ويمكننا أن نزعم أن كل أخلاق الملحد هي مجرد تأثر بالدين ومبادئه الأخلاقية الأساسية، بطريقة صامتة غير محسوسة ولكنها ثابتة، فقد تربى الملحد في ظلال الدين عشرات السنين وهو في نقده للدين يتأثر بأخلاق من ينتقدهم، – إن جوهر الإنسان في أخلاقياته وليس في طبيعته المادية هذه حقيقة ثابتة–.

إن أخلاق الملحد هي عطية الدين هكذا علينا أن نزعم إلى أن ينشأ مجتمع إلحادي كامل.

لكن بعيدًا عن زعمنا، سنحاول أن نتصور تصورًا إبستمولوجيًا – معرفيًا– مجرد صورة مبسطة للقيمة والأخلاق من منظور مادي إلحادي مُجرد بناءًا على رؤية الملحدين أنفسهم .

أثبت فلاديمير لينين – مؤسس الدولة البلشفية الملحدة– أن الأخلاق خدعة ميتافيزيقية، وقرَّر فريدريك إنجلز– أبو النظرية الماركسية – في كتابه "أصل العائلة والدولة والملكية الخاصة"؛ أن النظام الأُسري نظام برجوازي، وأن شيوع النساء وإلغاء منظومة الزواج هو الحل الأقرب لروح الإلحاد المادي.

لكن لماذا لا نكون أكثر تفاؤلاً وأكثر تنزلاً، ونفترض أنه تم التأسيس للمجتمع الإلحادي الكامل بناءًا على أخلاق مثالية!، أخلاق كاملة كالتي نادى بها الدين، أخلاق أصلية واضحة وراسخة في الذهن البشري!

لكن في هذه اللحظة على دعاة الإلحاد أن يطلبوا من الناس مزيدًا من المثالية والتضحية، ربما أكثر مما طلب أي نبي من قومه بإسم الدين، فليس ثَمة إغراءات ماورائية، وليس ثمة تطلع أُخروي يبرر التضحية والإلتزام بالمُثُل العليا التي هي جوهر القضية الأخلاقية! وكما يقول المفكر الإنجليزي جون لوك " إذا كان كُل أمل الإنسان قاصرًا على هذا العالم، وإذا كنا

نستمتع بالحياة هنا في هذه الدنيا فحسب، فليس غريبًا ولا مجافيًا للمنطق أن نبحث عن السعادة ولو على حساب الآباء والأبناء."

إنها معضلة وأي معضلة؛لكن سنتنزل مرةً أُخرى ونتصور أنه تم التاسيس للمجتمع الإلحادي الكامل، ونتصور أن هؤلاء الملحدين قرروا التضحية وتبني نموذج أخلاقي، إمعانًا في تحدي مجتمع المؤمنين، وقرروا أن يتركوا الشر والظلم، وقرروا أن يلتزموا بالأخلاق المثالية، هنا ستظهر المعضلة التي بلا حل، فداخل العالم الإلحادي لا يوجد معنى مادي للشر أو الظلم، فالشر أو الظلم هو وضع الشيء في غير محله، ومحل الأحداث في عالم الإلحاد المادي، هو نفس المحل الذي تحدده القوانين الفيزيائية، و بما أنه لا توجد ذرة تخالف تلك القوانين، إذن كل حدث في الكون المادي قد وُضع في محله المادي، ولذلك المفترض ألا يوجد في المجتمع الإلحادي ولا في الكون المادي ظلم أو شر.

فالإنسان مُستَوعب تماما في الطبيعة، قوانين الطبيعة هي قوانينه، تسري عليه الحتمية المادية الفيزيائية بمنتهى الأداتية المعرفية، فلا يمكن الاستقلال برؤية متجاوزة أو مغايرة لما تفرضه المادة، وإلا لاعتبرنا أن للإنسان أصل آخر ومقدمة أُخرى وانهار الإلحاد.

أيضًا العقل مادة مُتلقية طبيعية لا تتجاوز هذا الإطار، والحالة النفسية الحاكمة في النموذج الإلحادي هي حالةً نفسيةً للمادة وليس للروح، وبالتالي لا يمكنُها أن تُخَطِّئ حالةً ماديةً أخرى,فحتى تناطحُ الذراتِ هو تصرفٌ لا خطأ فيه ما دام موافقًا للقوانين الفيزيائيةِ الصحيحة.

وطبقًا لهذه الرؤية الإلحادية المادية الحتمية فإنه في المرحلة التالية سيتنازل الإنسان عن مركزيته، فالإنسان من منظور مادي إلحادي ليس هو المركز بل المركز هو الطبيعة المادية وقوانينها وحتمياتها، وبالتالي سيحل محل مركزية الإنسان مركزية الطبيعة باعتبارها المطلق الأول، وهذا يعني انهيار المشروع الهيوماني (مشروع الإيمان بالإنسان) وبذا يُصفَّى الإنسان على حد تعبير الدكتور عبد الوهاب المسيري لحساب الطبيعة، وسيتم استيعابه تمامًا ويسقط في هيمنة المادية الحتمية، ويصبح أي حديث عن الإنسان أو قيمه أو مركزيته هو حديث ملوث ميتافيزيقيًا، ويتحول الإنسان إلى حيوان مادي مجرد ويعود للصراع الدارويني الذي دخل به التاريخ

وفي هذا الإطار المادي التجريدي يصبح الحديث عن الهيومانية لغو فارغ، وتتحول الشعارات إلى سخافة لا معنى لها، فما معنى حماية المعاقين أو المرضى الوراثيين أو تقديم يد العون لهم ؟

إن محاولة من هذا القبيل تأتي ضد الإنتخاب الطبيعي والبقاء للأصلح، وإذا كانت الرؤية الداروينية هي الرؤية الصحيحة وكانت حتمياتها هي الأصل الثابت فلن يستوعب الإنسان أصلاً فكرة حماية المعاق أو تقديم يد العون للضعفاء، بل إن تعقيم المعاقين – منعهم من الإنجاب– هو الحل الدارويني الأمثل والأوحد.

أيضًا في الإطار المادي الحتمي الإلحادي كيف تتم المناداة بمفهوم الإنسانية الهيومانية، في عالم يحكمه البقاء للأصلح؟ بل إن أية محاولة لمعاندة هذا الإطار المادي هي محاولة فاشلة؛ لأنها تأتي ضد التطور وضد قوانين الحتمية المادية التي تسري على الوجود.

يقول الدارويني جيمس هِلْ James J. Hill " إن الثروات تُحَدَد تبعاً لقانون البقاء للأقوى ". - Martin, James J. -Hill pp 414-15

ويقول تايل Tille " من الخطأ الشديد مجرد محاولة منع الفقر أو الإفلاس أو مساعدة الضعفاء أو محدودي الإنتاج .. مجرد مساعدة هؤلاء خطأ جوهري في النظرية الدروينية، لأنه يتعارض أساساً مع الإنتخاب الطبيعي natural selection وهو جوهر الداروينية ". - Williams, Raymond. 2000. Social Darwinism. In Herbert Spencer's Critical Assessment. John Offer.-

وطبقا لهربرت سبنسر Herbert Spencer فإن " فكرة وسائل الوقاية الصحية وتدخل الدولة في الحماية الصحية لمواطنيها وتلقيحهم تعارض أبسط بديهيات الإنتخاب الطبيعي، وكذلك مساندة الضعفاء أو محاولة حماية المرضى والحرص على بقائهم."!!- Social Status, p.414-415 -

هذه هي الصورة التي يتيحها الإلحاد المادي، إنها المعادلة المستحيلة .. يستحيل أن يتم التأسيس للأخلاق داخل المنظومة المادية، لا يوجد داخل العالم المادي الهيوماني ما يُفرح الإنسان أو يسليه، أو يؤسس لقيَّمه أو يؤسس لمبادئه أو يؤسس لأخلاقياته، يستحيل أن يوجد داخل المنظومة المادية ما يجعل الإنسان إنسانًا .

فالأخلاق والقيمة تمثلان ثغرة في النظام الطبيعي، فالأخلاق ثغرة معرفية كبرى في النسق الكوني، ولذا لا يمكن إخضاعها لقوانين الطبيعة وحتميات ماركس التاريخية، أو حتميات داروين العضوية أو حتميات دوركايم الإجتماعية، هذا الاختلاف بين الأخلاق والطبيعة يُعبِّر عن نفسه في الاختلاف بين المؤشِّر في العلوم الطبيعية والمؤشِّر في العلوم الإنسانية.

فالأخلاق تسير عكس الطبيعة أو بمعنى أدق لا علاقة لها بالطبيعة، فالأخلاق ثغرة في الزمان فهي نتاج خلق والله خلقها كاملة لأن الله لا ينتج ولا يشيد وإنما يخلق، وهذا يؤكد أصالة ظهور الإنسان .

فالأخلاق عقليا غير مربحة بل ضارة بل هي أكبر عبء على صاحبها وقد تساءل ماندفيل Bernard mandeville أستاذ علم الأخلاق الإنجليزي ما أهمية الأخلاق لتقدم المجتمع والتطور الحضاري ؟ وأجاب ببساطة : لا شيء بل لعلها تكون ضارة .

ولذا فالأخلاق لم تتم البرهنة عليها عقليًا إلى الآن، والأخلاق والدين هما أقدم الأفكار الإنسانية ثُرًا وقد ظهرا سويًا مع الإنسان كل هذا يؤكد أصالة الظهور الإنساني وغائية الأخلاق التي يحملها، إنها اللحظة التي صنعت عصرًا جديدًا.

إن الإنسان يتحرك في الحياة وهو يعلم يقينًا أنه ليس مُفصل على طراز داروين، ولذا يرفض باستمرار إلحاح العلم المتزايد على أن الجنس الأبيض أفضل من الأسود، أو أن إبادة المعاقين والضعفاء خيرٌ للجنس البشري، أو أن الإنسان حيوان مادي، وهذا يؤكد أن الإنسان لا يستطيع أن يرفض التكليف الإلهي بداخله، وأن الإلحاد لا يصلح لتحليل ظاهرة الوجود الإنساني!

وتأتي النزعة الهيومانية الإنسانية الجديدة كتوكيد عجيب على هذا الأمر، فهي تستقي مباديء غير مادية وغير علمية، تؤسس بها لمفاهيم مستقلة عن الوجود المادي، وتؤكد بها أن الإلحاد يرفض أن يكون إلحادًا، وأن الملحد في قمة إلحاده يترفع عن المادية الحتمية، ولذا لنا أن نتساءل: إذا كان الله غير موجود كما تزعمون، فلماذا التمحك في ظلاله؟

لماذا محاولة التأسيس لفلسفة هيومانية ملوثة ميتافيزيقيًا؟

إذا كان الإنسان ابن المادة ومن المادة وإلى المادة، فلماذا الحديث عن سموه أو قيمته أو مركزيته ؟

إن الهيومانية هي توكيد متزايد على أن الإلحاد لا يصلح لتحليل ظاهرة الوجود الإنساني، وأن الإلحاد شيء والإنسان الروح والجسد شيء آخر تمامًا.

لقد حاول كهنة المادية الإلحادية الغربية بعيدًا عن هذه الرؤى الميتافيزيقية، تحليل ظاهرة الوجود الإنساني، فوجدوا أن الإنسان لا يعدوا كائن طفيلي لا يوجد ما يُميزه، ولذا فقد ظهرت دعوات تعميمية تُنادي بإلغاء التفرقة بين البشر والحيوانات والحشرات، بل والنبات، ومحاكمة كل من يتعرض للفيروسات أو دودة الأرض، لأنه بيولوجيًا لا فرق بين الإنسان ودودة الأرض فكلاهما على نفس الدرجة من التطور النوعي.

يقول كريستوفر مانيز christopher manes " لا يوجد مستند لرؤية البشر ككائن أرقي من غيره." christopher manes , the green rage There is no basis for seeing humans as more advanced or developed than any other species

وفي سويسرا ظهرت قوانين عدم إذلال النباتات. -- http://planetsave.com/2008/10/18/switzerland-places-ban- - on-the-humiliation-of-plants

ويقول بيتر سنجر الأُستاذ بجامعة برينستون princeton university " حياة رضيع ليست أغلى داروينيًا من حياة شبمانزي أو خنزير." -- http://www.lifesitenews.com/news/princeton-professor-singer-and-i-repeat-i- - would-kill-disabled-infants

و يقول الدارويني الأمريكي james lee " يجب تقليل عدد البشر قدر الإمكان، يجب إيقاف الزواج وقتل الرُضع" وقد اتخذ هذا الدارويني وسائل حقيقية لقتل البشر باعتبارهم طاعون، وحيوان طفيلي فاسد، وفي سبتمبر 2010قُتل جيمس

لي حين اتجه إلى موقع قناة ديسكفوري وأخذ ثلاث رهائن وكان معه بعض القنابل، إلا أن الشرطة لم تمهله وأردته قتيلاً، قبل أن يُنفذ مخطط الداروبني.–-http://abcnews.go.com/US/gunman-enters-discovery-channel-headquarters-employees-evacuated/story?id=11535128

يقول فرانسيس فوكوياما في كتابه الأشهر نهاية التاريخ: "حقوق الانسان لها مشكلة فلسفية عميقة إذ لابد أولاً أن نفهم الإنسان قبل أن نبحث في حقوقه، نفهم طبيعة الإنسان، فالعلوم الطبيعية الحديثة تشير إلى أنه ليس ثمة فارق بين الانسان والطبيعة، وعندما نوسع في المساواة التي تنكر وجود أي اختلافات بين البشر فيمكن أن يشمل ذلك إنكار وجود اختلافات هامة بين الانسان والقردة العليا، وتنشأ عن ذلك أسئلة لا حصر لها، إذ كيف يكون قتل البشر غير مشروع، في حين قتل هذه الحيوانات ليس كذلك، وسنصل حتمًا في مرحلة ما إلى السؤال التالي: ولماذا لا تتمتع الطفيليات المعوية والفيروسات بحقوق مساوية لحقوق الإنسان ؟

إن عدم اهتمام الناس بهذه المساواة يوضح أنهم لا يزالون يؤمنون بمفهوم ما عن تفوق قدر الانسان، وحتى حماة الطبيعة وحماة الحيوانات، هم فقط يدافعون عن الحيوانات لأنهم يحبون بقائها معنا، ومجرد إفنائها لا سبيل لتعويضه مع ضياع فوائد ربما تُكتشف منها مستقبلاً، فحتى حماة الحيوانات هم للإفادة منها وليس من أجلها وهذا عكس حقوق الحيوان، إن مفهوم التوسع في المساواة أدى إلى حيرتنا الراهنة، إننا لو كنا نؤمن حقًا أن الانسان مجرد كائن في سلسلة حيوانية يخضع لقوانين الطبيعة ليست له قيم متجاوزة، هنا كان لابد أن تتساوى الكائنات جميعًا في الحقوق، وسيتعرض ساعتها المفهوم المساواتي للبشر للهجوم من أعلى ومن أسفل، ولا يسمح لنا هذا المأزق الفكري الذي أوقعتنا فيه النسبية الحديثة بأن نرد على هذا الهجوم أو ذاك، وبالتالي لا يسمح لنا بالدفاع عن الحقوق المساواتية — فإما طبقية متفحشة أو مساواتية مستحيلة –." – المصدر : فرانسيس فوكوياما .. نهاية التاريخ وخاتم البشر ..ترجمة : حسين أحمد أمين .. الطبعة الأولى 1993 مركز الأهرام للترجمة والنشرص 259 والكلام له بالحرف إلا ما بين – – – .

إنه تحليل مدهش وحقيقي للمأزق الهيوماني، فإن فرانسيس فوكوياما يرى أن المساواة مستحيلة داخل المجتمع المادي، حيث يتحول الإنسان داخل هذا النموذج إلى كائن قانع بسعادته غير قادر على الإحساس بالخجل عاجز عن الإرتقاء فوق مستوى احتياجاته وبالتالي فإن الإنسان لم يعد إنسانًا. – المصدر السابق ص 17–

أليس الإنسان الكامل في هذه الصيغة هو كائن فج جدير بالإحتقار– والكلام لفرانسيس فوكوياما–، كائن عاطل عن الإجتهاد والطموح – وهنا تضيع ملحمة الوجود الانساني و دراما الحياة الانسانية .. لقد مات الانسان في النموذج المادي. – المصدر السابق ص18 إلا ما بين – –.–

بل إن فرانسيس فوكوياما يصف الملحد في هذه المرحلة بالكلب، يقول فوكوياما أنه : داخل ذلك العا لم سيصبح الناس حيوانات من جديد كما كانوا قبل المعركة الدامية التي بدأ بها التاريخ، إن الكلب يقنع بالنوم في ضوء الشمس طوال اليوم

شرط أن يُطعموه وذلك لأنه راضٍ بما هو عليه ولن يقلقه أن غيره من الكلاب حالها أفضل من حاله، أو أن مستقبله ككلب قد جُمد أو أن كلابًا في بقعة نائية من العالم تصادف المذلة والهوان .- المصدر السابق ص271 -

و يتنبأ فوكوياما في صفحة 274 من كتابه أن حياة مجتمع مادي إلحادي هيوماني كامل هي حياة بلا فنون ولا أدب ولا دراما ولا كفاءة، وقليلون سيتصدرون للخدمة العامة وستكون الحِرف مبتذلة وغير متطورة، وفي مرحلة ما سيكون هذا المجتمع عاجزًا عن الدفاع عن نفسه في وجه الحضارات الأُخرى حيث الحضارات الأخرى أصحابها على استعداد لهجر الراحة والأمن ويخاطرون بحياتهم من أجل القيمة .

وإذا كانت الهيومانية تسعى للتأسيس لفلسفتها في إطار العلم بعيدًا عن الدين، فماذا لو أثبت العلم أن العِرق الأبيض أفضل بيولوجيًا من الأسود؟ وأنهم في مرتبة أعلى في سلم التطور، هل سيتم الفصل العنصري بين البيض والسود داخل المجتمع الإلحادي الهيوماني؟ أم ستتم معاندة العلم والبيولوجيا ومعاندة الإنتخاب الطبيعي وإقرار المساواة بين البيض والسود، وساعتها ستكون أكبر خيانة للتطور وأكبر ضربة للماديين؟

بالمناسبة : هناك آلاف الأبحاث التي أثبتت تفوق الجنس الأبيض على الجنس الأسود ماديًا وبيولوجيًا، منها قديمًا أبحاث عالِم الإنسانيات الشهير صموئيل مورتن Samuel Morton وأبحاث لويس أجاسي louis agassiz الذي كان يقول بأن البيض ليسوا سفاحين حين أبادوا الهنود الحمر، ولكنهم يتبعون قضية حتمية في تشكل الأعراق، فهذه هي حتمية العلم، وحديثا ظهر كتاب قوس الجرس bell curve أكثر الكتب مبيعًا في السبعينات، وهو الكتاب الذي يتحدث عن أنه لا فائدة من تعليم السود أو تحصينهم من الأمراض، لأنهم أضعف عقلاً وأفقر ذهنًا من البيض ولابد من إنفاق المال في أُمور أكثر فائدة .

ماذا لو أثبت العلم تفوق الرجل على المرأة ماديًا؟ وأن الرجل في مرتبة أعلى بيولوجيًا من المرأة، هل ستتم المساواة بين الجنسين داخل المجتمع الإلحادي، أم سيكون هذا مطلب غير علمي غير عقلاني عبثي ميتافيزيقي يقف في وجه التطور وحتميات الطبيعة ؟

بالمناسبة: المرأة طبقًا لأدبيات التطور لها تصنيف في السلسلة الحيوانية مستقل تمامًا عن تصنيف الرجل، فالمرأة تندرج تحت تصنيف Homo parietalis بينما الرجل تحت تصنيف Homo frontalis فدراسة حجم الجمجمة في القرن التاسع عشر أثبتت وجود فرق جوهري في حجم المخ لصالح الرجل بمقدار 12- 19 % وكتب كارل بروكا brucca يقول أن مخ المرأة أضعف بكثير من مخ الرجل.

فحجم المخ الخاص بالمرأة يكاد يطابق ذلك الخاص بالغوريلا، والمرأة تأتي في المرحلة السفلى من مراحل تطور الإنسان .-
-Gould, The Mismeasure of Man, p.105

ويرى داروين أن المرأة لا تصلح إلا لمهام المنزل، وإضفاء البهجة على البيت،- فالمرأة في البيت أفضل من الكلب- .- -Charles Darwin, The Autobiography of Charles Darwin 1809-1882, New York pp. 232-233

هذه هي الرؤية الإلحادية الهيومانية للإنسان بصورتها الحقيقية، فالإلحاد حرَّر أتباعه من أية أعباء أخلاقية، وإذا لم يتم تبني هذه الرؤية في المنظومة الهيومانية فهذا يعني انهيار الأساس الذي بُنيت عليه الهيومانية، وبالتالي استقاء عناصر غير مادية من خارج المنظومة الهيومانية، سيكون اعترافًا بعدم صلاحيتها كمنظومة فكرية مستقلة لتفسير المغزى الوجودي !

إن الأمر الذي لا يجب أن نغفله هنا؛ هو أن الحروب العالمية كانت دائماً نتاج المجتمعات الأرستوقراطية الملحدة، والإلحاد هو الذي زوّد الإمبريالية الغربية بإطار نظري لإبادة الملايين بإسم العرقية المادية، والبيولوجية الداروينية، ولن تتجاوز الهيومانية هذه الرؤية مهما تظاهرت بخلاف ذلك، وعلى الهيومانية أن تتبنى بمنتهى الهدوء اليد الخفية عن آدم سميث، والمنفعة عن بنتام، ووسائل الإنتاج عند ماركس، والجنس عند فرويد، وإرادة القوة عند نيتشه، وقانون البقاء عند داروين، والطفرة الحيوية عند برجسون، والروح المطلقة عند هيجل، وإلا فالهيومانية ستُعتبر تمرد على المادية الحتمية. – العلمانية الجزئية العلمانية الشاملة د. عبد الوهاب المسيري دار الشروق طبعة 2002 المجلد الأول ص240-

هذا هو الإلحاد الهيوماني عند التطبيق، وهذا هو أصل معركته وشعارها ودثارها، وفي هذا السبيل قامت حربان عالميتان أُبيد فيهما قرابة 120 مليون نسمة، وكانت حروب من الدموية بحيث أرجعت كلاً من المنتصر والمهزوم ثلث قرن إلى الوراء، فالحربان العالميتان اللتان أبادتا حوالي 5% من سكان العالم كانتا نزاع إلحادي- إلحادي، وقام الفلاسفة بوضع مبولة في وسط باريس بدلاً من تمثال الجندي المجهول كنايةً عن نهاية الحضارة.

وقد اعتبر الليبرالي الشهير – رئيس الولايات المتحدة السابق – جون كوينسي آدمز John Quincy Adams أن حرب البيض ضد الهنود الحمر هو قانون الطبيعة، ولهذا القانون تطبيقاته الواسعة جداً". -Robert Remini, John Quincy Adams (2002)-

فاستئصال طبقة كاملة من الناس، وتفريغ قارتين كاملتين من البشر- تفريغ الأمركتين من الهنود الحمر- ما كان ليحدث لولا الرؤية المادية للوجود الإنساني، وقد اعتبر الليبراليون الأوائل أن إبادة الهنود الحمر نوع من الدفاع الشرعي، ونتيجةً لذلك: تقلّص عدد الهنود الحمر من 10 مليون الى 200 الف نسمة خلال سنوات قليلة ولذا يقول سيمون بوليفار Simón Bolívar محرر أمريكا اللاتينية: "يبدو ان الولايات المتحدة تسعى لتعذيب وتقييد القارة باسم الحرية". - ناعوم تشومسكي الايديولوجية والاقتصاد ص6-

وليست إبادة الملايين في أرخبيل الكولاج The Gulag Archipelago على يد الملحد لينين والملحد ستالين، إلا من خلال مبرّر إلحادي شيوعي، وليست إبادة 22% من سكان كمبوديا إلا بمبرر إلحادي على يد بول بوت pol pot ، وليست إقامة الحرب العالمية الثانية كلها إلا بمبرر قومي مادي عِرقي ألماني على يد أدولف هتلر، وليست الثورة

الثقافية في الصين التي راح ضحيتها 22 مليون نسمة إلا بمبرر إلحاد ماوي Mao zedong ، فالحرب في الإلحاد غاية في ذاتها، والمكاسب المادية وتفريغ القارات من البشر، وتطهير الأعراق ليست كلها إلا إفرازات داروينية مادية، ورؤى عِرقية طبيعية، وهذه الرؤى هي التصور المستقبلي للهيومانية حال التطبيق!

يقول ريتشارد فيكارت Richard Weikart " لقد نجحت الداروينية أو تأويلاتها الطبيعية، في قلب ميزان الأخلاق رأساً على عقب، ووفرت الأساس العلمي لهتلر وأتباعه، لإقناع أنفسهم ومن تعاون معهم، بأن أبشع الجرائم العالمية، كانت بالحقيقة فضيلة أخلاقية مشكورة." – Richard Weikart .. from Darwin to Hitler.. p.215 –

لكن الإنسان له روح خاصة مستقلة عن جميع المخلوقات؛ فهو ليس مُفصّلاً على طراز داروين، ولم يوجد من أجل الصراع، إنما وُجد لعبادة الله من إقامة الحق أيا كان مَن اتبع الحق سواء كان أبيض أو أسود ، أما العقل الإلحادي المادي الهيوماني فقد قام بتفكيك البشر بصرامة بالغة ليس فيها موطنٌ للمشاعر الإنسانيّة، والقِيَم الروحيّة.

إن البحث عن السعادة على الأرض من منظور إلحادي هو شكل من أشكال الغرور الإنساني، وهو يعني القول بمركزية الإنسان، وأن له مكانًا خاصًا في الكون وبداهة لا يمكن القول بوجود غائية إنسانية مستقلة عن الغائية الطبيعية أو المادية.

ولا يأتي الإيمان بمركزية الإنسان وقيمته وسموه إلا بالإيمان بمُطلق أعلى يتجاوز المادة، فالمساواة بين البشر هي مسألة دينية بحتة، فإذا لم يكن الله موجودًا، فالناس بجلاء وبلا أمل غير متساوين، وتأسيسًا على الدين فقط يستطيع الضعفاء المطالبة بالمساواة.

ولذا يقول الدكتور المسيري رحمه الله أن الإله هو التركيب اللانهائي المفارق لحدود المعطى النهائي، هو النقطة التي يتطلع إليها الانسان ويحقق التجاوز من خلالها، ومن ثَمَّ بغيابه يتحول العالم إلى مادة طبيعية صماء، خاضعة لقوانين الحركة والصيرورة التي يمكن حصرها وإحاطتها والتحكم فيها، وينضوي الإنسان تحت نفس النمط، إذ بغياب الإله يتحول الإنسان إلى كم مادي يمكن أدلجته وقولبته في إطار مجموعة من المعادلات الرياضية الميته، وفي هذه اللحظة تموت الروح ويتبعها موت الإنسان، فالإيمان بالإنسان وقيمته ومركزيته وسموه هو إيمان يتجاوز حركة المادة وديناميكيتها ... فعندما يُقرر الإنسان أن ينسى الإله في هذه اللحظة بالذات يكون قد نسي نفسه { نسوا الله فأنساهم أنفسهم } ﴿١٩﴾ سورة الحشر.

فالإنسان كائن أقدامه مغروسة في الوحل وعيونه شاخصة للنجوم .

كائن ميتافيزيقي يسأل أسئلة نهائية عن معنى الكون .

أقصى مُتعة لا تكفي إنسان يعلم أن وُلد ليموت .

بدون وجود إله تفقد كل الكائنات حدودها وحيزها وتنشأ إشكاليات في النظام المعرفي والأخلاقي، وتفقد الأشياء حدودها وهويتها ويَصعُب التمييز بينهما، كما تَختفي التفرقة بين الخير والشر، وتختفي الإرادة والمقدرة على التجاوز وتسود الواحدية والحتمية، وقد اختصر رئيس التشيك فاكيلاف هافل هذه الإشكالية الكبرى فقال عبارته الرائعة " حينما أعلنت الإنسانية أنها حاكم العالم الأعلى، في هذه اللحظة نفسها، بدأ العالم يفقد بُعده الإنساني " فالفلسفة الهيومانية ضحت أول ما ضحت بالإنسان.

ومنذ اللحظة التي هبط فيها الإنسان من السماء منذ المقدمة السماوية لا يستطيع الإنسان أن يختار أن يكون حيوان بريء أو يكون إنسان مُخير، لم يكن بإمكانه أن يختار بين أن يكون حيوان أو إنسان إنما اختياره الوحيد أن يكون إنسان أو لا إنسان {إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا} ﴿٧٢﴾ سورة الأحزاب

فالإنسان هو المركز والطبيعة هي الهامش .

هذا هو الإنسان وهذه هي طبيعته الحقيقية، وعلى الهيومانية أن تتقبله في هذا الإطار، وأن تستمد قيم معرفية متجاوزة، وأن تتجاهل الرؤية المادية الإلحادية الداروينية كتحليل لظاهرة وجوده، وهذا يعني أنها لن تصبح هيومانية وإنما دينًا جديدًا وفي هذه اللحظة تفقد أهم سماتها وخصائصها، وينهار المشروع الهيوماني ككل .

الكبسولة الأربعون والأخيرة : دليل مباشر على وجود الخالق

هل تعلم أن أي كائن حي قبل ظهوره تتم برمجة جميع وظائفه، ولا معنى للكائن ولا وجود له بدون برمجة مسبقة، ولا معنى للبرمجة بدون تحولها من إشارات ورموز إلى منظومات وظيفية داخل هذا الكائن الحي!

الآن أيها الملحد! إذا أعطيتك كتالوج –كتاب- به كل مواصفاتك وبرمجة كاملة لمنظوماتك الوظيفية " طولك ولون عينيك ووظائف أعضائك، ونوع شعرك وكمية البروتين التي تحتاجها عضلاتك، والقوانين التي تحكم أجهزة جسدك وسرعة النبضة الكهربية في أعصابك، ومعدلات ضخ الدم في قلبك، ومعدلات إفراز الهرمونات في غددك؛ إلى جانب كل ذلك تفصيل دقيق لكل وظائفك الحيوية وطريقة تصنيع كرات دمك وأنظمة الهضم والإخراج والأيض، وكل ما يختص بالوظائف البيولوجية لجسدك.

ويوجد في الكتاب فصل كامل خاص بحالات الطوارىء، مثل التعرض لنزيف حاد والذي يستدعي عمل جلطة تغلق مخارج الدم وانكماش شديد للطحال لضخ الدم المتخزن فيه لتعويض الفاقد، ومنظومة معقدة من عدة مراحل لعمل إنكماش في أوعيتك حتى لا يحدث هبوط قاتل لضغط الدم لحظة النزيف.

أيضًا يوجد في الكتاب –الكتالوج- فصل كامل يتعلق بالتجهيزات اللازمة لحظة التعرض لمخاطر كبرى مثل الأوبئة، فالكتاب يحتوي على طريقة تصنيع الجسم الدفاعي G أو IGG الذي يسمى "كتيبة المشاة والمدرعات والمدفعية"، وطريقة تصنيع الجسم الدفاعي A أو IGA صاحب المهام الخاصة، وكل شيء عن التنظيمات الدفاعية التي لن تظهر مهامها إلا لحظات الخطر.

أيضا الكتالوج يحدد متى تبدأ شرايينك التاجية في الضيق وعقلك في الهذيان وجلدك في التجعد وشعرك في المشيب، ويصف الكتاب بالضبط طريقة حدوث ذلك بمنتهى الدقة.

الكتاب ضخم ويحوي كل شيء عنك.

هذا الكتاب هو محتوى معلوماتي، لاحظ العبارة.

الكتاب محتوى معلوماتي يخزن معلوماتك كلها.

أضف إلى ذلك؛ أن هذه المعلومات توجد بنظام "ترميز" coding وحين يتم فك الترميز decode تظهر المعلومات السابقة.

الآن هذا الكتاب هل يشك عاقل أو بهيمة أو جماد في أن واضعه موجود وعاقل وقادر وعليم وحكيم؟

أما علمت يا زميلنا الملحد! أن جميع الكائنات على وجه الأرض يسبق ظهورها كتاب –كتالوج– توجد به معلومات ظهورها مشفرة وتم ترميزها مسبقًا داخل هذا الكتاب– الكتالوج–، وهذا شرط أي كائن حي على الإطلاق.

ونظام التشفير يوجد داخل جينوم أي كائن حي على وجه الارض، فلا يخلو كائن حي من جينوم تُشفر داخله معلوماته، ولا معنى للكائن بدون نظام تشفير مُسبق.

وهذه القضية هي التي جعلت فرانسيس كولينز الملحد مدير مشروع الجينوم البشري أن يتدبر ثم يعترف بالخالق القدير العليم ويضع كتابه لغة الإله The Language of God .

وأول كائن على وجه الارض على الإطلاق– السيانوباكتريا– طبقًا للداروينية نفسها، توجد معلوماته مشفرة داخل الجينوم الخاص به منذ البدء، ولا معنى للكائن أصلاً بلا تشفير مسبق للمعلومات التي سيحتاجها.

والجينوم – الكتاب– الخاص بالإنسان يملأ 1000 مجلد بواقع 500 صفحة لكل مجلد – 3 مليار حرف – كلها موجودة في مساحة 1 على 1000 من المليمتر مُلتف على نفسه 100 ألف لفة داخل نواة الخلية.

والجينوم الذي في حجم رأس الدبوس يحمل معلومات تفوق في سعتها بليون مرة فلاشة 4 جيجا.

وجميع المعلومات داخل هذا الكتاب مُشفرة بنظام تشفير رباعي C G T A .

واضع المعلومات الرقمية– 3 بليون معلومة بمنتهى الضبط والدقة–، التي ستُستخدم لاحقًا، خالق عليم قدير، هل هذه المعلومة بحاجة إلى ضبط عقلي لتحريرها؟

فسبحان الخالق الحكيم العليم القادر المصور {هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم} ﴿٢٤﴾ سورة الحشر.

هل ما زلت تجادل في خالقك يا زميلنا الملحد؟ {وكان الإنسان أكثر شيء جدلا} ﴿٥٤﴾ سورة الكهف.

الفهرس